استراتيجية التعريب

للاستاذ : عبد العزيز بنعبد الله

ان العروض والتدخلات التى استمعنا اليها فى «ندوة استراتيجية التربية والتعريب» قد افادتنا جميعا بقدرما اكدت لى شخصيا فعالية المنهجية التى اختارها مكتب تنسيق التعريب فى خصوص الشق الجوهرى من رسالة هذه الندوة اى التعريب وهو شق تبرز كل ابعاده عندما ينوس من خلال منهجية موازية تستهدف توحيد مناهج التربية فى الوطن العربى وهذان الهدفان من اجلهما اسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

واذا كان من المفيد استعراض المباديء العامة لهذه الوحدة خاصة فى التعريب فانه لا يكفى ان نقف عند هذه المباديء لا سيما وان العالم العربى ظل يرددها فى حماس منذ عقود من السنين وهى مباديء لا تزيدها طفرات دولاب الحياة المعاصرة فى حركيته الديناميكية الا استحثاثا للخروج من الحيز النظري الى حيز العمل ولذلك فان مكتب تنسيق التعريب بعد دراسات وتجارب قام بها خلال ازيد من عشر سنوات تبلورت لديه منهجية منطقية رصينة ادت الى وضع نحو الخمسين معجما فى شتى مجالات الفكر والتكنولوجية والعلوم بثلاث لغات هى العربية والفرنسية والانجليزية ولكن ...! هنا يجب ان نتوسع فى هذا التساؤل فى نقد ذاتى نستشف من مضامينه جوانب النقص واسباب الضعف والتعثر .

صحيح اننا وحدنا المصطلح العلمى الى نهاية السلك الثانوي خلال مؤتمر التعريب الثانى الذي انعقد فى الجزائر عام 1973 وصحيح اننا ذهبنا ابعد من ذلك فاعددنا خطة محكمة لاستكمال توحيد هذا المصطلح فى باقى مواد السلك الثانوي وجزء من العالى خلال المؤتمر الثالث الذي سينعقد بحول الله اوائل عام 1977 بتونس او بغداد وسيعقبه مؤتمر رابع يستكمل قبل 1980 توحيد بقية مصطلحات التعليم باسلاكه الثلاثة فى التكنولوجية والعلوم .

صحيح ايضا اننا وضعنا معاجم موازية للقطاع الاداري ولشتى المجالات الحضارية فى المصنع والمخبر والمتجر والمنزل والشارع وغير ذلك .

كل هذا صحيح ولكن حذار من ان نستكين الى ذلك فنظن ان المشكل قد حل لان هنالك عوامل مختلفة معقدة هى التى يجب ان تنكب عليها لتوفير الوسائل الكفيلة بحلها .

ففى اطار التعريف بهذه المشاكل قمت منذ ازيد من عشر سنوات بالقاء سلسلة محاضرات كمسؤول عن مكتب تنسيق التعريب آنيتها من الخليج الى الجزائر مارا بالقاهرة حيث القيت خلال شهر ابريل 1975 سلسلة اخرى فى معهد الدراسات والبحوث العربية حول « التعريب ومستقبل اللغة العربية » وكانت هذه المحاضرات دقات صارخة لاجراس الخطر فى غير تشاؤم ولكن فى واقعية تستمد من الارقام ومن معطيات تطور اللسنيات الحديثة فى العالم المعاصر .

ان دولاب الحياة يدور بسرعة والمصطلح العلمى يتزايد يوميا بنسبة خمسين كلمة كل صباح وبعض الدول العظمى كفرنسا اصبحت تشعر بالعجز عن مسايرة الركب دون ان تخضع لدخيل يغزو لغتها — دخيل ينطلق من دول عظمى اخرى اصبحت تتحكم بكشوفها العلمية فى تكييف المصطلح التكنولوجى الحديث ... فعندما نضع معجما — مع فرض استكمال مفاهيم موضوع هذا المعجم وهذا غير صحيح لا بالنسبة لمعاجمنا ولا بالنسبة للمعاجم الموجودة فى مختلف اللغات — نقول عندما نضع هذا المعجم نظل

---

1) كلمة القاها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ندوة استراتيجية التربية والتعريب التى انعقدت بعاصمة الجزائر بين 5 و8 مايو 1975 .

خلال عدة سنوات ــ نحن العرب ــ نتارجح في دوامة يدفعنا احد عواملها الى آخر حتى تمر سنوات قبل ان يبرز المعجم للوجود فيبرز ناقصا نقصا مزريا لان خلال هذه السنوات تكون مادة المعجم العلمية قد تزايدت مصطياتها باعتبار تزايد عدد مصطلحاتها المستجدة ولو بنسبة مصطلح واحد من خمسين مصطلحا في كل يوم ! هذا من جهة ومن جهة اخرى يضيع العالم العربي كثيرا من وقته الثمين بين توان وتواكل او مجانبات هامشية تخطت حدود الحقل السياسي لتنعكس على المجال الثقافي نفسه فتجد دولا عربية او هيئات داخل دول عربية تتمسك بمصطلح تمسكا بليغا لمجرد كونه وليدا عزيزا عليها او لحنا شهر لديها فتنقلب المجانبات الى مماحكات تؤدي احيانا الى مساومات على حساب قيمة الكلمة علميا او جزالتها وحيويتها ! وهذا هو ما يقع في مؤتمراتنا وليس المشكل في هذه الحالة مشكل منهجية فمنهجيات المجامع العربية والهيئات اللسنية منهجيات لا تقل رصانة وعمقا وانضباطا عن منهجيات غيرها ولكنها منهجيات تتدافع لان وراءها خلفيات ليست وليدة تفكير عربي ولا مقحمة اقحاما مفرضا في هذا التفكير العربي بل انها تشكل ــ سواء شعرنا بذلك ام لم نشعر به ــ رواسب لاستعمارين مختلفين يتقاربان تارة ويتدافعان تارة اخرى هما الاستعمار الانجلوسكسوني والاستعمار الفرنسي فاذا استعرضنا مجالات الخلاف بين مجمع وآخر ومعهد لسني وآخر حول مصطلح ما نجد في كثير من الاحيان ان سر الخلاف كامن في اختلاف اللغتين اللتين يستند اليهما كمصدر للتعريب او التوليد ، وقد شكلت هذه الظاهرة بالنسبة لمكتب تنسيق التعريب عاملا خطيرا لان عناصر مفتعلة تسربت مع الزمن الى تراثنا فطبعت الكثير من مناهجنا سواء في التربية او باقي مناحي الحياة واصبحنا ضمن دفاعنا عن التراث ندافع عن رواسب استعمارية دون وعي فعال منا والا فلماذا هذا الخلاف في التفكير والتدبير بين شقي العروبة في ميدان التربية والتعريب ؟ بل حتى في كثير من الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية !؟

فهل تساءلنا لماذا نجح الصهاينة في احياء لغتهم العبرية الميتة بينما نتعثر نحن في احلال لغتنا الحية المقام الذي كان لها في العصور الوسطى كلغة علم وحضارة !؟

هذا سؤال لا يخرج عن نطاق هذه الندوة لان هذه الندوة مطالبة باستقصاء اسباب الضعف والركود في مقومات اللغة ومعطيات التربية في الوطن العربي ولان تجارب الغير في ميدان اللسنيات وغير اللسنيات يجب ان تكون لنا عبرة في اختياراتنا ! ان دويلة اسرائيل قد جعلت من العبرية لغة التعليم في الطب والهندسة والعلوم في الجامعات لانها اخذت الامر بجد ووحدت خطتها بجد وعبأت ماتتي خبير لا شغل لهم الا تتبع ما يستجد من مصطلح لعبرنته في الحين واصدار مرسوم حكومي في الحين بالزاميته في التدريس والتاليف وباقي اجهزة التعبير في الدولة .

ان مجمع القاهرة قد ولد مائة الف مصطلح منذ انشائه ولكن الكثير منها ــ بالرغم عن جودته مات في الرفوف لعدم الالزامية وقد بعث في نفوسنا روح الامل ما صرح به وزير التربية الجزائري في خطابه الختامي للمؤتمر الثاني للتعريب من تعهده بان تكون الجزائر اول من يلتزم باستعمال هذا المصطلح الموحد بل وعد السيد رئيس الدولة الهواري بومدين علانية بانه سيعمل على تحقيق هذه الالزامية باثارة القضية في احدى دورات مؤتمر القمة ونرجو ان يتم ذلك .

نعم ان الاستعمال الالزامي هو القوام الحقيقي لحياة هذا الكائن الذي هو المصطلح ولكن هذا الاستعمال لن يكون فعالا اذا لم توفر له شروط منطقية مثل توحيد الكتاب العلمي لكل اجزاء العالم العربي ! فاذا كنا حقا امة عربية واحدة لنا لغة واحدة وتراث واحد فلماذا لا توحد مناهج تربيتنا ومقومات هذه المنهجية !؟ ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عندما قرنت مشكل التعريب بمشكل التربية انما قرنت عنصرين متكاملين لا ينطلق احدهما بدون الآخر ولذلك فان ندوتكم هذه تشكل اول ندوة في تاريخ العروبة اضطلعت برسالة خطيرة هي البحث عن وسائل دعم التعريب الصحيح بوحدة في الفكر وفي منهجية الفكر ونرجو ان لا نتيه في الجزئيات وان نعمل ــ والمشكل واضح والحل ايضا واضح ــ على تكليل اعمالنا بتوصيات لا تكون كتوصيات ندوات اخرى تعاقبت في العالم العربي ومحا لاحقها ما قرر سابقها ! ان الامر جد وان الوضع لشديد الخطورة وان هذه الوحدة التي نستهدفها اليوم هي وحدة مصيرية لانها تشكل المقوم الاول لكل الوحدات الاخرى اذ ان توحيد الفكر هو المنطلق الاساسي الذي لا يمكن ان يتحقق بدون استكمال عناصر اية وحدة اخرى .

اللغة العربيـة ليست قاصرة عن استيعاب المعرفـة

ـ الدكتور شكـرى فيصل ـ

عضو مجمـع اللغة العربيـة بدمشق

«انقضت الفترات التى كانت اللغة العربيـة فيها موضع اتهام ، ان سلسلة التجارب التى مارستها بعض الجامعات العربيـة نهضت دليلا قاطعا على بطلان ذلك» .

ننشر فيما يلى الكلمة التى القاها باسم سوريـا الشقيقة حضرة الاستاذ الجليل الدكتـور شكـرى فيـصل .

* ✪ *

نلتقى اليوم فى ظلال هذا المؤتمر ، ونحن اشد ما نكون ايمانا بمستقبل الوطن العربى ، واصالـة اللغة العربية ، استعدادا للعمل فى سبيلها .

ان عملنا فى ذلك لا ينطلق من بواعث ضيقـة ولا تزمت نفسى ، ولكن يبدأ من منطلق حضـارى وانسانى .. ذلك هو ان اللغة العربية كان لها عمل رئيسى واكبر فى الحركة الحضاريـة وان هذا العمل يجب ان يستمر وان يزكـو .. وما من شىء آخـر ساعد هذا الشعب الكبير على أن يصل بين حضارته الماضية وبين حضارة اليوم مثـل أن تكون لغته هى الاداة التى يفكر بها وهى الاداة التى يعبر بها عـن هذا الفكر .. هى التى تترجـم أحاسيسه ومدركاته ومشاعره ومعارفه .

— 2 —

لقد انقضت الفترات التى كانت اللغة العربيـة فيها موضع اتهـام .. ان سلسلة التجـارب التى مارستها بعض الجامعات العربية فى سورية والعراق وفى مصر احيانا ، وفى بعض بيئات المغرب العربى — نهضت دليلا قاطعا على ان اللغة العربيـة ما كان لها ان تكون مقصرة عن استيعاب المعرفة اولا وعن المشاركة فى ترقيتها بعد ذلك .

ويكفى ان اعرض التجربة العربية فى سورية ، على انها مثل يجسد هذه الحقيقة ..ففى جامعـات دمشق وحلب واللاذقية التى استكملت فروع المعرفة العلمية كلها يمضى تدريس العلوم جميعا بالعربية وتتاصل اللغة العربية فى هذه المراحل الثلاث : مرحلة التدريس ، ومرحلـة التأليف ، ومرحلـة الابـداع والبحث العلمى . وفى هذا الذى سيشهده المؤتمرون فى معرض الكتاب العلمى العربى مقنع فى ذلك ، اى مقنـع

ان الاتهامات التى وجهت الى العربية انما هى حلقة فى سلسلة من مظاهر الغزو الفكرى هنا هدفـه التشكيك والتخريب والشلل .. انه ، هنا ، يريـد أن يشل قدرتنا اللغوية هى نحو ما شـل القـدرات الاخرى المعنوية والمادية .. وليس اقتل للشعوب مثل أن تخرج عن لغتها .. ان ذلك يعنى انها خرجت من جلدها ، ولكن دون ان تستطيع أن تجد جلـدا آخر يصلح لها .

افلا يعيبنا ، ايها السـادة ، أن تعتـرف المؤسسـات الدولية ، مثل الاونسكو ، باللغة العربية اى ان تعترف بقدرتها الكاملة على التعبير عن كل ما يتصل بالمعرفة ، ثم لاتزال بعض الاقطار او الافكار تمارى فى هذا المبدأ وتجادل فيه

— 3 —

اذا جاوزت الحديث عن اتهامات اللغة العربية كان لابد لى من ان أؤكد المسؤولية الكبرى التى تلقى على اكتافنا ، نحن هذا الجيل ، فى سبيل ان نضـع هذه اللغة موضعها السليم فى كل جانب من جوانـب الحياة .. فى جانب الحياة الادارية على مثل ماهـى عليه فى جانب الحياة اليومية ، وفى جانب الحيـاة العلمية على مثل ما هى عليه فى الحياة الادبية .

من هذه المسؤولية الضخمة كانت — فيما أحسب وأقدر — فكرة المؤتمر ، وفكرة المشاركة فيه والسفر اليه .. ذلك انه لايكفى أن ندعو للغتنا ، وأن ندعى لها ، وأن نشيد بفضائلها وتاريخها .. وانما يجب — على نحو لا يعرف الهوادة — أن يكون عملنا مستمرا فى تأصيلها أولا ثم فى تنميتها بعد ذلك .

ان عمل اللجان والمنظمات ، والمكاتب يجب ان يكون هذا منطلقه وهذه غايته .. ومن المؤكد ان عملا منسقا مدروسا يتناول جانبا اثر جانب ، ومرحلة من مراحل التعليم بعد مرحلة ، وعلما بعد علم ، هو الذى يجب أن يكون ملء اذهاننا وأعيننا ومحور اهتمامنا وعملنا .

فاذا استقام لنا هذا القدر من التنسيق تتابعت اعمالنا بعد ذلك .. قد تأتى بطيئة فى البداية ولكنها لا تلبث أن تجنى مسرعة ، ثم لا تلبث أن تكون متسارعة .

ان سرعة العمل جزء مكمل لتنسيقه ان لم يكن هو روح تنسيقه .. ان معطيات الحضارة تغزو جوانب الحياة كل يوم بمئات من الكلمات والمصطلحات ولابد لعملنا من ان يوازى هذه الوفرة وان يواكبها .

اسمحوا لى بعد هذا أيها الاخوة الاصدقاء ان أشكر باسمكم الجزائر على انها استضافت هذا المؤتمر وعلى أن رعته .. وهل من عجب أن تكون الجزائر هى التى ترود معركة الحضارة على نحو ما رادت معركة الحرب .. وان تكون الحفيظة على لغة القرآن على مثل ما هى حفيظة على القرآن وعلى المثل الاسلامية العليا .

واسمحوا لى كذلك أن أتقدم باسمكم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بشخص السيد المدير العام ومعاونيه اطيب التقدير على جهدها الذى اعطى هذا المؤتمر وسيعطيه حركته الدائبة المنتجة .

وارجو ان اسجل اخلص الشكر لمكتب تنسيق التعريب على الجهد الذى بذله ويبذله فى اعداد معاجمه التى ستكون بعض موضوعات البحث .. ان عمله فى ذلك ضوء كبير على طريق حركة توحيد المصطلح العربى اى على طريق توحيد الجهد العربى الفكرى .

أما الجنود المجهولون الذين كانوا وراء اعداد المؤتمر من هذا الجيل الجزائرى الكهل ، والجيل الجزائرى الشاب فأولئك — فيما أعرف من طبيعتهم — لا يحتاجون الى الشكر ولا يؤثرون الا صفاء اليه لانهم تعلموا — فى لهب الثورة — أن الواجب جزء من أصالة الانسان وكيانه وهو لذلك لا شكر عليه

وليس بعد الا أن أسأل الله لنا جميعا التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله

مشكلة وضع المصطلح

كلمة الوفد التونسي في المؤتمر الثاني للتعريب

الأستاذ محمد السويسي « تونس »

ان من اولى الصعوبات التي تعترض الباحث والمربي في البلاد العربية مشكل اللغة وقضية المصطلحات العلمية والحضارية والفنية . فهل ان العربية صالحة لاداء المفاهيم العلمية والمعاني الفلسفية الحديثة ، بل هل العربية لغة ما فتئت حية بقي فيها من الحيوية ما يمكنها من التعبير عن كل مدلول نظري او علمي تطبيقي من المدلولات العصرية ؟ واذا كان الجواب على هذه الاسئلة بالايجاب فما هي الطرق الموفية بالغرض وما هي انجع السبل التي ينبغي سلوكها كي نصل الى حل المشكل المعروض علينا ؟

على انه لابد ان نلاحظ منذ البداية ملاحظة ذات بال وهي أن اللغة في جميع المستويات انما هي اداة يكون لها من الفاعلية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعملها من كفاءة وبراعة فاصل الداء يتعلق بالاشخاص لا باللغة واللغة براء مما قد يلصق بها من تهمة الفقر والعقم .

وانما تحيا اللغة بالاستعمال ، والحياة تطور مستمر ؟ واذا ما عقدنا العزم على تطوير لغة الضاد حتى لاتكون لغة متحفية ولغة مناسبات لا يلتجأ الى استعمالها الا في الخطب الرسمية والتشريفاتية فانه من الواجب ان نلتزم بالتخاطب بها وان نفرض على نفوسنا ان تكون كتاباتنا بواسطتها في جميع البحوث وان تكون هي لغة التدريس في عامة المستويات وفي كافة الفنون والعلوم .

واثر هذا المبدا الذي نثبته ونجهر به يمكننا ان ننظر الى مشكل المصطلحات في شتى الميادين وتعريبها نظرة تقع في اطار افسح واعم طالما واجهته البشرية جمعاء في مراحل متعددة من تاريخها وخاصة في فترات التطور والتحول : هذا الاطار هو اطار نقل التقنيات من بلد الى آخر ولعل هذا هو اهم المواضيع المتداولة في عصرنا الحاضر والتي ينكب عليها الباحثون ولا سيما في ميداني العلوم والاقتصاد . والح التساؤلات على اهل العصر تلخص في هل ان على الدول النامية ان تتلقى من الامم المتصنعة خبراتها واساليبها وطرقها العملية بحذافيرها وان تطبق نماذجها الانمائية كما هي ، مقتصرة على التقليد البسيط ؟

أم هل يجب على كل بلد ان يقتبس من غيره مجرد اقتباس وان يسعى حثيثا الى جعل مقتبسه ملائما لوضعه الخاص وبيئته الذاتية ودرجته في النمو وقد يكون الموقف الثاني من شأنه ان يجعل المتلقي نفسه يأتي بالامر الطريف الذي قد يحتذى بدوره وان يرد الاخذ عوضا عما نقله عن الغير وهذا هو التبادل الحق الباعث على اثراء مكاسب بني الانسان اجمعين والشأن في اللغة كالشأن في الاقتصاد ، وليس الامر خاصا بالعربية بل ان سائر اللغات قد تعرضت لهذا المشكل وقد ذهب فيه المفكرون مذاهب متنوعة متضاربة . ونحن سنقتصر على ذكر الموقف الذي وقفه في الموضوع بعض الباحثين بفرنسا عقب الوثبة التي وثبتها اوربا نحو الحضارة العلمية وعند انبعاث المجتمع الغربي المتصنع في نهاية القرن السابع وفي القرن الثامن عشر للميلاد كما سنستشهد بآراء كبار النقلة في البلاد الاسلامية .

نقل العلوم اليونانية والهندية الى اللسان العربي

فيقول FENELON بالاعتماد على تاريخ الامم القديمة :

«ان اللاتينيين قد اثروا لغتهم بما كانت في حاجة اليه من المصطلحات الاعجمية فكان يعوزهم مثلا

مفردات مخصصة فى الفلسفة اذ لم تظهر الفلسفة بروعة الا فى فترة متأخرة من الزمن فاستعاروا من اليونانية مصطلحاتها كى يتمكنوا من الاشتغال بالتفكير فى المادة العلمية فهذا الشيشرون وهو مع ماكان عليه من شدة انتزمت ومن الحرص على سلامة اللغة قد أطلق لنفسه العنان فى استخدام المفردات اليونانية التى اضطرته الحاجة اليها ، فبدأ باستعمال اللفظ اليونانى على انه أعجمى مسترخصا استعماله بتحشم ثم انتقلب لديه الاسترخاص الى حوز وتملك وكسب ، اعتبر ما صار اليه حوزه والتصرف فيه حقا من حقوقه الخاصة .

ثم انه بلغنى ان الانجليز لا يتعففون من استخدام كل ما من شأنه أن يساعدهم على التعبير مهما كان منشاه ، ومهما كانت مصطلحاته فينقضون على هذه المصطلحات انى وجدوها عند جيرانهم ويستحوذون عليها ويجعلون أنفسهم فى حل من ذلك ، وهذه الظاهرة قد أدت الى خلق الكثير من المفردات المشتركة (1) .

هذا وما الكلام سوى أصوات جعلت اصطلاحا على الفؤاد دليلا ، وليس لهذه الاصوات فى حد ذاتها من قيمة بل تنتسب على السواء للامة المستعيرة لها وللامة التى اعارتها . وهل هناك اهمية ما فى أن يكون اللفظ قد ولد فى بلادنا او فى بلاد اخرى . منها ورد علينا ؟ وان الشعور بالفرق لمن قبيل الغيرة الصبيانية اذ الامر يتعلق فحسب بكيفية تحريك الشفاه والايقاع فى الهواء .

واذا ما اعتمد عيشنا كله على استعارات صارت من رصيدنا الخاص ، فيم نبرر استحياءنا من النقل ، بكل حرية ، وقد يكون لنا بهذه الوسيلة ما يمكننا من اكمال ثروتنا ؟ »

ولخص البيرونى طريقته فى نقل المصطلحات فى كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة» حيث يقول :

«وانا ذاكر من الاسماء والموضوعات فى لغتهم (يعنى لغة الهند) مالابد من ذكره مرة واحدة يوجبه التعريف ، ثم ان كان مشتقا يمكن تحويله فى العربية الى معناه لم أمل عنه الى غيره الا أن يكون بالهندية أخف فى الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثقة منه من الكتبة او كان متقضبا شديد الاستعصار فبعد الاشارة الى معناه وان كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الامر فيه» .

ومقدمة كتاب «الجامع لمفردات الادوية والاغذية» للنباتى ضياء الدين بن البيطار المالقى جليلة القيمة غزيرة المعانى فى الموضوع الذى يهمنا فيجعل هذا العالم غرضه السادس من كتابه حسبه قوله بنصه : «فى اسماء الادوية بسائر اللغات المتباينة فى السمات مع انى لم اذكر فيه دواء الا وفيه منفعة مذكورة او تجربة مشهورة (ونكرت) كثيرا منها بما يعرف به فى الاماكن التى تنبت فيها الادوية المسطورة كالالفاظ البربرية واللاتينية وهى أعجمية الاندلس ، اذ كانت مشهورة عندنا ، وجارية فى معظم كتبنا وقيدت ما يجب تقييده ، منها بالضبط وبالشكل والنقط تقييدا يؤمن معه من التصحيف ويسلم قارئه من التبديل والتحريف ، اذ كان اكثر الوهم والغلط الداخل على الناظرين فى الصحف انما هو من تصحيفهم لما يقرؤونه او سهو الوراقين فيما يكتبونه» .

ولعل احسن مثال يصور لنا طريقة نقل الكتب الى العربية ما يشكله نقل كتاب ديوسقوريدس فى اليونانية «فقد ترجم بمدينة السلام فى الدولة العباسية فى ايام جعفر المتوكل ، وكان المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان ، وتصفح ذلك حنين ابن اسحاق ، فصحح الترجمة واجازها . فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية فى وقته له اسما فى اللسان العربى فسره بالعربية ، وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسما تركه فى الكتاب على اسمه اليونانى اتكالا منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى ، اذ التسمية لا تكون الا بالتواطؤ بين اهل كل بلد على اعيان الادوية بما راوا ، وان يسموا فلك اما بالاشتقاق واما بغير ذلك من تواطؤهم على التسمية . فاتكل اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف اعيان الادوية التى لم يعرف هو لها اسما فى وقته فيسميها على قدر ما سمع فى ذلك الوقت ، فيخرج الى المعرفة . »

ويقول ابن جلجل : وورد هذا الكتاب الى

---

(1) رسالة فى مشاغل المجتمع اللغوى الفرنسى .

الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسما بالعربية ومنه مالم يعرف له اسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمان بن محمد وهو يومئذ صاحب الاندلس . فكاتبه ارمنيوس الملك بملك القسطنطينية احسب فى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وهاداه بهدايا لها قدر عظيم فكان فى جملة هديته كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب ، وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقى الذى هو اليونانى — وبعث معه كتاب هوميروس صاحب القصص . وكتب ارمنيوس فى كتابه انى الناصر ان كتاب ديوسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ويعرف اشخاص تلك الادوية ، فان كان فى بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب .

قال ابن جلجل : ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقى الذى هو اليونانى القديم ، فبقى كتاب ديوسقوريدس فى خزانة عبد الرحمان الناصر باللسان الاغريقى ولم يترجم الى اللسان العربى وبقى الكتاب بالاندلس . والذى بين ايدى الناس بترجمة اصطفن الواردة من مدينة السلام بغداد .

فلما جاوب الناصر ارمنيوس الملك سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم بالاغريقى واللاتينى ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث ارمنيوس الملك الى الناصر براهب كان يسمى نقولا فوصل الى قرطبة سنة اربعين وثلاثمائة . وكان يومئذ بقرطبة قوم لهم بحث وتفتيش ، وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديوسقوريدس الى العربية وكان ابحثهم واحرصهم على ذلك من جهة التقرب الى الملك عبد الرحمان الناصر حسانى بن بشروط وكان نقولا عنده احظى الناس واخصهم به . وفسر من اسماء عقاقير كتاب ديوسقوريدس ماكان مجهولا ... ويضيف ابن جلجل : فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديوسقوريدس تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبة خاصة ... مازال الشك فيها عن القلوب ، واوجب المعرفة بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف ...»

هذه كانت اذن نظرة اعلام الاخصائيين الى مشكل نقل المصطلحات المخصصة وكتب لى ان فكرت طويلا فى موضوع العربية وملاءمتها للوضع العلمى والفنى والاجتماعى الحديث ، وارجعت البصر الى الوراء وتصفحت كتب الاقدمين ونقبت عن المخطوطات العلمية ودرست الطرق التى استعملها النقلة فى القرنين الثانى والثالث الهجرة واستوحيت منها العبر التى يمكن ان تستوحى كى نتمكن من اقتحام الكثير من العقبات التى تعترض طريقنا فى العصر الحاضر .

على اننى ارد مسبقا على ماقد يلاقى هذا الموقف من المعارضة والانتقاد فانى لاادعو الى التعلق بالماضى واساليبه كما هى وانى ارفض التقليد البيغائى الاعمى . فانى ارى ما انا ذاكر من الاساليب قد ساعد قديما عى ايجاد عقول نبيهة وادمغة ثرية منتجة ولا يعنى ذلك انه ينبغى تصنيمها بل الشان ان نتخذ عملها وثائق تاريخية نرجع اليها كأداة صالحة فحسب ، وللغة وجودية تستلزم تجسيمها فى وجود اجتماعى ، والعلم قد تطور وقد تحول عما كان عليه . وليس من المعقول ان يسير ورائيا .

فاذا نحن احترزنا هذا الاحتراز واذا ما احتطنا كل الاحتياط فلا ضير علينا ان رجعنا الى الماضى ونظرنا فى وثائقه وغنمنا ما يمكن أن ننغنم من ذخائره وكنوزه وان نستوحى من طرقه ما من شانه ان يعيننا على حل بعض مشاكلنا الحاضرة .

وفعلا انى اعتمدت مصنفات الخوارزمى فى الجبر والمقابلة ورسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ومخطوطات ابن البناء المراكشى ومن اهمها تلخيص اعمال الحساب ومخطوطات القلصادى فى حروف الغبار والكسر والبسط ومفتاح الحساب ومقالات جمشيد لغياث الدين الكاشى ومصنفات البيرونى فى الفلك والجواهر والعلوم الطبيعية وكتاب المناظر للحسن بن الهيثم ومؤلفات نصير الدين الطوسى فى الرياضيات والفلك والجامع لمفردات الادوية والاغذية لابن البيطار وقانون ابن سينا فى الطب والمنصورى الرازى وغير ذلك من آثار الماضى ونظرت فى المئات من الكتب الدراسية الحديثة بكافة البلدان العربية فخرجت من ذلك كله بمعجمين احدهما يمكن ان يعتبر نواة لمعجم عام فى الالفاظ الطبية والآخر معجم خاص بالرياضيات فى العربية

واستخلصت المعنى الاصلى الـذى تدل عليه مادة الالفاظ المستعملة مستعينا بلسان العرب ومخصص ابن سيده ، وخاصة بمقاييس اللغة لابن فـارس ، وتوخيت صحة النقل فيما ذكرته عن الاقدمين ومـا حررته عن المتأخرين ونقلت الحروف التى وضعهـا واضعو المعانى العلمية معيدا شواهدهم بحذافيرها وبلغت نشأة المفردات واطوار تكوينها ، فكان اللفظ حيا متحركا متطورا ولا غرابة فما ركد ووقف قـد جمد وانقرض فكانت الطريقة الاولى التى استعملها النقلة ان ترجموا المفردات الاعجمية لفظا بلفـظ كلما وجد فى العربية ما يقابل اللفظ الاعجمى مـما يؤدى به ما يدل عليه من معنـى ، ونحن نجـد فى لغة النقلـة مـن العصر العباسـى اثرا قـويا لليونانية فى نقل الالفاظ الهندسية والحسابية من جيب ومخروط واعداد أولية واعداد زائدة او ناقصـة او متحابـة الخ · كما نجـد اثرا لحركة التبـادل فى المنتوجات العلمية بين الهندية والعربية فى القـرن الثانى والقرن الرابع للهجـرة ، ونذكـر من ذلك فى علوم الطبيعة الهنديـة والنارجيل والكهربـان وفى الرياضيات لفظ اهليلجى للقطع النـاقص ولفـظ الصفر للدلالة على الخلو واصله من السنسكريتية* كما نذكر الارقام الهندية التى اختار منها العـرب سلسلتين فاستعملوها منذ عصر البيرونى سلسلة بقيت حتى اليوم بالمشرق واخـرى تخصـص بها المغـرب العربى ولاسيـما منذ عهـد ابن البنـاء والقلصادى ونقلت الى اوربا فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى على يد LEONARD DE PISE المعروف بـ FIBONACCI وقد تتلمـذ لعلمـاء تونـس وبجاية وقد كان لابيه تجارة بأرض افريقيا تربط بين بلدان المغرب وموانىء ايطاليا على البحـر الابيض المتوسـط ، والطريقة الثانيـة فى النقل هى طريقـة الاشتقاق بانواعـه من اشتقاق صغير واشتقـاق كبير واشتقاق اكبر ، وهـذه الطريقة هى اهـم الطرق وافسحها مجالا واخصبـها انتاجا . يقـول احمد بن فارس : **«اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان للغة العرب قياسا وأن العـرب تشتق بعـض الكلام من بعض»** · وهم طبقوا هذه الطريقة حتى فى المعـرب المنقول عن اللغات الاجنبيـة المخرج الى القواليب العربية كما فعلوا فى لفظ هندسة المعرب عن الفارسية فاشتقوا منه الفعل هندس واسم الفاعل مهندس والمنسوب هندسى، وكما فعلوا فى معنى الصفر فاشتقوا منه الجمع اصفار والفعل صفر والمصدر تصفير فثبات اصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتتكون اسرة قوية الصلـة وتبقى هذه الصلة مع الاصـل وثيقة واضحة فى الذهن وفى ذلـك ما يجعل المدلول جليا — ولعل هذه الفكرة الاساسية التى يمكـن ان نستوحيها من هذه الطريقة والتى يمكن أن تهدى خطانا اليـوم وان تنير لنـا السبيل فاذا ما نقـل مصطلح من الاعجميـة باستعمال مادة من المواد اللغوية العربية فمن الواجب عند نقل مشتقات هذا المصطلح ان نرجع الى غير المادة فيكون عملنا منسقا تنسجم اجزاؤه وتتكامل فروعـه وفى راينا ان هـذا من اهم العيوب التى تعرضنا اليها فى الملاحظات التى اشرنا اليها حول مشاريع المعاجم المعروضة علينا — وان كان من حسن الحظ ان هذا العيب محـدود قاصر على بعض المصطلحات كـما نشاهد مثـلا فى نقل مصطلح SYMETRIE واستعمال مادة (نظر) فى المصطلح المقترح (تناظر) ثم استعمل فى مشتقاته مادتا التقابل والتماثل ، وهذا من شأنه ان يدخـل على اللغة البلبلة والتشويش · ونعـود الى طريقة الاشتقاق ففيهانوع ثان تحفظ فيه المادة دون الهيئة فينشأ عن ذلك تطور فى اصوات الكلمة كما نشاهـد مثلا فى ظاهرة النقل المكانى قال ابن جنى «الاشتقاق الاكبر هو أن تأخذ اصلا من الاصول فتعقد عليـه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا فتجتمع التراتيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليـه ، وان تباعد شىء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل فـيه» فعقدوا على السين والواو والقاف اذا اجتمعت معنى القوة والتجمع مهما كان ترتيب هذه الحروف فقربوا بين القوس والسوق والساق الخ · كما قربوا بين الحذر والجدر والجذل والجزع معناها جميعـها الاصل وكما فعلوا فى القسم والقصم والقسـط

---

* الصفر يعنى فى العربية الفارغ وقد قالوا منذ جاهليتهم «صفر اليدين» اى فارغها ثم استعمـل الرياضيون العرب فى العهد العباسى الصفر بمعنى المرتبة الحسابية الخالية من العدد — «اللسـان العربى» :.

والقضم والفصل والنحت والقطع الخ . وانني سوف لا اطيل للتاكيد على هذه الطريقة بعينها اذ خصص لها الزميل الدكتور رشاد الحمزاوى مقاله الذى سيعرضه علينا فسيبرز لنا اهميتها ومدى ما يمكن ان يستفيد منها العصر الحاضر لخلق المصطلحات العلمية والفنية التى نحن فى حاجة اليها ولعلنا نخرج فى النهاية بمنهاجية عامة من شأنها ان تذلل لنا كل ما سيعترضنا فى المستقبل من صعاب فى هذا الميدان

فأمر اذن الى اسلوب آخر استعمله القدماء لانشاء الالفاظ ، فنقلوا المعنى الجديد وافسحوا مجال اللفظ المتداول فى اللغة بواسطة المجاز ، وهو كما عرفه الارتشاف لابى حيان : «ان يستعمل لفظ لشىء بينه وبين الحقيقة اتصال ، وذلك كاتصال التشبيه واتصال السبب والبعضية والكلية والعموم والخصوص والاضافة والاشتمال» فاستعملوا لفظ مسح ومعناه سار فى الارض (ومعناه المسيح) نجعلوه للقيس ومنه المساحة ، ولفظ الجبر وهو اصلاح العظم المكسور استعملوه اصطلاحا لازالة حرف الاستثناء ورده فى المعادل فى الطرف الاخر فى المعادلة ، ثم اطلقوه على العلم المشهور واستعاروا لفظ الجيب وهو طوق القميص ، لنصف الوتر فى قوس ومن دائرة شعاعها وحدة فى الطول ، واستعاروا الساق لمسقط العمود ، وكذلك فعلوا فى الضرب وهو الخلط والكسر والطرح والجمع والحساب نفسه والاحصاء واصلهما من الحصب او الحصى .

وهناك طريقة اخرى عبروا عنها **بالنحت** ، وهى نوع من الاختصار والتركيب يمزج فيه لفظان او عدة الفاظ او اهم حروفها فيتولد عنها لفظ واحد جديد ، وتوام هذه الالفاظ هو التواضع والاصطلاح . على انه هناك فرق عضوى اساسى بين العربية واللغات الغربية المتداولة فى هذا الميدان ، ففى هذه اللغات يعبر عن المخترعات الجديدة بمفردات علمية مركبة طويلة المبنى تكون قابلة للتحليل صوفية بمجموعة من المعانى اللائطة بمفاهيمها الاصلية . وعلى غرار التركيب الكيماوى قد يتم التركيب اللفظى بحفظ المركبات او بانكماشها وتقلصها ، وليس فى طبيعة العربية أن تقبل قابلية ذات بال هذا النوع فى التركيب المزجى أو الاضافى لانشاء الالفاظ المركبة ، ولو أن ابن فارس كان يعتقد أن ما كان فى العربية من المفردات التى تتجاوز الاوزان الثلاثية انما هى فى غالب الاحيان من هذا القبيل اى انها مركبة منحوتة — واقر مجمع القاهرة فى جلسته المؤرخة بالحادى والعشرين من فبراير 1948 مبدا العمل بهذه الطريقة اذا اقتضى الامر ذلك ، وعلى ذلك نحتوا التحترية والحيوانات البرمائية والعناصر اللامائية واللانهاية واللامادة والكهراطيسية وقديما نحتوا يبغى روح فى صورة يبروح MANDRAGORE واقترح الاستاذ فوتة بتونس استعمال هذه الطريقة فى الكيمياء باستعماله المصطلح صفرمائى واختياره اللاحقة — دون لنقل اللاحقة اللاتينية UM أو IUM التابعة للكثير من اسماء المعادن واشباه المعادن مثل قليون SODIUM وشمسون HELIUM الخ . وهو فى ذلك يجدد ماقام به النقلة فى العصر العباسى خاصة فى ميدان الطب والادوية المفردة ، ومن ذلك ما نجده عند الرازى وابن سينا من الاسماء مثل اسارون AZARUM (ASARET) افيون OPIUM انيسون ANISUM (ANIS) غاريقون AGARICUM فربون EUPHORBIA

وانه لمن المفيد ان تدرس سلاسل الكواسع واللواحق اللاتينية واليونانية المستعملة فى العلوم وأن يقرر نقلها بواسطة وزن واحد وصيغة موحدة للكاسعة الواحدة ، وسيقدم لكم الزميل الدكتور الحمزاوى درسا مستفيضا للموضوع واقتراحات عملية من شأنها ان تعين على حل هذه المشكلة وفى ذلك اقترحت فى اطروحتى فى ترجمة الكاسعة النافية بحرف النفى لامثال ASYMETRIQUE = لا تناظرى APOLAIRE = لادورى = لاقطبى ACYCLIQUE واقترحت للكاسعة CO التى تفيد المشاركة ان تترجم بصيغة التفاعل COLINEAIRES = متسامتة COVARIANT = متغايرة : وهناك كواسع اخرى للمشاركة ايضا مثل Homéo, Homo, ISO فاقترحت توحيد الصيغة مثل HOMOGENE = متجانس HOMEMORPHYSME = تشاكل HOMOTHETIE = تحال ISOCHRONISME تزامن .

ونذكر فى النهاية طريقة هى الاخيرة فى راينا وضعا واعتبارا وهى طريقة **التعريب** اى نقل المفردات الاعجمية بلحمها ودمها ، وقد اجاز مجمع القاهرة الالتجاء الى هذه الطريقة اذا دعت الى ذلك الحاجة بأن لايوجد لفظ متداول فى اللغة او مهجور يؤدى بدقة المعنى المصطلح عليه ؟ على انى شخصيا ارى أن الالتجاء الى هذه الطريقة قد يكون مفيدا فى

المرحلة الاولى من التعريب ، وقد يفرضها الاسراع لمواكبة سائر الامم فى الميدان العلمى ، ولكنه ينبغى — على غرار ما تم فى القرنين الثانى والثالث — ان تراجع المصطلحات المعربة وان يصلح نقلها وينقح مفهومها وان يسعى ان تخلق مقابل عربى صوتا ومادة . **واما الاعتماد اساسا ونهائيا على هذه الطريقة فقد ارى فيه الطامة الكبرى على العربية وتكون مثابتها فى نظرنا بمثابة الغزو الثقافى وما اشبهه بصنوه السياسى اى الاستعمار** — وقد نكون الين جانبا فى هذه النقطة بالذات واشد تسامحا لو كنا لغيرنا انداداً نأخذ منهم كما يأخذون منا ، بدون تحرج او شعور بنقص : واما — والحالة على ما نحن عليه فيكون اعتمادنا على الغير والاستجراء والاستعارة انما يجر كل ذلك علينا ما يمكن ان يلحق بمادة الاستعارة اى العار .

وبعد ان استعرضنا شتى الطرق التى استعملها العرب عند نقلهم للعلوم اليونانية والهندية علينا ان نتساءل هل كانت اعمالهم موفية بالمعانى المترجمة اننا لاحظنا فيما سبق ان عمل الترجمة مر بمرحلتين مرحلة اولى اقترح فيها النقلة ما عن لهم من المفردات — فكانت احيانا غير موفقة وغير موفية بالمعنى وقد لاحظ ذلك الجاحظ فى رسائله اذ ذكر ان عمل حنين بن اسحاق قد احتاج الى الاصلاح والتنقيح خاصة فى العلوم التى لم يكن مختصا بها كالرياضيات واما فى الطب وكانت صناعته فيه فلم يحتج الى اصلاح ثم اتت المرحلة الثانية وقد استانس الباحثون العرب بالمفاهيم العلمية فراجعوا الترجمات واصلحوا لغتها وكان ذلك مثل عمل الحجاج بن مطر وثابت بن قرة وابى الوفاء البوزجانى وغيرهم . ثم تجاوز العلماء هذه الخطوة ونظروا فى المحتوى العلمى الذى بين ايديهم فناقشوه واجروا التجارب والارصاد فى شانه واصلحوا نتائجه فنشا عن تعدد هذه الفترات والمراحل تزاحم العديد من المفردات لاداء المعنى الواحد : فنجد الخوارزمى يستعمل لعملية الطرح مصطلح النقصان احيانا وطورا مصطلح الاستثناء والفصل طرح تتعدد المصطلحات فنجد نقص وزال والقى واسقط وحط : ونتيجة الطرح كانت تارة الفرق او الاختلاف وطورا التفاوت او الفصل : ولترجمة معنى CONCAVE استعملوا اجوف ومقعر واخمص ولـ CONVEXE لفظى مقبب واحدب : ولمعنى PLAN استعملت المصطلحات مسطح ومستو وبسيط : ونجد مثل هذا التارجح فى كثير من المصطلحات مثل CONE = مخروط (الطوسى) او مخروط صنوبرى (اخوان الصفا) و TRAPEZE تارة المنحرف وتارة (عند العامى) المعين المنحرف : والحد الثانى فى الكسر هو الامام او المخرج او المقام او الاسم : والحد الاول هو البسط او الصورة الخ وكثيرا ما استقر الامر فى النهاية واصطلح على لفظ واحد من بين هذه المقترحات المختلفة : على ان الاختلاف استمر احيانا واصطبغ بصبغة اقليمية مثل ما نشاهد فى المصطلح المستحصل للحد الاول فى الكسر فقد كان بالاندلس والمغرب العربى وبالمشرق الصورة وكثيرا ما تجاوز الارتباك والتردد اللفظ نفسه بل وظهر ايضا فى رسم بعض المصطلحات المعربة او صيغتها فكتبوا الاسطرلاب بالسين والصاد واستعملوا البركار والبيكار والفرجار الخ ...

واحيانا التجأوا الى وضع اللفظ الاعجمى بجوار المصطلح العربى خشية منهم الا يفى هذا الاخير بالمعنى المراد فنجد مثلا (اوج) وباليونانية افيجيون APOGEE وحض بعض وباليونانية افريجيون PERIGEE .

ولكن المعجم العلمى فى جملته قد استقر فى النهاية وتم التواضع على مصطلحات ثبتت على مر السنين .

وهذا بالفعل ما يدعو اليه مؤتمرنا الحاضر ، يدعو الى نبذ التشتت والاختلاف والسعى الى الوحدة والائتلاف . فانه من العيب على العربية مثلا أن يبقى الارتباك فيها واضحا ظاهرا العيان فى عصر تكررت فيه الرحلات الفضائية فيترجم فيها ESPACE بمفردات فراغ وحيز الخ ...

فعلينا اذن أن نتجنب هذه الكثرة المزعجة الهائلة من المفردات الاصطلاحية فهذه الكثرة لاتفيد اللغة ثراء بل تزيدها تحثرا وعمقا — ..

ان العربية لغتنا جميعا عليها نغار ولصالحها نسعى : وقد عملنا ومازلنا نعمل لتذليل الصعوبات التى تلاقيها فى العصر الحاضر ، ولكل عمله وسبيله ومنهجه : فليقل كل منا «هاؤم اقرأوا كتابيه» ولندخل هذا الميدان نتناقش مناقشة علمية لغوية ليس من ورائها اى مركب بل ليكن رائدنا الاساسى الحفاظ على روح اللغة واساليبها الخاصة وقد يكون فى الامكان ، بعض الصور الخاصة وفى بعض

العلوم ، ولاسيما الطبيعة ان تختص بعض البلدان بمصطلحات بعينها هى المتداولة المتواترة لديها .

ولكن املى وثيق اننا سنعمل حاثين جادين كى نتفق على الامور الجوهرية والاصول حتى نخرج من مؤتمرنا وقد قضينا على البلبلة السائدة بيننا وحتى يكون بين ايدينا معجم علمى موحد ولنتفق على منهاجية عامة موحدة تمكننا فى المستقبل من حل ما سيعرض لنا من المشاكل فى هذا المضمار وانى لأومن أن من اقوى الدوافع الى التفاهم والوئام أن تكون اللغة التى نتخاطب بها واحدة ينير كل لفظ منها فى عقل سامعها مدلولا واحدا لايقبل التاويل او المراوغة والاختلاف .

والله الموفق للصواب الهادى الى سبيل الحق والرشاد والسداد .

دخيل أم أثيل

ـ 6 ـ

الاستاذ عبد الحق فاضل

السنور (بثلاث فتحات مع تشديد الواو) :

كل سلاح من حديد • ار (= بالارمية) : (سنورو Sanoûro) : خوذة ، درع •

عند كلامنا على (السمور) ـ زنة التنور ـ (في العدد الماضي) قلنا انه قد نشا منه (السنور) : القط ، وهو يشبهه حجما وشكلا • ولعل مما يدل على ذلك تماثل جمعهما، فهذا يجمع على سنانير وذاك على سمامير • والسمور حيوان بري ، اي شرس غير اليف • وربما من هنا جاء الفعل (سنر) ـ كفرح : شرس خلقه • وصار (السنور) : الهر ، يعنى السيد ايضا ، لان السيادة كان من جملة شرائطها البأس والبطش • ولعل هذا سبب اطلاقهم (السنور) ـ بثلاث فتحات مع تشديد الاخيرة ـ على « جملة السلاح» ، ثم على « كل سلاح من حديد » ، ثم على « لبوس من قد كالدرع » • ومن ثم ظهرت في الارمية بمعنى الدرع والخوذة •

ـ السنوط (كالصبور) : •

من لا لحية له • ار : (سنوطو ـ Sanoûto ـ

يبدو ان أصل المعنى من سمط الجدي : ازالة صوفه بالماء الحار ، على قول المعجم • والاصح سمط الذبيحة فان المقصود هو الجدى المذبوح لا الحى ، كما ان السمط لا يقتصر على الجدي بل يتناول طائفة من اخوانه من بنى الحيوان • ومن هنا قيل (السميط) : الرجل الفقير ـ تشبيها للمسكين بالذبيحة المسموطة • ومن هذا ظهر السنوط (كالسبوق) ، والسناط (كالبساط) ، والسناط (كالسبات) : الرجل الخفيف العارضين ، او من لا لحية له ، تشبيها لوجهه الاملط بوجه ذلك الجدي الذي اضاع لحيته سمطا •

ـ السنونو (بالضم) :

نوع من طيور الخطاف • ار : (سنونيتو- Sanounito

الذي يبدو لنا من مقارنة بعض الالفاظ العربية ان اثل التسمية قد جاء من (السنة) : العام • وهي تجمع على سنون (بالضم او الكسر) ، وسنوات • ، وسنهات • والنسبة الى السنة : سنوى وسنهى ، ويقال سانهت النخلة : حملت سنة بعد سنة ، واسنتوا : اصابهم الجدب والقحط (اى في سنتهم) ، واسنى القوم : لبثوا سنة في موضع •

ولما كان طير السنونو موسميا يظهر صيفا في المناطق المعتدلة من كل سنة فالظاهر انهم سموه بمعنى السنوى من (السنون) ـ بالضم ـ او من واحدة من الصيغ الكثيرة التى يحفل بها المعجم من أمثال سنه يسنه ، وسنا يسنو •• او من احد الالفاظ التى لا يحفل بها المعجم ولم يحفل بها اللغويون لاندثارها او لوجودها في بعض الدارجات• فمن المحتمل انهم نطقوه اولا (السنونى) ثم ضموا النون الاخير اتباعا له بالاول • ويجوز ان تكون الصيغة الارمية بالتاء تانيثا للصيغة العربية فصارت (سنونيتو) اما مؤنثها بالعربية فهو (السنونوة) فاذا نطقت تاء التانيث هنا مضمومة اصبحت الصيغة الارمية شديدة الشبه بها •

انه مجرد احتمال لكنه فيما نخال احتمال غير واه ـ اذا تذكرنا كثرة التقلبات التطورية وكثرة المفردات العربية التى رأينا كيف دخلت الارمية بشيء من التحوير قليل او كثير •

ـ الساهور :

القمر • ار : (سهرو ـ Sahro)

كنا قد تحدثنا بعنوان « عشتار» عن طائفة من الالفاظ والتسميات الفلكية وغيرها ترتبط باسم كوكب (الزهرة) ـ بضم فتح ـ (اللسان العربي ـ العدد:

ـ الجزء : 1 ـ ص 197) · من تلك الالفاظ : (الشهر) الذي يعنى القمر ، والهلال ، وفترة دورة القمر حول الارض · ونعتقد انه كان يعنى القمر اول الامر ·

واذا استبعد القاريء ان يكون (الشهر) متطورا من (الزهرة) فسرعان ما يزول هذا الاستبعاد اذا تذكرنا ان العرب سموا القمر (الازهر) · لقد بهرهم كوكب الزهرة بتالقه وتوهجه حتى قالوا : ازهر المرء نارا : اضاءها ، وازدهر شيء : تلالا ، وزهر (بفتح فكسر) القمر او السراج او الوجه : تلالا واضاء ·

واذا طالب القاريء الكريم بمزيد من البرهان قلنا ان هناك صلة اخرى لاهوتية بين الزهرة والقمر عند القدامى لعلها هى التى ادت الى تسميته (الازهر)، وهى أن الكنعانيين (الفنيقيين) كانوا يطلقون اسم الزهرة بلغتهم (اي : عشتاروت) على القمر ايضا باعتباره الاهة انثى ·

ومن هذا (الازهر) او (الزهرة) فيما يبدو ظهرت (الساهرة) : القمر ، و (الساهور) : القمر ، او دارته اى هالته ·

ومن ثم اشتقوا (السهر) ـ بفتحتين ـ ثم (السهد) ـ بالضم ـ بمعنى اليقظة ليلا او الارق ، تشبيها بيقظة القمر وارقه احيانا · من ذلك مثلا قول فاضل الصيدلى :

ليلى وليلك يا بدر الدجى سهر
هل انت مثلى معنى ايها القمر ؟

وبعد هذا نشا (الشهر) فى العربية بمعنى القمر اولا حيث ظهر فى الارمية بصيغة (سهرو) · ثم صار يعنى بالعربية : الهلال ، مدة دورة القمر ، بالاضافة الى ذلك ·

ساوده مساودة :

ساره (بتشديد الراء) ، اي كلمه بسر · ار :
(سود ـ Sawed) : حادث ·

هذه العقدة يحلها لنا المعجم العربى من ايسر سبيل · فالسواد : الشخص والشبح · وواضح ان التسمية قد نجمت من رؤية شخص فى ظلام الليل حيث يبدو كل انسان شبحا ، وكل شبح اسود اللون · ومن ثم قالوا « رايت سوادا ، اي شخصا» · وقالوا « ساوده : لقيه فى سواد الليل » · هنا ياتينا المعجم بحله الجذرى حيث ينبئنا ان ساوده تعنى : ساره ايضا « لان المسار يدنى سواده اي شخصه من سواد الذي يساره » !

وبعد هذا ظهرت بنصها فى الارمية · ولعلها قد دخلت الارمية متاخرة·· الا اذا افترضنا ان الصيغة من القدم بحيث كانت موجودة فى لغة الارميين مذ غادروا المعربة فانسلخوا عن المجموعة الاعربية ، وان المعجم ـ اى العرب ـ ظل يحتفظ فى ذاكرته بتاويل التسمية ، لان (السواد) ظل يعنى الشخص والشبح ·

السور :

حائط حول مدينة · ار : (شورو - Choûro)

ذكرنا فى مناسبات لغوية سابقة ان (السور) اتله (دور) الذي كان باللغتين البابلية والآشورية يطلق على حصن المدينة اولا ثم على المدينة نفسها ، ومن ذلك (دورشروكين - Doûr Charroûkin) اي مدينة شروكين الموجودة بقايا من اطلالها شرقى الموصل · وشبيه بذلك : (البرج) الذي ظهر فى اللغات الاوربية بصورة burg و bourgh و boûrnougn بمعنى القلعة فى القرون الوسطى ثم صار يعنى المدينة عندهم فى مثل Edinboûrough و Johansburg و Salzburg اي مدينة ادين ومدينة جوهان ومدينة الملح

اما نشاة (دور) فمن (دوران) السور حول المدينة مثل كلمة (الحائط) التى استعملها العرب بمعنى الجدار ثم بمعنى البستان الذي يحيط به الجدار · وصارت (الدور) تعنى فى العربية ايضا جمع (الدار) ، وربما جاء معنى الجمع من كون الجدار اي السور يحيط بمجموعة من الدور ·

السوار :

حلية كالطوق للزند او المعصم · ار : (شيورو ـ Chioro)

هذا من (السور) الآنف ذكره ، لاستدارته واحاطته بالزند احاطة السور بالمدينة · ومن ذلك قالوا (سورت) المدينة : جعلت لها سورا ، و(سورت) المراة : البستها السوار ·· وضربوا بذلك المثل يوم قالوا : احاط بالشيء احاطة السوار بالمعصم ·

السوط :

ما يضرب به من جلد مضفور او نحوه · ار : (شوطو ـ - Chawto) قضيب ·

يبدو ان تسمية (السوط) في العربية قد جاءت من (الصوت) ، لان السوط اذا ضرب به في الهواء احدث صوتا كالفرقعة وخاصة اذا كانت في نهايته قنزعة من قطن او نحوه · ومن السوط صاغوا فعل : سوطر وسيطر، ثم السوطري والسيطري: المتسلط المسيطر· ونذكر بالمناسبة ان (السوطري) بالعراقية كلمة سب ، تكاد تعني ما يقال له (الاونطه جي) · والسوطري هي الكلمة العربية الوحيدة التي تحضرني الآن لاداء هذا المعنى · ويمكننا بناءا على هذا ان نسمي (الاونطه) : السوطرة !

السيـــاج :

ار : (سيوكو Siogo من (سوك ــ Sog) : اغلق ·

سجا وسجف وسدف وسدل ·· من اسرة لغوية تعني بوجه عام : الستر والتغطية · والسيـاج في العربية هو الحائط عامة ، او ما يحاط به على الكرم ونحـوه · ومن ثم قيل سوجت الكـرم تسويجـا وسيجته تسييجا : عملت عليه سياجا ، اي ما يستره من حائط ونحوه ·· مثلما قالوا اسجيت الشـيء : غطيتـه ، واسجفت الستر : ارخيته · · وشبيـه بذلك تسميتهم البستان اي الحديقة ذات الشجر : (جنة) من الفعل (جن) ــ بالفتح : ستر ·· و(الغابة) من الفعل (غاب) ·

اما (سوك - Sog) الارمية بمعنـى اغلـق فالارجح انها ليست من هذا الباب ، بل لـها اثل في العربية آخر هو (سك) بابا سده ، او ضبيه بالحديد ·

السياع (زنـة السلاح) :

الطين · ار : (شيوعو - Chio'o) : طلاء ·

الاثل هو ساح الماء : جرى على وجه الارض ، بدليل ان قولهم ساع الماء ، يعني كذلك : جرى على وجه الارض مضطربا · ومن هنا جاء تسييع الشيء : طلاؤه بالدهن او القار طليا رقيقا ، اي تسييحه عليه · وعندئذ دخلت الكلمة في الارمية بصيغة (شيوعو) بمعنى الطلاء ·

ثم قيل في العربية سيعت الحائط بالطيـن : طليته به ، او بتعبير آخر : سيحته عليه · ثم اطلق (السياع) على الطين نفسه · ثم ظهرت (المسيعة) ــ كالمسطرة : حديدة او خشبة مملسة يطين بها ، اي يسيح بها الطين على الحائط ويسوى .

السيف :

ار : سيفو - (Chioro

هذه حكايتها طويلة شيئا · ولنمسك بتلابيبها من قولهم سويت الشيء : جعلته سويا · ومن ثم قالـوا آساه بنفسه : ساواه ، ثم وسى راسه وسيـــا واوساه ايساءا : حلقه ، وكانما قصـدوا ســواه تسوية بازالة شعره · ثم صار الايساء يعني القطـع ايضا لان الحلاقة انما تكون باداة قاطعة · ثم نشات صيغة (ساف يسوف) لكنها انقرضت في الفصحى بهذا المعنى وبقيت في الدارجة العراقية بمعنـى : انملس ذهبت تتوءاته مثل (ساف الدرهم) من كثرة الاستعمال : اصبح املس وانطمست نقشته ، و (ساف المفتاح) : براه طول الاستعمال ، فهو (سايف) · وما زال في الفصحى من هذا المعنى (السفا) ــ كالشذا : خفـة الناصية ، اي قلة شعرها كانها محلوقة · وهي تعني كذلك هزال المرء ، كانما براه السقام · وسفت الريح التراب : ذرته او حملته ، فهي ساقية ــ وكانمـــا قصدوا انها برت وجه الارض اي سوته او حلقتـه او ملسته بازاحة التراب عنه · والسواف ــ بالفتح او الضم : هلاك الماشية ، وساف المال : هلك ·

ولا نستبعد انهم استعملوا (السائف) بمعنـى القاطع او المهلك ، او الحالق اي آلة الحلاقة على اقل تقدير ، كالموسى ــ آلة الوسى اي الحلاقة او القطع ــ الذي اصل نطقه قد كان بكسر الميم وسكون الواو، زنة المقلى ، بصفته اسم آلة (من باب مبرد) ثم تغلب واو (الموسي) على كسرة الميم فجعلها ضمة · ثم هم نطقوا السائف : (السيف) كما نطقوا الطيف مـــن الطائف والميت من المائت والطير من الطائر ·

- انا شخصيا مقتنع بان هذا اثل (السيف) ولو اني لا اعد ما اوردته كافيا لان يكون برهانا علميا · فلهذا اترك للقاريء حكمه في هذا وفي غيره من المتاهـات اللغوية التي ضاعت فيها بعض المعاني وتحورت معظم المباني ·

شبـــاط :

الشهر الثاني من التقويم الميلادي · ار : (شبوط - Chbot)

كان البابليون يطلقون اسم (شبـاد - Chubad على يوم المحاق من الشهر القمري ، وكانوا يتشاءمون به فلا يعملون فيه لاختفاء كل اثر لضوء القمر (الالاه)

فيه ، فلهذا اتخذوه يوم عطلة مخافة ان يعملوا شيئا في يوم النحس هذا فتسوء العاقبة • ثم اطلق الاسم على الشهر المذكور ، وعلى احد ايام الاسبوع • ومنه اسم (شبات - Chabbath) اي (السبت) عند اليهود • ومن ذلك التشاؤم البابلي جاء تحريم العمل عند اليهود فيه • ويسمى السبت في الايطالية (سابتو - Sabato) وبالفرنسية يختزل الى (سامدي samedi)

ويجوز ان يكون انتقال اسم الشهر الى العربية عن طريق الارمية ، او راسا من البابلية •

شبالا (بالكسر) :

(مماتة) كانت تعني : نحو الجهة السفلى من نهر او نحوه • ار (شفولو - Chfolo) : نزول• واضح ان الكلمة الارمية من (السفول) : نقيض العلو • وينطق (السفال) — زنة الكمال — ايضا •

ويجوز ان تكون (شبالا) المماتة هذه متطورة من هذه الكلمة العربية او تلك الارمية ، كما يجوز ان تكون من تحويرات بعض القبائل العربية قبل انفصام الارميين منهم • لكن المادة اللغوية الاثيلة عربية على كلتا الحالتين •

الشبور (زنة المتنور) :

البوق او النفير • ار : (شفورو - Chifoûro)

لعله من (الصفارة) : الاداة التي يصفرون بها• ولعلها كانت تسمى (الصفور) — بالتشديد — ومنها صيغ العصفور ايضا • ويجوز كذلك ان تكون الارمية هي التي صاغت (الشبور) من هذه المادة العربية ثم اعادتها الى العربية •

الشبث (كالشبر) :

وتنطق كذلك بكسرتين مع تشديد التاء : نوع من البقل • ار : (شبيتو - Chbeto) : السبت (بالضم) : نبات كالخطمى •

نظن اصل المعنى هو التشبك : الاختلاط والتداخل • ومنه نشا (التشبث) : التعلق ، ومنه (الشبث) — بفتح فكسر : من كان طبعه التعلق والتشبث • لذلك سميت العنكبوت (الشبث) — كالشرف — وكذلك سميت به دويبة كثيرة الارجل •

ويبدو ان تلك البقلة سميت (الشبث) اولا لانها تشبه هذه الدويبة من حيث ان اوراقها كالخيوط الخضراء الكثيرة القصيرة حول عودها ما يجعل فروع هذه البقلة يبدو كل منها كتلك الدويبة • ثم صارت تنطق (الشبث) — بكسرتين مع تشديد التاء •

وهذا التخريج مجرد احتمال نسوقه دون ان نطالب احدا بان يقتنع به ، لكن علمنا بتقلبات تطور الكلمات هو الذي سمح لنا بان نعرض هذا النموذج لعين القاريء •

بالدارجة العراقية يفكون ادغام تاء (الشبث) فينطقونه (الشبنت) • ولهذه البقلة اذا جفت حبوب يسمونها بالدارجة الموصلية (رزنايج) ، وربما كان ماتى هذه التسمية ان الشبت يسمى (رز الدجاج) ايضا ، لان حباته تشبه حبات الرز حجما وشكلا ، اما لونها فاصفر الى خضرة ، وهو ما يعرف في العالم العربي عادة باسم (اليانسون) • فان صح هذا كان هو منشا تسميته بالفارسية (رازيانج) • وان لم يكن لرز الدجاج علاقة بالامر فالاغلب ان الصيغة الموصلية هي المقتبسة من الفارسية •

شجـــاه :

اطربه • ار : سكى - Sgui) : غنى •

هذه اثلها (صج) : ضرب حديدا على حديد فصوتا • ومنها نشا (الصنج) وهو القرص من المعدن يضرب بمثله فيحدث صوتا حسن الوقع في النفس • وقد اطلق الصنج على معزف وتري ايضا • وظهر في السكسونية بصيغة (Singan) وفي الانجليزية بصيغة (Sing) بمعنى : يغني ، كما في الارمية• وانما انتقل المعنى الى الغناء بسبب مصاحبته بعزف الصنج ، فيما يلوح • (ورد الصنج ومشتقاته بشيء من التفصيل تحت عنوان ((علم الترسيس)) في عدد سابق من ((اللسان العربي)) وفي كتابنا ((مغامرات لغوية))

الشحـــرور :

طائر اسود حسن الصوت • ار (شحرورو — - Chahnoûro) ، من (شحر- Chhar) : كان اسود •

اثل الكلمة هو (الحر) : ضد البرد ، ومنه (الحرة) — بالفتح : الارض ذات حجارة سوداء • وقد تطور منها (السحر) — بفتحتين : ما قبل انصداع الفجر ، اي آخر سواد الليل • ومنها ايضا (صحرته) الشمس:

آنت دماغه ، وقد زال هنا معنى السواد وبقى معنى الحرارة . ثم (صحر) المرء ـ من باب فرح : اغبر لونه فى حمرة ، وهنا بقى اللون وذهبت الحرارة . (وعندنا أن الحمرة ايضا من الحر بدليل ان الشخص الشديد السمرة يسمى بالدارجة المغربية : احمر) .

لكن معنى الحرارة قد اندثر من مادة (شحر) وبقى منها الشحرور (كالعصفور) اسما لهذا الطائر الاسود الحسن الصوت ، وهو يسمى بالعربية الشحور (كالجوهر) ايضا .

شخل (بفتحتين)

شرابا : صفاه . ار : (شحل - Chahel) : محص الذهب اي نقاه .

نظن الكلمتين من اثلين مختلفين . فاما الكلمة العربية فترجع الى (شلشلت) الماء : قطرته ، ومنه (شلت) العين دمعها : ارسلته ، و(انشل) المطر : انحدر . وبالدارجة الموصلية (شخل) الماء من كيس اللبن (الرائب) مثلا : نزل ، ومنه (شخلت) ـ بالتشديد ـ المراة ماء اللبن او عصير الحصرم فى المصفاة : جعلته او تركته ينزل . ومن هنا جاء معنى التصفية فى العربية .

اما (شحل) الارمية فيبدو لنا ان اثلها (شلحه) ـ بالتشديد : عراه ، ومنها بالعربية خلصه تخليصا، ومنه يقال عن الذهب مثلا (اخلصه السبك) بمعنى صفاه ونقاه . وكل من لفظتى (شلح) و (خلص) يرجع الى (سلخ) ثم الى (سل) ... الخ .

الشريجة :

شبه خرج منسوج بسعف النخل . ار : (سريكتو Srigto) ، من (سركت - Srag) : نسيج .

والشريجة بتعريف المعجم : شىء من سعف يحمل فيه البطيخ ونحوه . وهى من فعل (تشرج) شىء فى شىء : تداخل بعضهما ببعض ، وشرجت الخريطة : جمعتها ، واشرجتها وشرجتها (بالتشديد) : داخلت بين اشراجها (اى عراها) وشددتها .. الى آخر اشتقاقات الكلمة .

لكن هل هذه الصيغ مشتقة من (الشريجة) التى يظنونها مقتبسة من الارمية ام ان (الشريجة) مع هذه الصيغ هى المشتقة من فعل (شرج) ؟ يؤيد هذا الراي الاخير اننا نجد للكلمة اسرة غير قليل عديدها فى العربية . من افرادها (سرجت) المراة شعرها : ضفرته . و (سرجت) ـ بالتشديد ـ المراة الثوب ، فى بعض الدارجات : شرجته ، اي خاطته خياطة متباعدة. و (المشرز) ـ زنة المظفر : المشدود بعضه الى بعض ، او المضموم طرفاه (اي كالشريجة) . ومن عجب ان يقول الفيروزابادى ان الكلمة اعجمية مشتقة من (الشيرازة) ، وواضح انها من اسرة شرس وشرز وشرط وشرك .. وشرع الحبل : نشطه وادخل طرفيه فى العروة .. وكلها من (شرق) اي : شق .

ومن (شرز) او صيغة اخرى نشات (درز) التى يعود فيها معنى الخياطة الى الظهور حيث يقال (درزت) المراة الثوب : خاطته خياطة متلززة فى الغاية ، و (درز) الخياط الدروز : دققها ، و (الدروز) جمع (الدرز) ـ بالفتح ـ وهو الارتفاع الذي يحصل فى الثوب عند جمع طرفيه فى الخياطة . ومن هنا كان (الدرزي) ـ كالبصري : الخياط ، وهذه ايضا يظنونها دخيلة من الفارسية . ومن الدرزي جاء اسم طائفة (الدروز) المنتسبين الى ابى محمد عبد الله الدرزي المتوفى عام 1019 ، وواحدهم (درزى) بالفتح خلاف الشائع الدارج بالضم . ولعل الضم قد جاء من صيغة الجمع .

فهذا كله والكثير غيره يدل على رسوخ نسب الشريجة فى العربية .

وهل لنا ان نقول انه (ربما) كان اسم مدينة (شيراز) بفارس متاتيا من مادة (شرز) التى تقدم ذكرها ؟ (1)

اما فعل (سرك) بالارمية فالذي يلوح ان اثله (السرق) ـ كالشفق : الشقة من الحرير ، وهى ترجع كذلك الى (شرق) بمعنى (شق) اثلا . فمن شرق نشا قولهم ثوب شارق (وله صيغ اخرى) : مقطع ممزق ، ثم ظهر معنى النسيج فى (الشبرقة) : القطعة من الثوب ، ومنها او من مثيلة لها اشتق (السرق) الذى قلنا انه الشقة من الحرير ، ثم صار يعنى الحرير عامة . ويظنون ان هذه ايضا من الفارسية . وقد اوردها المؤلف ضمن الدخيل

(1) نلاحظ انها او ان المدينة المندثرة بالقرب منها كانت تسمى (اصطخر) وهذه ايضا من العربية : (الصخر) ، قياسا على تسميتهم الضحاك بالفارسية (ازدهاك) .

من اليونانية (Sirikon) التى نخالها بدورها مقتبسة او متطورة من احدى الصور العربية . ونذكر بالمناسبة ان الحرير يدعى بالانجليزية (Silk) ويؤثلونها من السكسونيه (Scolc) . وهو بالفرنسية (Soie) .. وبالصينية (صي) ــ بكسرة خفيفة .

النرعوف :

نبات . ثمر . ار : (سورعوفو Soûr'ofo) : غصن ، من (سرعف - Sar'ef) : نبت ، تفرع .

نبدأ من مادة (شرع) التى اصل معناها الشق ، مثل شرك وشرق .. كالذي قلنا توا . قالوا (شرعت) ادما : قطعته طولا ، ومنه (الشرع) ــ بالكسر : شراك الفعل ، وسير يقطع من الجلد طولا ، ثم اطلق على اوتار البربط . ويظهر هذا المعنى فى (الشريط) كذلك وهو من نفس المادة اللغوية . ثم صارت بعض اشتقاقات (الشرع) تعنى الطول منها (الانف الأشرع): الذي امتدت ارنبته ، اي طالت . و (الشراعى) من الابل : الطويل العنق ، و (الشرع) ــ بالكسر : عنق البعير ، ايضا .

ومن الطول نشا معنى الارتفاع فى قولك (اشرعت) الشيء : رفعته عاليا . ثم ظهر معنى النبات لانه يرتفع ويطول ، فبينما كان (الشرغب) يعنى الطويل صار (الشرغوب) : نباتا ما ، او ثمرا ، لا نعرف ما عسى ان يكون ، ولا يعرفه ابن منظور . فنطقوا الكلمة بالفاء ايضا اى (الشرعوف) بنفس المعنى حيث ظهر فى الارمية اسم (سرعوفو) بمعنى الغصن ، ثم فعل (سرعف) بمعنى نبت او تفرع . اي ان الفعل مشتق من الاسم ، على عكس ما ذهبوا اليه .

ششقل الدينار :

عيره ، اي وزنه ليعرف قيمته . ار : (شقل ــ Chqal) : حمل .

ورد فعل (ششقل) فى العربية كذلك بصيغة (شقل) وهو اقرب الى الصيغة الارمية التى ظنوها منشا الكلمة . والشقل مستعمل بالدارجة الموصلية بمعنى الوزن والتعبير ولاسيما باصطلاح الصاغة .

لكن فعل شقل ايضا سياتى ذكره فى ترتيبه الهجائى مقابل نفس الفعل الارمى ، باعتبار العربية قد اقتبست منه كلمتين هما شقل وششقل .

اما الاثل فى العربية فقولهم قل فلان الشيء قلا : حمله ، ومثلها : اقله واستقله . ومن هذا نشا قولهم ثقلت (بالتشديد) شيئا : رفعته بيدك لتعرف ثقله من خفته . و(الثقل) ما يوزن به قليلا او كثيرا، و (مثقال) الشيء : وزنه اي مقدار ثقله . ومنه صار (المثقال) عرفا : وزن مقدار معين من الذهب اوالفضة، اي ثقل (24) حبة (من حبوب الخرنوب) . وهذا رغم يوحى بان هذا العيار ــ لا اللفظة ــ بابلى لان البابليين هم الذين كانوا يعدون بالاثنى عشر ومضاعفاته .

ومن اخوات الكلمة فى العربية (الكل) ــ بالفتح: الثقل ، او الثقيل لا خير فيه . لكن هذه كلمة جانبية نشئت من (قل) .

ونطقت (ثقل) بالشين ، لا ندري متى ، لكن اقدم صيغة شينية ــ نعرفها ــ هى البابلية ، فقد جاء فى قانون اشنة (Achnunnah) فى العراق ــ وهو اقدم من قانون حمورابى بنحو قرنين ــ صيغة (شيقل من الفضة) بمعنى عيار اي (ثقل) معين منها كوحدة قياسية لتحديد الاسعار ، ولعلها اقدم صورة معروفة للعملة .

ولولا اختلاف معنى الكلمة فى الارمية عنه فى اللغتين العربية والبابلية كلتيهما لجاز القول انه ربما كانت الارمية هى واسطة انتقال الكلمة الى العربية . لكن هذا الاختلاف يوحى بان الصلة مباشرة بين اللغتين العربية وبنتها البابلية . والارجح ان (شقل) قد نشات فى العربية من (ثقل) قبل انسلاخ البابلية عن امها .

الشط ، الشطء ، الشاطىء :

ار : (شطو . Chato) .

اثله (الشطر) : النصف ، او الجزء من الشيء ، من قولك (شطرته) : قطعته قسمين . ومن هنا جاء معنى التفريق فصار الشطر يعنى البعد ايضا ، ومنه نشا قولهم شط فلان : ابتعد وبان ، وشطت به النوى. ومثلها شت شتاتا وشتيتا وشتا . ومن هنا صار الشطر يعنى كذلك الجهة والناحية . ولما كان للنهر جانبان صار شط النهر وشطئه وشاطئه : جانبه ، وكانما قصدوا : شطره ... ومن ثم قيل شطا (بفتحتين) نهر او واد : سال جانباه . ثم اطلقت الكلمة على ساحل البحر ايضا ولو انه ليس له الا جانب واحد يرى . ثم اطلق (الشط) على النهر عامة

بالدارجة العراقية ، ثم على النهر الكبير المعروف بشط العرب .

الشاطـــر :

من اعيى اهله بخباثته . ار : (شطـــورو ـ Chatoūro) : جاهل . ضال .

نظن اصل المعنى هو الحانق البارع كما لا يزال فى بعض الدارجات ، ثم بولغ فيه فاطلقت الكلمة على الخبيث الداهية . ونلاحظ ان (الداهية) كذلك اطلقت على الذكى الاريب وعلى الشرير ، وعلى الكارثـــة ايضا . ومعانى الحنق التى اشتقت من معنى القطع موجودة فى العربية ، منها مثلا الحنق نفسه (من الحذ)، وحدة الذكاء (من المضاء والحد) ، ثم الحزم .. وحنذ (بفتحتين) القلب : ذكاؤه وسرعة ادراكه ، على حيـن ان الامر الاحذ (زنة الاصم) يعنى : المنكر الشديد .

فالشاطر الذي اصل معناه القاطع لا يستغرب ان يعنى البارع الداهية ، ثم الذي اعيى اهله بخباثته فى العربية ، ومن ثم : **الجاهل والضال ، فى الارمية .**

شط الثوب :

غسله . ار : (شطف ـ Chtaf) : غسل.

هذا الفعل جاء من مادة (الشط) الآنفة ، مبنـى ومعنى . ذلك بان اهل القرى والمدن كانوا قديمـا يغسلون ثيابهم على شطوط الانهار ، ولعل بعضهم ما يزال . ويقال كذلك **فى العربية شطف الثـوب** وغيره : غسله . وكان الشطف هذا اجـدر بان يستشهدوا به من (شط الثوب) لانه نفس الصيغـة الارمية .

الشفـــرة :

السكين الكبير العريض . ار : (سفـــر ـ Star) : قطع .

رس الكلمة هو صوت الرشف الذي منـــه صيغ فعل (شف) ، ثم الشفة ، وانشفا (مثل : على شفا الهلاك) والشفير (مثل : شفير جهنم) ، والشفر، ومشفر البعير ، والشفرة : حد السيف والسكيـــن العريض العظيم . ومن هنا نشا معنى القطع فى الكلمة حيث ظهرت (سفر) فى الارمية : قطع . على ان نطق الشين سينا قد ظهر فى العربية اولا لكن معنى القطع لبث كامنا مختفيا فى الصيغ السينية الباقية وبقيت منه اثارة فى قولهم مثلا : اسفر الصبح : اشرق . ولايخفى ان من معانى الشرق بل اصل معانيه : **الشق** اي القطع ، ومنه بالمغربية التشريق والمشرق (كالمظفر) : التشقيق والمشقق . وفى الفصحى شرقت الشاة : قطعت اذنها طولا .

فان لم تكن الكلمة الارمية قد نشات من (سفر) العربية هذه تكون قد انبثقت من (الشفرة) راســا ـ بابدال السين شينا على العادة الغالبة .

الشقر (زنة مضر) :

الكذب . ار : (سقر ـ Sqar) : نميمـة كاذبة .

الكلمة اثلها (الشرق) : الشق ، ايضا . ومن ذلك (اشرق الصبح) شبيه بقولهم (انشق الفجر) ، ومنه اشرقت الشمس : طلعت واضاءت . وتطـور المعنى وانعكس فقالوا شرقت الشمس (بكسر الراء): دنت للغروب وخالط لونها كدرة وحمرة . ومن هذا المعنى قولهم شقر (بفتح فكسر) : كان فيه شقـــرة (زنة خضرة) وهى لون ياخذ من الاحمر والاصفر ، وهما اللونان اللذان يتالف من مزيجهما ضوء الشمس الغاربة فعـلا . ثم صـــار (الرقش) ـ كالنقش و (الرقشة) ـ كالرقصة ـ يعنيان لدنا فيه كـدرة وسواد ونحوهما ، ومن ثم قالوا (الرقشاء) : الحيـة المنقطة بسواد وبياض ، ثم رقشت الشيء : نقشته ، ثم رقش (بالتشديد) كلاما : زخرفه او زوره تزويرا (اي كذب فيه كما هو واضح . ومن هنا جاء (الشقر) ـ بضم ففتح : الكذب . ثم ظهر فى الارمية بصيغـة (سقر) : نميمة كاذبة .

الشقرة (زنة الحمرة) :

لون بين الاحمر والاصفر . ار : (ســـقر ـ Sqar) : جعله احمر .

هذان اللونان كالذى مر بنا توا منهما يتالف ضوء الشمس الغاربة ، ثم تفرد معنى الحمـرة فى بعض الصيغ مثل اشرورقت العين : احمرت . ثـم اشتق (الشقر) ـ بفتح فكسر : نبات احمر ، او هـو شقائق النعمان . ثم ظهرت (سقر) فى الارمية .

الشقـــراق :

طير . ار : (شرقروقو ـ Chraqroqo)

ويسمى الشرقرق ايضا ، وكلا الاسمين العربيين ينطق بوجوه مختلفة . وهو طائر اكبر من الحمامة ،

مرقط بخضرة وحمرة وبياض • فمن هنا جاءت تسميته، اي من الوان الشقرة والرقشة آنفا • وكان الاصل ان يذكروا صيغة الشرقرق مقابل (شرقروق) الارمية لانها اقرب اليها من الشقراق •

الشقف (كالشرف) :

كسر الخزف • ار : (شقفا - Chqaf) : كسر

يظهر ان اصلها (شق) ، ومنه (شكاف - Chkaf) بالفارسية : الشق • ومن (شق) نشا قولهم شقات راسه : شققته ، وشقحت الشيء : كسرته ، وشقص الذبيحة تشقيصا : قطعها تقطيعا وقسمها بين الشركاء •

ونظن اصل معنى الشقف في العربية هو الكسر اطلاقا كما في الارمية لان بعض الكلمات العربية المتطورة منها ما زالت تعنى الكسر مثل فقش البيضة وفقسها وفقصها : كسرها بيده او فلقها ، وفقا الطبيب دملا : شقه ثم اختص (الشقف) بالمكسر من الخزف، ثم صار يعنى الخزف نفسه لسرعة تكسره • ومنه صيغ (الشقيظ) : الخزف ايضا • ونذكر بالمناسبة ان (الشقفة) بالدارجة السورية : القطعة ، او الكسرة من اي شيء •

الشقيفات (بالتصغير) :

« صنوج نحاسية ذات عرى يدخل الراقص واحدة منهما في ابهامه واخرى في الوسطى من يديه ، ويصك الواحدة باختها حين رقصه » • ار : (شوقفتو - Chouqfto) : صدمة •

ربما كان الاصح : يدخل ابهامه في واحدة منهما، بدلا من يدخلها في ابهامه •• الخ •

نحسب الاثل هو (الصفق) الذي من اسرته صفع ، وصافح حيث قالوا فعلا في المصافحة (صفق يده بيده) • وهذه ترجع في اثلها الى (صك) •

اما ان اللفظتين العربية والارمية مقلوبتان من (الصفق) بتقديم القاف على الفاء في كليهما فلا يغير راينا في تاثيل احداهما من الاخرى لان هذا القلب عربي قديم فيما يبدو ، فما زال المصريون يستعملون (التسقيف) بمعنى التصفيق • وواضح ان ضرب الصنجين ببعضهما بعضا ما هو الا التصفيق بهما • وعلى هذا يكون معنى الصدمة في الارمية هو المستحدث المتطور من الصفق ، لا العكس •

شقل الدراهم :

وزنها • ار : (شقل - Chqal) : حمل • قالوا — كما تقدم بنا — قل شيئا واقله واستقله: حمله ورفعه • ونقلت الشيء ، الخ ••• (تراجع : تشقل) •

الشاقول :

مطمار البناء • ار : (شوقولو - Choaoûlo)

اذا كنا قد اتفقنا على ان الشقل والثقل من (القل) كان في وسعنا ان نقول ان الشاقول من (الثقل) و (الشقل) ، وامكننا ان نسميه الثاقول ايضا بناءا على ذلك ، لانه خيط يربط بطرفه الاسفل ثقل ليعرف البناء به استقامة الجدار من ميلانه •

شلح تشليحا :

عرى تعرية • ار : (شلح - Chalah) •

الاثل هو سل الشيء من الشيء : انتزعه واخرجه برفق • ومنه السلخ : الكشط ، وسلخ الذبيحة : كشط جلدها • ومنه نشا التشليح بمعنى التعرية •

شنق :

(مولدة) • ار : (شنق - Chaneq) : لوى عنب •

الاثل هو النقن • قالوا نقنته : ضربت نقنه • ثم زنقت الفرس : جعلت الزناق (اي رباط الحنك) تحت حنكه (اي نقنه) • وزنقوا (بالتشديد) على عيالهم : ضيقوا بخلا او فقرا • ومنه شنقت البعير : جذبته بزمامه ورفعت راسه وانت راكبه • والشناق (بالكسر) : حبل يجذب به راس البعير ، وعلى المجاز: خيط يشد به غم القربة ، ثم كل خيط علقت به شيئا ؛ حتى صار الشنق يعنى مطلق التعليق فقالوا شنقت الشيء : علقته •

من هذه المعاني وامثالها صارت الكلمة تعنى التعذيب واللى في الارمية •

فمادة (الشنق) ليست مولدة في العربية بكل هذه المعاني • واما المولد فهو استعمالها بالمعنى المعاصر : اي تعليق المرء من رقبته ليموت •

الشهـــر :

ار : (سهرو - Sahro) : القمر ، شهـر قمري ·

لم يذكر المؤلف معنى الشهر بالعربية اما بسبب خطا مطبعي واما لانه اعتبره معروف المعنى اي هذه الفترة الزمنية بين طلوع هـلالين · لكن الواقع ان (الشهر) يعنى فى العربية ايضا : القمر ، بل والهلال، كالذى تقدم ذكره فى (الساهور) . واثله هو (الساهور) من (الازهر) ، وهذا من (الزهرة) ·

شوشه (بالتشديد) :

ار : (شوش - Chawech) ·

لا يذكر المؤلف معنى الكلمة فى كلتا اللغتيـــن باعتباره معروفا ·

هاء (بالبناء على الفتح) : كلمة تلبية ·

هوت به تهويتا : صاح ·

هوج (كفرح) : كان اهوج ، ومن ذلك الريـح الهوجاء · وتهوج الحر : تهيج ·

هاس الذئب فى الغنم : عاث · الهـــوس (بفتحتين) : طرف من الجنون وخفة العقل ، اي مـا يشبه الهوج (بفتحتين ايضا) · هوس القوم (كفرح) : وقعوا فى حيرة واضطراب وفســاد ·

هاش القوم : اختلطوا واضطربوا ووقعت بينهم الفتنة · الهوشة (بالفتح) : الفتنة والاضطـراب ، الجماعة المختلطة ·

تشاوش القوم : تهاوشوا · شوش امـرا : خلطه · عبارة مشوشة : غير مستقيمة التركيـب او المعنى ·

الشـــوق :

ار : (سوقو - Sawqo) : تنفس ، رغبة· من (سوق Sog) : تنفس ·

ربما كانت اقرب من العلاقة بين الشوق والتنفس، العلاقة بين الشوق والشجن (بفتحتين) : هوى النفس، الحاجة ، الهم · ومثلها الشجو : الحاجة ، الهم ، ويظهر ان الشجو هو الاثل المباشر للشوق ، والشجى (بفتح فكسر) : المشغول البال ، الحزين ·· وكثيرا ما استعملت بمعنى العاشق المدنف · ولعل من هـذه الطائفة قولهم اشكى فلانا اشكاءا : بثه شكواه وما كابده من (الشوق) · ويجوز ان تكون هذه المكابدة من هذا الشوق هى التى اعطت الشكوى والشكايـة معناهما العام كالشكوى من المرض ثم من الظلم او نحوه · والتوق يرادف الشوق ·

اما (سوق) فى الارمية بمعنى التنفس فلا نستبعد ان تكون لها صلة بالشوق ، لكننا نجد لها فى العربية تخريجا آخر عجيبا اذا كان صحيحا وهو قولهم ساق المريض نفسه (بفتحتين) عند الموت : شرع فى نـزع الـروح · فمن هذا السوق للنفس اتى التنفس فى الارمية فيما يحتمل ·

الشيد (كالعيد) :

ما يطلى به الحائط من جص او نحوه · ار : (سيدو - Saydo) ·

صدقت الارميـة ، فاثل الكلمة : السيـادة والسؤدد : القدر الرفيع · و السيد (كالطير) : المصدر من فعل (ساد يسود) اي مجد وشرف (كلاهما ككرم)· ومنه نشا قولهم اشاد بذكره : رفعه بالثنـاء عليه ، ثم اشاد المغنى : رفع صوته بالغناء · ومن هـذا الرفع للصيت والصوت قالوا شاد الحائط : رفعه ، ثم صار المعنى بالاضافة الى ذلك : طلاه بالملاط الذي صار يسمى كذلك الشيد (بالكسر) ·· حيث ظهـرت فى الارمية بالسين الذي راينا فيما مر بنا مرارا انـه حين يرد فى احدى اللغتين كثيرا ما يكون مقابله الشين فى الاخرى ·

الشيعـــة :

ار : (شيعتو - ʔIS) ·

(شاع) من اسرة : ذاع وساع وضاع وضاء ، واتلهن (ساح) وهذه من (سال وساب ···) ·

وشاع الخبر : ذاع اي انتشر ، ومن هـذا المعنى قالوا تشايعت الابل : تفرقت ، وتشايع القوم : صاروا شيعا اي فرقا ، ومن باب التضاد : توافقوا، ربما لان كل شيعة او فرقة يتفق افرادها علـى راي يخالف آراء الفرق الاخرى · وقالوا شيعه تشييعـا بمعنى : خرج معه واوصله الى منزله ، ثم بمعنى : ودعه · ومن ذلك شايعه : تابعه ووالاه على الامر ، وذلك شبيه بقولهم ماشيته من المشى معه وجاريته من الجري وسايرته من السير ·

فمن معنى الموافقة صيغت المشايعة بمعنى المتابعة والولاء ، ومن معنى التفرقة صيغت(الشيعة) بمعنى الفرقة اي الطائفة من الناس او الحزب • ثم صارت شيعة الرجل : اتباعه وانصاره ، وهذه الصيغة تقع على الواحد والاثنين والجمع تذكيرا وتانيثا • وهى قديمة فى العربية ثم اصبحت على العهد الاسلامى تطبق غالبا على اتباع الامام على ابن ابى طالب ، مذ قيل (شيعة على) ، ثم سموا (الشيعة) اكتفاءا •

الشياف (زنة الخلاف) :

دواء للعين • ار : (شيوفو - Chiofo)

يظهر انهم انما عدوا الاسم من الارمية لانه من الادوية •

اما فى العربية فقديما قالوا اشاف عليه : اشرف . و (أشرف) اثل المبنى واصل المعنى . ومن الشوف قيل تشوفت من البسطح : نظرت واشرفت • ومن هذا كان الشيفة والشيفان (كالسيدة والسيدان): طليعة القوم الذي يشتاف لهم اي يشرف لهم على حركات العدو • ومن هنا انتقل المعنى الى النظر فصار الشواف من الرجال : الحديد البصر • ثم اشتقوا هذا (الشياف) بمعنى ((دواء يستعمل للعين)) ، باعتباره يشفى البصر ويجلوه ويصقله • ومن هذا قيل شاف شيئا : صقله وطلاه •

واذا افترضنا هذا المعنى من الارمية حقا فان مادة الكلمة عربية ، وقد سبق ان رأينا اكثر من مرتين (فى أعداد سابقة من هذا البحث) ان التحضر لا يصلح حجة فى هذا الصدد •

الصـــاع :

مكيال • ار : (صاعو - Sa'o)

صاع فلان الشيء : فرقه •• اي ان (صاع) من اسرة ذاع وضاع وشاع •• التى تقدم ذكرهـا (فى الشيعة) • وتصوع الشعر : انتشر وتمرط • ومن انتشار الشعر قيل صوعت موضعا القطن : هيأته لندفه ، اى لجعله منتشرا كالشعر المنفوش • وواضح ان هذا المعنى الجانبى انما نشا بعد اجتياز مرحلة او مراحل نجهلها • وعندئذ اشتقوا (الصاعة) بمعنى الموضع المهيا لندف الصوف او القطن ، ثم بمعنى : المطمئن من الارض ، ثم بمعنى : مبذر صاع من الحب• ويلوح ان المقصود اصلا هو : مساحة معينة من الارض المطمئنة يبذر فيها الحب ، ثم صارت الصاعة تعنى المقدار من الحب الذي يكفى ليبذر فى تلك المساحة من الارض • وعن هذه الطريق الملتوية انتقل المعنى الى (الصاع) : المكيال يقاس به ذلك المقدار من البذار • وقد طالما علمتنا تجاربنا اللغوية السابقة الا نستبعد مثل هذا الانتقال - وقد انتقل معنى الصاع نفسه من المكيال الى الصولجان ، ربما من قولهم (صاع الملك) كالذي ورد فى القرآن ، باعتباره المقياس الرسمى للكيل ، ومثله (صاع النبى) الذي كان المقياس الرسمى للمسلمين ، وهو يعادل اربع حفنات بكفين متوسطتين من القمح او نحوه • وربما كان صاع الملوك من الذهب او الفضة فقيس عليه الصولجان فسمى به •

عبد الحق فاضل

من البحوث التي قدمت في مؤتمر التعريب الثاني بالجزائر

امكانات العربية

(جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الجديد)

الاستاذ خير الدين حقي المهندس
في كلية الهندسة بجامعة حلب (سورية)

« ان عبقرية اللغة العربية متاتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا اخرى ، فحياتها منبثقة من داخلها . وهذا التوالد يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية في السهولة والعذوبة » .

1 ــ المصطلح العلمي :

ان المصطلح العلمي كلمة كغيرها من الكلمات اللغوية تشير الى شيء حسي او معنوي ، لابد من ايضاح مفهومه اول مرة ، حتى لابن اللغة نفسه ، كما لو كان يتعلم لغة جديدة ، لكي يدرك ذاك المفهوم، وبعدئذ يثير اللفظ في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه . ويتم الانتقال الى الاشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية ايا كان اللفظ الذي اطلق عليها . اقول ايا كان اللفظ فكلمة « شمس » توحي الينا صورة الكوكب المعروف، وكلمة « دار » توحي الينا صورة المسكن الذي ناوي اليه ، وقد كان بالامكان ان نسميهما باسماء اخرى. وهكذا الحال في كل مصطلح علمي اذا ما اعطى للكلمة الشرح الكافي الدقيق فيما تدل عليه ، علي ان يلتزم اللفظ باصول اللغة ، وهو القيد الوحيد او مجموعة القيود التي يجب التمسك بها ليأتي اللفظ دقيقا لا غموض فيه .

واية كلمة ــ مهما كانت ــ هي كلمة علمية فان لم تدخل تحت هذا العلم دخلت حتما تحت علم آخر . فالبحث عن المصطلحات العلمية معناه في الحقيقة بحث اللغة وامكاناتها في التعبيرات الحضارية .

والمشتغلون بوضع المصطلحات العلمية هم اساتذة الجامعات بالدرجة الاولى ، ثم المجامع اللغوية ، وبعض الافراد ، واجهزة الاعلام والصحافة، ولا رابطة بينهم ، لذلك بدأ الاضطراب في المصطلحات العلمية ، ولا سيما ان اقطارنا العربية المتعددة لا تخضع لسلطة لغوية واحدة تفرض الكلمة او القاعدة لتصبح عامة للجميع . ولهذا تعددت المصطلحات للدلالة على شيء واحد بين قطر وآخر ، او بين جامعة واخرى في القطر الواحد ، مما افقد بلادنا وحدة التفكير العلمي . على ان الامل معقود على مكتب تنسيق التعريب للخروج من هذه البلبلة .

2 ــ اساليب اللغة العربية :

ان التفاهم في اللغة العربية لا يجري باللفظ المجرد ، فحسب ، بل يكون ايضا بالاعراب والتصريف.

فالحركات من جهة ، والاوزان او القوالب التي تصاغ فيها الكلمات من المصدر الاصلي من جهة اخرى ، هي القواعد او القيود التي يجب التزامها والتمسك بها لنبتعد عن الغموض . وان حسن اختيار المصدر الاساسي للكلمة او الفعل الذي يجري الاشتقاق منه يفصح عن المعنى ويزيد الدقة في المصطلح المراد ايجاده .

سبيلنا في وضع مصطلح جديد هو الاشتقاق ، وهو الاصل والمعين الذي لا ينضب ، ثم النحت . وهذا الاخير ــ وان زاد استخدامه في عصرنا ــ لا يتعدى ترجمة المصطلحات المنحوتة في اللغات الاجنبية المترجم عنها .

ومنعم النظر في الصيغ العربية يدرك انها لم توضع بالشكل الذي هي فيه باطلا :

ــ فالحروف التي تكون الكلمة ،

— والحركات على الحروف في الصيغة ،
— والصيغة نفسها
لكل منها وظيفة مقصودة ، فلم تات اعتباطا .

فقد بدا البحث في خصائص الحروف منذ القرن الهجري الثاني واستمر الى يومنا هذا . فبحثهـا قديما الخليل بن احمد وسيبويه وابو علي الفارسي وبخاصة ابن جني الذي كان اوسعهم بحثا وادقهم ملاحظة ، فاورد لكل حرف من الحروف امثلة كثيرة على المعنى الثابت لكل حرف او لاجتماع الحروف في الكلمة ، حتى اوحت هذه الظاهرة الى بعض الباحثين في العصر الحديث بنظرة « القيمة» التعبيرية اوالبيانية للحرف في الالفاظ العربية» . وما زال باب البحث مفتوحا في هذا المجال الذي لم تدرك بعد كل نواحيه، ولكن منزلته تاتي في المرتبة الثانية في بحثي هذا . لذلك فانني ساحاول ، فيما ياتي طرح ما هو اهم واعني خصائص بعض الحركات ، وكذلك ساختار من بحث الاوزان اسماء الآلة وبعض الاوزان الاخرى كما تتراءى لي ، وكما استعملها في الترجمات المصطلحات العلمية ملتزما منطق اللغة كما ارادها واضعوها الاوائل ، على ظني .

ا) الحركات :

ان العرب ما ليس لغيرهم في هذا الباب ، فبالاضافة الى ما للحركات في الاعراب من شان ، هي ايضا وسيلة يفرقون بها بين المعاني ، فيقولون مفتح للآلة التي يفتح بها ، ومفتح لموضوع الفتح . ومقص لآلة القص ، ومقص للموضع الذي يكون فيه القص .

وكذلك فان الفعل الثلاثي هو الغالب في اللغة العربية ، وهو ستة ابواب كما هو معلوم ، وهذه الابواب سماعية مع الاسف . ولكن الا يوجد في تنوع هذه الابواب الستة منطق ما ؟ يخيل الى انها لم توضع عبثا .

فلو اخذنا الباب الخامس مثلا « فعل ، يفعل » الذي يمتاز بالضمة في الماضي والمضارع ، نرى جميع الافعال التي على هذا الوزن بلا استثناء واحد منها هي افعال لازمة . ان هذا الشمول يبعث على العجب ويلفت النظر الى وظيفة الضمة المكررة في الماضي والمضارع كانما تشير الى اكتفاء الفاعل بذاته .

وفي اللغة العربية افعال لازمة ايضا على وزن فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) . ولكن في كثير منها قول آخر يعيدها الى وزن « فعل» اللازم ، اي يعيدها الى القاعدة الاصلية .

فنجد مثلا : سخن وسخن ، وصلح وصلح ، وشحب وشحب ، وخثر وخثر ، ورعف ورعف ، وغيرها .

كما نجد ايضا : سفه وسفه ، وسخي وسخو، وعجف وعجف ، وحمق وحمق ، وغيرها .

. ومما يزيد اعتقادي بصحة وظيفة الضمة للاكتفاء استخدامها ايضا في الافعال المبنية للمجهول والتي هي في مضمون معناها كالافعال اللازمة ، اذ تصاغ هذه بالضمة في اول الفعل الماضي والمضارع مثل « كسر الغصن ويكسر الغصن» وهي على وزن واحد هو « فعل يفعل» لجميع ابواب الفعل الستة . فهذا الشمول ايضا يبعث على الدهشة في منطق اللغة العربية في ايجاد صيغ عامة كانها نواميس طبيعية او دساتير رياضية .

وعند حذف الفاعل في الافعال المبنية للمجهول تدخل الضمة على المفعول به لترفعه الى مرتبة الفاعل دليل الاكتفاء الذاتي بعد حذف الفاعل .

والمبتدا والخبر مرفوعان بعد حذف الفعل من الجملة ، او بالاحرى بعد اكتفاء الجملة بالاسمين دون فعل يربط بينهما .

فكانما الضمة في ذهن العربي الاول حركة تشير الى ان في الكلام اكتفاء واختصار شيء ما .

وقد يكون من المفيد دراسة اسباب رفع الفاعل واسم كان وخبر ان واخواتهما ، فهل يكون السبب هو حصر الاهتمام في المقصود اكثر من سواه ؟

ولعل من المفيد ايضا كشف ما تعنيه الفتحة والكسرة والسكون في ذهن العربي الاول ، فقد يعيننا هذا في الافصاح عن خبايا تسهل لنا سبل الاشتقاق.

وعلى كل حال ، مهما كانت الاسباب او النتائج ، فان ما يدهش حقا هو ميل العرب الاوائل الى ضبط لغتهم في مجار موحدة وقواعد شاملة بمنطق حضاري سليم .

ب) الاوزان :

ان ما احصى من افعال مستعملة وكلمات مجردة لا يزيد على خمسة آلاف كلمة الا قليلا ، وهذا كل ما في اللغة العربية من اصول او مواد يمكن الاشتقاق منها .

فاللغة العربية تبدو اذن فقيرة جدا في مصدرها، فمن اين اتت عظمتها التي يعترف لها بها الجميع ؟

ان عبقرية اللغة العربية متأتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا اخرى ، فحياتها منبثقة من داخلها . وهذا التوالد يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية في السهولة والعذوبة .

فباضافة حرف اكثر من الحروف المجموعة بكلمة « سألتمونيها » على الفعل او الاسم تستنبط الاوزان » وقد عد سيبويه منها اكثر من ثلاثمائة واحصى منها ابن القطاع بعده ما ينيف على الف ومائتين .

وليس في هذا الرقم مبالغة ، لان حسابا يسيرا يظهر بسهولة انه باضافة حرف او حرفين او ثلاثة او اربعة من هذه الحروف العشرة الى اصل ثلاثي ما ، في جميع التراكيب الممكنة ، يمكن ان يستنبط حوالي عشرة آلاف تركيب مختلف . ولكن ما يستعمل منها لا يؤلف الا نسبة ضئيلة جدا ، حتى لو كانت الف وزن ، فانها لا تؤلف الا العشر .

ولو فرضنا ان مائة وزن مستعملة وسطيا فان مفردات اللغة العربية تبلغ نصف مليون كلمة ، وهو رقم يضع اللغة العربية في مصاف اغنى اللغات .

فالفعل يدل على المعنى العام ، اما الوزن فانه يدل على وظيفة الكلمة .

فوزن « فاعل » مثل كاتب يدل على من قام بالفعل . ووزن «مفعول» مثل مكتوب يدل على من وقع عليه الفعل ، وهكذا في بقية الاوزان .

وعلى الرغم مما كشفه لنا الباحثون وملأوا به الكتب من عجائب هذه الاوزان فانه ما زالت فيها زيادة لمستزيد .

واني اجد هنا مجالا لان اقتبس من محاضرة كنت القيتها عن اسم الآلة لكشف بعض خصائص اسمائها التي لم يشر اليها احد .

تقول كتب الصرف ان لاسم الآلة ثلاثة اوزان هي :

— مفعل كمبرد
— ومفعال كمصباح
— ومفعلة كمكنسة

وتقول : ان كل هذه الاوزان لا يقاس عليها ، ولكن الغالب في معتل اللازم وزن مفعلة نحو : مطواة ومشواة ومصفاة .

ويبنى اسم الآلة المشتق من الثلاثي المتعدى عليها . وقد يكون من غير الثلاثي كمئزر من (ائتزر) ، او من الثلاثي اللازم كالمرقاة من (رقي) ، او من الاسم الجامد كالمحبرة من (الحبر) .

واني اسأل : لماذا لا يقاس على هذه الاوزان ونحن في أوج معركة التعريب ؟ أليس لها ضوابط ؟.

لقد حللت في محاضرتي السابقة خصائص كل وزن من اوزان الثلاثة فوجدت ان جميع اجهزة القياس التي كانت معروفة تنحصر في وزن مفعال مثل : ميزان، مكيال ، مثقال ، معيار ، ميقات ، مسبار الخ .

لذلك يجدر بنا ان نخصص هذا الوزن للجهاز الذي ينفع للقياس ، والمرادف في اللغة الفرنسية لكلمة — mètre — او ما معناها فنقول مثلا :

— مطياف لقياس الطيف Spectromètre
— ممطار لقياس المطر Pluviomètre
— مرياح لقياس الريح Anémomètre
— منواء لقياس النوء Baromètre
— مضغاط لقياس الضغط Manomètre
(لا مضغط الذي ورد في المنجد) .
— محرار لقياس درجة الحرارة Thermomètre
— مسعار لقياس كمية الحرارة Calorimètre
— مسراع لقياس السرعة Vélocimètre
— مدوار لقياس عدد الدورات Tachymètre
— مرداد لقياس التردد Fréquenomètre
— مكسار لقياس انكسار النور Refractomètre
— مجهاد لقياس الجهد Dynamomètre

وغيرها فنخصص هذا الوزن لاجهزة القياس كافة ونحصرها به ونترك الكلمات القديمة التي على هذا الوزن دون ان نتعرض لها حتى لو لم تعن وظيفة للقياس مثل مفتاح ومنشار وسواها . اما الكلمات الحديثة الوضع كترجمة Tire-Ligne بمسطار — و Manomètre بمضغط كما وردتا في (المنجد) فحبذا لو وردت الاولى (مسطارا) على وزن (مفعل) والثانية (مضغاطا) على وزن مفعال ، جريا على الملاحظة التي اوضحناها سابقا .

من هذا نرى انه بمجرد تعرفنا القصد من وضع صيغة « مفعال » يتيسر لنا ايجاد مسميات كثيرة دون تردد او التباس ، وقد ترك لنا الباب مفتوحا لادخال مسميات جديدة قد لا تكون في وقتنا الحاضر ، لكن المكان مهيأ لها سلفا منذ الآن لتحتله في المستقبل .

واذا استعرضنا اسماء الآلة التي على وزن

« مفعل » مثل مبرد ومسرد ومثقب ومنقش ومحفر ومشرط ومبضع ومنزع ومحجم وغيرها نجد انهاادوات تقوم بعمل مباشر ، فنتركها لمثل هذه الوظيفة .

وهذا ما يوضح لنا ما اشرنا اليه سابقا من ان تسمية Tire-Ligne بمسطار تخالف فكرة الوزن الصحيح ، لان هذه الاداة تقوم بعمل مباشر وكان يجب ان تسمى بمسطر . ومثل هذا نسمي مخرطا ومكسحا ومفرزا ومصقلا ، وغير ذلك مماتجده في الاجهزة الحديثة .

اما اذا استعرضنا الاوزان التي على وزن « مفعلة » مثل محبرة ومغسلة ومكنسة ومبخرة وملعقة ومطرقة ومسطرة وغيرها فنجد ان ما يشتق على هذا الوزن هو آلة تقوم بعمل غير مباشر فهي بالاحرى وسيلة . فالمحبرة وسيلة لحفظ الحبر وليست هي التي تصنع الحبر ، والمغسلة وسيلة الغسل وهكذا .

بهذا نرى ان: مصفاة ومشواة ومطواة قد خضعت للقاعدة وعبرت عن وظيفتها لا لانها معتلة العين فقط.

فالوزن ، كما يتراءى لنا ، هو العامل المسيطر في التعبير عن الوظيفة قبل الاخذ باية اعتبارات اخرى.

ولدينا وزن آخر جدير بالعناية وقلما ينكر في اسم الآلة ، وانما ينكر للالوان مثل دهان وصباغ ، او للباس مثل غطاء ودثار وحجاب ، وهو وزن « فعال » الذي ياتي على وزنه للآلة اسماء كثيرة مثل: حزام ولجام وزمام وخطام وخزام وقراب وسوار وزناد وسنان وغيرها . وهذه الادوات تقوم بعمل مباشر ايضا كالادوات التي على وزن « مفعل» ولكن هنالك مع ذلك فارقا بين المجموعتين . فما كان على وزن مفعل لا يزول منه اثر الآلة بعد زوالها . فالمبرد يبقى اثره بعد البرد ، وكذلك المبضع والمنقر وغيرهما. على ان زوال الآلة التي على وزن فعال لا يبقى اثرا يدل على وجودها .

وفي لغتنا اوزان اخرى حملها المحدثون معنى اسم الآلة فادته بكل يسر و سهولة مثل :

فاعل وفاعلة	نحو نابض وباخرة
وفعال وفعالة (1)	نحو جرار وطيارة
ومفعل ومفعلة	نحو محرض ومنوبة

وغيرها من الاوزان التي علينا الا نستعملها اعتباطا دون ان نحدد وظائفها وخصائصها حتى لانقع في الغموض والخروج على منطق اللغة العربية الذي تمتاز به من سائر اللغات بضوابطها الدقيقة .

ج) المفـــردات :

لعلي بما قدمت عن الحركات ، كما تبدو لي ، بالاضافة الى ما اقتبسته من محاضرتي السابقة عن اسم الآلة قد توصلت الى ابراز ناحيتين جديرتين باهتمامنا في خصائص اللغة العربية هما :

— تاثير الحركات
— والاوزان ودقتها

فهما السلاحان الماضيان في ايدينا لوضع المصطلحات الحديثة ، يضاف اليهما ما تركه اسلافنا من مفردات غنية يمكن ان تكون لنا عونا في الانتقاء للكلمة التي هي اصلح وادق من بين مجموعات الكلمات التي تتصل بمعنى واحد ، وذلك سواء اكان المقصود لشيء مادي ام لتعبير حسي ام لشعور نفسي مما تتطلبه العلوم العصرية من دقة وانضباط .

وفي تراثنا ذخر من هذه المفردات مبوبة مدلات مجلدات مثل فقه اللغة للثعالبي وكتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لاحمد بن فارس وادب الكاتب لابن قتيبة وغيرها .

ولابد لي من ان اقتطف نموذجات ثلاثة من مئات غيرها ، الواحد لشيء مادي ، والثاني لشيء حسي، والثالث لشيء عاطفي .

فكمثال لشيء مادي ساورد ترتيب ما ارتفع من الارض من الجبيل الصغير الى الجبل الطويل العظيم :

فاصغر ما ارتفع من الارض هو النبكة ، ثم الرابية اعلى منها ، ثم الاكمة ، ثم الزبية ، ثم النجوة، ثم الربع ، ثم القف ، ثم الهضبة (وهي الجبل المنبسط على الارض) ، ثم القرن (وهو الجبل الصغير) ، ثم الدك (وهو الجبل الذليل) ، ثم الضلع (وهو الجبل ليس بالطويل) ، ثم النيق (وهو الطويل) ، ثم الطود، ثم الباذخ والشامخ ، ثم الشاهق ، ثم المشمخر ، ثم الاهود والاخشب ، ثم الايهم ، ثم القهب (وهو العظيم مع الطول) ، ثم الخشام .

والجبل بين حضيضه وقمته تفاصيل دقيقة ، وكذلك نرى لانواع الارضين والوهاد والتراب والطين

1) اجاز المجمع اللغوي وزن فعالة لاسم الآلة كعصارة وطيارة .

والطرق والحفر وغيرها ما يميز بعضها من بعض في تغيراتها تقلباتها .

اما لما يقع تحت الحواس فاني اضرب مثلا عن تغير طعم الماء .

— فالماء الشريب هو الماء الذي ليس فيه عذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه .

— الماء الشروب هو دون الشريب في العذوبة ولا يشربه الناس الا عند الضرورة .

— والماء الهجهج لا عذب ولا ملح .

— والماء الزعاق ماء مر لا يطاق شربه .

— والماء الآجن الماء المتغير الطعم واللون غير انه شروب .

— والماء الجوى منتن فوق الآجن .

— والماء الملح خلاف العذب (ولا يقال مالح)

— والماء الاجاج ملح مر

— والماء القماع اشتدت مرارته (تحترق منه اجواف الابل)

— والماء الآسن لا يشربه احد من نتنه

وهكذا الماء السماء والماء العذب والماء البارد والماء الساخن والماء الضافي والماء الكدر وجري الماء وتفجره وانبثاقه ورشحه وصوته نجد لكل هذه الحالات ولحالات كثيرة غيرها مسميات بحسب التغيرات والصفات التي يحملها الماء .

وكمثال على ما يخالج النفس اضرب مثلا عن الحب وتفصيله :

فاول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة ، وهي الحب اللازم للقلب . ثم الكلف ، وهو شدة الحب . ثم العشق ، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب . ثم الشعف ، وهو احراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج فان تلك هي حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق . ثم الشغف ، وهو ان يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه . ثم الجوى وهو الهوى الباطن .

ثم التيم وهو ان يستعبده الحب . ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى . ثم التدليه ، وهو ذهاب العقل من الهوى . ثم الهيوم وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه .

ومثله للغضب والحزن والفرح والبكاء وغيرها.

وهنا يحضرني ما قاله الكاتب المرهف فولتير « ان اللغة ، اية لغة ، تعجز عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا ، فالفروق كثيرة لا تكاد تلمس ، فتضطرنا اللغة مثلا ان نعبر بلفظ الحب او البغض عن آلاف من ضروب الحب او البغض كلها مختلفة ، وكذلك الحال في موضوع آلامنا وملاذنا » .

فهل ينطبق هذا القول على اللغة العربية ؟ وهل تكون هذه السعة والدقة في المعاني وصمة في لغتنا كما يريد بعضهم ان يتهمها بها ؟

ان في بطون المعجمات والكتب العربية الكثير من الكلمات التي يمكن ان تجد لها مدلولا حضاريا ، اما بانطباق المعنى على المعنى المراد ترجمته انطباقا دقيقا ، او بالاستعارة او بالتشبيه ، فلن تعجز العربية بما فيها من غنى من جهة ، وبحسب طرق الاستنباط المتطنى للكلمات من جهة ثانية ، عن استيعاب الحضارة مهما اتسعت .

3 — المصطلحات القديمة والمصطلحات الحديثة :

اذا قلت ان « اللغة العربية تستطيع استيعاب الحضارة مهما اتسعت » فلا اعني مطلقا انه لابد ان نجد كلمات تغطي حاجات العصر وهي الآن في بطون كتبنا ويكفي التفتيش عنها حتى نجدها . لا ، اننا لسنا اصلا في هذا العصر بحاجة الى ان نستخدم مثل هذه الطائفة من الكلمات للتعبير عما ارتفع من الارض او عن تغير الماء . فالمدنية الحديثة اصبحت لا تبنى مقاييسها على الاحساس فقط ، اذ قد يكون الماء الذي اراه انا آجنا يراه غيري شروبا . ان الدقة العلمية تستند اليوم الى القياسات ، واذا كان معروفا منها قبلا الاطوال والمساحات والحجوم والاوزان والمكاييل والزمن واشياء اخرى فلم تكن هذه ايضا تقدر بوحدات محددة . فالذراع الهاشمية غير الذراع التجارية وهما غير ذراع البناء . والقصبة في مكان تختلف عنها في مكان آخر وهكذا الفرسخ والرطل والاوقية والدرهم والاردب وغيرها مما يفقد الدقة تماما .

اما اليوم فان المتر والغرام والثانية والليتر وغيرها واجزاءها واضعافها هي وحدات عالمية لها مدلولات ثابتة . وعليه فان تقدير الجبال مثلا يجري بتحديد اطوالها وعروضها وارتفاعاتها مقدرة بالوحدات الاساسية مما اغنانا عن كلمات كثيرة للتمييز كانت ضرورية في تلك العصور .

والتطور الحضاري اوجب الاتفاق على وحدات ثابتة لقياس كل مكتشف حتى ما كان يظن انه لا يمكن قياسه كالسمع ومقدار حساسية الاذن ، والانغام بالاهتزازات الصوتية . والرؤية بالعدسات وتاثرها

بالاضاءة • والنور بالطيف واهتزازات موجاته وشدته وضعفه • ولابد ان للشم والذوق والاحساس وحدات قياسية ايضا • واكتشاف الكهرباء والمغناطيس واستخدامهما وغيرهما من الطاقاتكالحرارة والجاذبية الارضية والطاقة الشمسية او النووية كل اولئك قد خلقت وحدات للقياسات تعين جهدها وشدتها ومفعولها ودرجتها وكميتها بوحدات معرفة بتعاريف لا ياتيها الخلل ، مما يجعل المصطلح العلمي بحسب هذه الوحدات مفهوما بقدر دقة هذه الوحدات •

فالماء المتغير وغيره مثلا ليس بحاجة الى ان نطلق عليه مجموعة من الاسماء تتعب الذهن ويستحيل حتى على الضليعين باللغة استظهارها ، وانما يقدر تغيره بمقدار ما يحويه من املاح او اجسام عضوية او جراثيم بحسب ما تظهره الفحوص المخبرية المستندة الى قواعد علمية وقياسات نوعية •

واذا كانت القياسات والتعبير بالوحدات الاساسية يعقد المسمى اولا ياتي بالوضوح فان اسلوب التسمية يتغير بما يجعله اكثر وضوحا • فاسماء المركبات الكيماوية مثلا ، وبخاصة مركبات الكيمياء العضوية تعطي نموذجا ممتازا لهذا النمط من التسمية •

فمن المعروف ان ما اكتشف من مركبات الفحمانيات Hydrocarbure قد بلغ مئات الالاف مما تعجز اغنى اللغات واوسع الادمغة عن ان تجد لكل منها اسما خاصا • الا انه بحسب تركيب ذرات الفحم في المادة وتفرعاتها وبحسب الوظائف الكيماوية للجسم من حمض او ملح او كحول او اميد او امين او سواها امكن ببضع عشرات من الكلمات تغطية كل هذا العدد الضخم من الاجسام وايجاد مسميات جديدة لها بطريقة تصلح في المستقبل لتسمية اجسام لم تكتشف بعد ، وذلك بحسب قواعد تنبىء عن تركيب الجسم ووظائفه في آن واحد • وان كان يعاب على هذه الطريقة ان قوام الاسم كلمات ، تؤلف احيانا جملة طويلة ، لا احرف تختصر الاسم ، فان هذا النقد لا يكون عيبا ينقص من قيمة هذه الطريقة التي حلت المشكلة على وجه ممتاز •

فاوجه التسمية والدقة في التعابير قد اختلفت اذن بين الماضي والحاضر اختلافا كليا ، ويبدو ان اللغة العربية سوف تفقد امتيازها بوفرة مفرداتها وسوف تتقلص لتنحصر في نطاق الكلمات الاصلية وتصبح لغة محدودة • وبالتالي فانها ستمنى بخسارة جسيمة ، ولكن ليس في جميع الميادين بل لا بد ان يبقى قسم كبير من هذه المفردات قائما في مسميات كثيرة ليدل على غنى اللغة وسعتها • فاذا كان العلم قد حدد للاشياء المادية قياساتها ، واخضع الحواس ايضا الى مقاييس ، فانه حتى الآن لم يخضع العواطف والهواجس النفسية لمثل هذه القياسات ، وستبقى اللغة العربية في الطليعة في هذا المضمار ، الى ان ياتي اليوم الذي تخضع فيه هذه ايضا للقياسات المخبرية • فقد تكتشف موازين للحب والبغض والصداقة والفرح والنخوة والمروءة •• الخ ، وعندها قد يسأل المرء عما سيبقى لنا من مزايا لغتنا ؟ ولعل طرح هذا السؤال الآن ليس سابقا لاوانه ؟

4 — العربية لغة الضوابط :

نعم ، ان السؤال لابد ان يطرح الآن وفي يقيني انه ليس سابقا لاوانه • فهل يكفي ان نترصد ظهور الكلمات العلمية وان نجد لها ما يعطي معناها ؟ ان ايجاد كلمة مهما كانت موفقة لا تغني اللغة الا بهذه الكلمة فقط ، لكن ايجاد قاعدة تنطبق على مجموعة من الكلمات ، كلما امكن ذلك ، معناه ادخال عدد وافر من المصطلحات في اللغة واغناؤها بها دفعة واحدة •

فللاوزان في لغتنا سر عظيم وهي وسيلة بارعة في توسيع اللغة وامتدادها في جميع الاتجاهات ، على ان نسمح بتعميمها والقياس عليها فلا نقف عند حدود الكلمات التي اوردها اسلافنا فحسب •

ولقد لمسنا في تعميم اسماء الآلة مبلغ جدوى هذا التعميم في ناحيتين :

— ايجاد مسميات لآلات القياس مثلا بكل سهولة • بعد ان تحدد معنى وزن مفعال •

— امكان تطبيق هذا الوزن على ما قد يكتشف، اي التوسع والامتداد في اللغة •

ان خدمة اللغة الحقيقية هي في سلوك هذا السبيل وتعبيده ما امكن ليسهل سلوكه للجميع • واننا اذا فقدنا عددا من المفردات فسنعوض بهذه الطريقة اضعافه وبمدلولات ادق ، ولن يضيرنا ايضا ان نفقد عددا من الكلمات لتادية معنى واحد مثل ما في :

« غلب الرجل وغلب عليه (يغلب) غلبا وغلبا وغلبة ومغلبا ومغلبة وغلبى وغلبى وغلبة وغلابية » ان كل هذا قد فات اوانه ولم يبق له ذلك السحر القديم •

فالاوزان فى اللغة العربية قد غطت اغراضا مختلفة مثلما تغطى اوتار الآلة الموسيقية مدروجات الانغام ... Harmonies والمهارة فى استعمال هذه الاوزان لتشبع حاجات العصر مثلما يشبع العازف اللحن بهذه الاوتار مهما ابتكر من الالحان .

فنقل الفعل المجرد مثلا الى اوزان المزيد قد غطى اغراضا كثيرة ومختلفة كالتعدية والتكثير والسلب والمشاركة والصيرورة والمطاوعة والتكلف والطلب والانتساب والتدرج والمبالغة والتحول وغيرها . فلماذا تبقى سماعية ولا تعمم ؟

والمشتقات من لفظ الفعل ، والاوزان الاخرى العجيبة المدلولات فى دقة معناها واختصار مبناها ، لماذا تبقى محدودة المعطاء ؟ وقد نفتش احيانا عن جملة لترجمة مصطلح مع أن وزنا مجهولا كان يمكن أن يؤدي المعنى بدقة .

ان المصدر يحدد معنى الفعل والوزن يحدد الوظيفة كما قلنا . فلو غاب عنا معنى الفعل لا تغيب عنا الوظيفة المقصودة بمجرد سماع الوزن وهذا يؤلف نصف الفهم على الاقل . فلو قلنا ((كظيم)) نفهم ان احدا او شيئا اتصف بالكظم ولو لم نفهم معنى ((الكظم))، كما نفهم بسهولة من كريم وفهيم من اتصف بالكرم والفهم . وكذلك من : اكرم وافهم من تجاوز فى كرمه الكريم وفى فهمه الفهيم .

وان كلمة شروب معناها الماء القابل للشرب والمرادفة لكلمة ... Potable الفرنسية . وكثيرة هى الكلمات الفرنسية المنتهية بالزائدة able أو الزائدة ible فوزن ((فعول)) يمكن ان يقوم مقام هذه الزائدة فنقول :

— شروب (قابل للشرب)	Potable
— صدوء (قابل لان يصدأ)	Oxidable
— بدول (قابل للتبدل)	Variable
— صمود (قابل للصمود او قادر عليه)	Tenable
— قلوب (قابل للانقلاب)	Reversible
— عكوس (قابل او قادر على عكس النور)	Reflectible
— مدود (قابل للتمدد)	Extensible
— طفوء (قابل للانطفاء)	Extinguible

ويمكن ان نطلق الوزن نفسه على ما يفيد المعنى السالف الذكر مثل شفوف الجسم الذي يمكنه ان يشف قليلا Translucide وقد ترجمه كثيرون ((بنصف شفاف)) مع أن وزن فعول يغطي المعنى بيسر .

ولابد ان نشير الى أن وزن فعول يفيد المبالغة ايضا كودود وصفوح . ولكن لما كان للمبالغة اوزان كثيرة فقد يكون من المفيد استثناء هذا الوزن منها للمصطلحات العلمية الحديثة وقصره على المعنى السابق .

واذ نقول ((آلة قلوبة)) (1) كالدينامو ... Dynoma مثلا فان ذلك يفيد ان هذه الآلة تقوم بعملين متعاكسين . فان ادرناها انتجت تيارا كهربائيا ، وان غذيناها بتيار كهربائي دارت . وكذلك العنفة Turbine ، التى ان غذيناها بتيار مائى دارت ، وان ادرناها دفعت الماء كالمضخة النابذة . وهكذا فى الكلمات الاخرى التى لها مدلولات يؤديها الوزن ((فعول)) بكل دقة .

وفى الكهرباء حوادث كهربائية مختلفة لكنها مشتركة فى صدها للتيار كالمقاومة الكهربائية Résistance فصيغت فى اللغة الفرنسية باسماء استعيرت لها الزائدة ance الظاهرة فى آخر كلمة Résistance على ان وزن ((مفاعلة)) يفنى لاداء المطلوب فنقول :

— مقاومة	résistance
— ممانعة	Impédance
— محارضة (من التحريض الكهربائى)	Inductance
— مواسعة (من السعة الكهربائية)	Capacitance
— معارضة (مغناطيسية)	Perditance
— مضايعة (من الضياع)	Admitance
— مسايرة	

كما نستعمل المصدر الصناعى باضافة اليساء المشددة والهاء فى نهاية بعض اوزان الاسماء المشتقة للدلالة على ما يتميز به الاسم كما او كيفا ، فنقول :

انتاجية	Productivité
قلوبية	Reversibilité
مقاومية	Résistivité

فالمقاومية مثلا غير المقاومة ، اذ نقول ((ان

---

(1) وزن (فعول) بمعنى فاعل يأتى بصيغة واحدة للمذكر والمؤنث نحو : ولد ضحوك ، وبنت ضحوك لكننا نفضل تجاوز هذا الشذوذ وتطبيق قواعد التذكير والتأنيث المألوفة فى استعمال هذا الوزن لهذه الغاية .

مقاومية النحاس هى اقل من مقاومية الحديد) • على ان مقاومة سلك معين من النحاس قد تفوق اضعاف مقاومة سلك معين من الحديد ، مثلما نقول ان القطن اخف من الحديد (ونعنى بذلك الكثافة) على انه قد يكون وزن كتلة معينة من القطن يفوق وزن كتلة معينة من الحديد اضعافا •

وقد كان يمكن ان نستعمل الياء غير المشددة مع الهاء كوزن فعالية نحو رباعية وكراهية ورفاعية وطواعية وطماعية وشآمية ويمانية وهو وزن مألوف، الا ان النطق به قد يصعب لبعض الكلمات كما فى « مقاومة» التى يعسر نطقها على مثل هذه الصيغة•

وزيادة الياء المشددة والهاء قد درج استعمالها فى كلمات عصرية كثيرة مثل « استراتيجية وامبريالية واقطاعية» للدلالة على النوع ، او الوحدة او الجمع مثل (اعمال خيرية) ونسب اخرى غيرها ولكنها عند استعمالنا اياها تدل على ما اشرنا اليه سابقا •

ونعتقد انه لا ضرورة لتعداد الامثلة على فوائد الاوزان اكثر مما اتينا على ذكرها لنؤكد ان الاوزان هى مزية اللغة العربية الكبرى التى بفضلها ستتبوأ مكانها رغم ما ستضيعه من مزايا اخرى •

ولاضرب مثلا شاملا لكل ما جاء مستخدما فعل صبغ :

- صبغ اصل الفعل
- الصباغة الحرفة
- الصباغ محترف الصباغة
- المصبغ الجهاز فى الآلة (ان وجد) والذي يحمل الصباغ ويقوم بطبع اللون على النسيج (يقوم بعمل مباشر) •
- المصباغ الجهاز الذي تقاس به دقة الصباغة
- المصبغة آلة الصباغة — Machine
- المصبغة مكان الصبغ
- الصبوغ النسيج الذي يقبل الصباغة ، كان نقول « ان القطن صبوغ اما الحرير الاصطناعى فلا »
- الصبوغية تدل على التفاوت فى قابلية الصباغة، كان نقول « ان صبوغية القطن اكبر من صبوغية الكتان» •

وهكذا عدا الاوزان الاخرى المعروفة التى لم نذكرها والتى يعطى كل وزن منها معنى مختصرا وواضحا ولا سيما ان عينا معنى الوزن بدقة •

يكاد يخيل الى ان العرب قد بلغوا فى حقبة من الحقب السحيقة فى التاريخ مرحلة من النضج والحضارة الرفيعة ، ما زالت مجهولة لدينا ، امكنهم خلالها ان يتواضعوا على ضبط اصول لغتهم بهذه الاوزان الشاملة والمعبرة عن نواح حضارية مختلفة واحاسيس مرهفة ، وان يفرضوها على انفسهم ، فاقتبستها منهم الاجيال اللاحقة ناضجة • ولعل الشذوذ الذي يبدو فى الاصول الاولى هو من فعل الزمن فى فترات التخلف والتشتت • والا فهل يكون من قبيل المصادفة المحضة ان تجيء جميع الافعال التى على وزن فعل يفعل لازمة وان ما يبنى للمجهول يكون على وزن واحد هو فعل يفعل ؟ وان نجد مجموعة الاوزان الاخرى يدل كل واحد منها على وظيفة خاصة مما يسهل الكثير على المتكلم والسامع ويجعل اللغة العربية خاضعة لسنن واضحة ؟

لعل هذا ما دفع ارنست رينان ان يقول « من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القوية وتبلغ درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها • ولم يعرف لها فى كل اطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تباري ، ولا نعرف شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة » •

واننا نرى فى عصرنا الحاضر ، عصر العلم والتنسيق ، محاولة على غرار ما توصل اليه العرب فى عصرهم الغابر ، هى ابتكار لغة مستنبطة من اللاتينية وفروعها لتكون لغة العالم ، واعنى بها لغة الاسبرنتو — Esperanto وتتألف هذه اللغة من مصادر تضاف اليها زيادات فى اولها وآخرها لتعبر كل زائدة عن الوظيفة المطلوبة من الكلمة ، وان تكون القواعد شاملة ، كما اريد من اوزان اللغة العربية ، بصورة تسمح باتقان اللغة الجديدة فى وقت قصير جدا • ولكن لم يكتب لهذه اللغة الانتشار لمزاحمة اللغات الاخرى لها • الا انه مهما كان مصير هذه اللغة الجديدة فان ما يعنينا من امرها هو ان نشير الى ما كان يتحلى به الانسان العربى الاول من منطق سليم وصفاء فى الذهن يجاري بهما ما يتمتع به انسان القرن العشرين من عقل علمى منهجى • فهل نستهين بهذا التراث ؟

5 — المصطلحات العربية الحديثة :

ان كثيرا من المصطلحات العلمية وجدت المعنى

المطابق لها تماما ، سواء للفظ قديم وضع للغرض نفسه او لقريب منه ، وهناك كلمات اخرى ترجمت ترجمة حرفية ، واخرى صيغت ، واخرى عربت .

وقد كانت بعض الكلمات الموضوعة موفقة وبعضها الاخرى تنقصه الدقة بحسب قواعد اللغة وقد اوردت فيما تقدم من بحثي نموذجات منها ، ولا ضرورة للزيادة .

وسبب عدم الدقة على الغالب ضعف المترجمين احيانا ، او نزوات آخرين .

فالذي ترجم كلمة Adsorption مثلا بكلمة ((ادمصاص)) يعطي مثالا لمثل هذه النزوات (فكلمة Adsorption هي كلمة علمية مستحدثة في اللغة الفرنسية ، وضعت للتعبير عن حادثة فيزيائية هي دخول غاز او سائل دخولا سطحيا في جسم صلب، كانما امتص الجسم الصلب الغاز او السائل الى عمق محدود . فهي ليست امتصاصا Absorption يدخل فيه الغاز او السائل الى الاعماق بل هي امتصاص سطحي كما قلت .

فقد تكون كلمة Adsorption الفرنسية نحتا من كلمتين هما Adhérer و Absorber وهي قاعدة جارية في اللغات الاجنبية . فهل نحت واضع كلمة ((ادمصاص)) هذه الصيغة من كلمتي ادخل ومص ؟ ما اظن ذلك .

اغلب الظن انواضعها اخذ الجزء الاول من الكلمة الفرنسية ad واخذ الباقي من الكلمة العربية ((امتصاص)) فكون كلمة هجينة لها الجرس العربي لتتماشى الكلمتان ادمصاص معا ، على نحو ما ورد مثيله على لسان العرب في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة فقالوا : ((الغدايا والعشايا)) ولم يقولوا (الغدايا) اذا افردوها عن (العشايا) لانها (الغدوات). وكما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ((ارجعن مازورات غيرماجورات)) واصلها))موزورات)) فاجراها مجرى الماجورات للمجاورة بينهما .

او لعل واضع الصيغة جرى مجرى الزيادة ، فمن سنن العرب ادخال بعض الحروف على الاسم اما للمبالغة واما للتشويه والتقبيح . فيقولون مثلا للكثيرة التسمع والنظر ((سمعنة نظرنه)) . كمايقولون ((رعشن)) للذي يرتعش لادنى سبب ، و ((صلدم)) للصلد الشديد وكذا .

ولكننا نرى في ادمصاص تبديلا وتغييرا لا زيادة على كلمة ما .. على ان مجال الزيادات ضيق ، على العموم ، في اللغة العربية . الا انه في اللغات الاجنبية كثير ، وتخدم هذه الزيادات لاغراض مختلفة فمنها ما يضاف الى اول الكلمة . ومنها ما يضاف الى آخرها : ونشعر ، في كثير من الاحيان ، ونحن نترجم بعض المصطلحات ، التي لا يستوعبها وزن من اوزان اللغة العربية ، بحاجة لغتنا الى مثل هذه الزيادات ، ويا حبذا لو يتفق على ما يلزم منها ، لتصبح هذه الزيادات قياسية غير محصورة في الفاظ محدودة مثل رعشن وصلدم واضرابهما .

على كل حال ، مهما كانت الحجج والاسباب التي تذرع بها واضع كلمة ادمصاص فاني ارى في هذه الصيغة ضعفا للاسباب التالية :

ا) اذا قبلنا الكلمة واردنا الرجوع الى اصل الفعل نجده فعل ((دمص)) ومنه ((ادمص ـ ادمصاصا)) على وزن ((افعل ـ افعـلالا)) مثل ((اخضر ـ اخضرارا ـ وازور ـ ازورارا)) . لكن وزن ((افعل)) هو وزن لازم ونحن نريد من ((ادمص)) ان تكون متعدية ليستقيم المعنى . فان قلنا ((ادمص الحديد الازوت)) نريد منها ان الحديد قد ابتلع الازوت . وهو ما لا يصح مع هذا الوزن كما يصح في امتص الذي هو من وزن ((افتعل)) المتعدي احيانا (واللازم احيانا) وليس افعل اللازم دوما .

ب) لفعل ((دمص)) في اللغة معنى . فدمص الشيء ـ اسرع ـ ودمصت الكلبة بجروها : القته لغير تمام .

وفعل ((دمص ـ دمصا)) الرجل معناه قل شعر راسه .

فالصيغتان تدلان على نبذ الشيء ، والحادثة الفيزيائية عكس ذلك .

ج) لو لم يراع المترجم المجاورة وصاغ الكلمة من فعل ((دمق)) لكان اقرب للمعنى . فدمق ودمق وادمق الشيء في الشيء ادخله ، والدميق المدخل في غيره ، كان نقول ((ان الدميق المستعمل هو الازوت)). وعليه تكون ترجمة adsorption هي كلمة ((اندماق)) المشتقة من ((اندمق)) والتي تعني ايضا الدخول بغير اذن ، وهو معنى قريب من المطلوب .

د) ان فعل دمق فعل مهجور ، لكن صيغته

مستساغة • فان احييناه لهذه الحادثة فلا تشريب علينا ، لان كثيرا من الكلمات قد تغيرت معانيها في عصور مختلفة •

فالمؤمن والمسلم والكافر والفاسق والصوم والصلاة والزكاة والركوع السجود وكثير غيرها لم تكن لها المعاني نفسها في الجاهلية كما نعرفها في صدر الاسلام بعد ان شرعت شرائع وشرطت شرائط • ومثل هذا جرى في العصور الاسلامية التالية سواء في الفقه او الشعر او النحو او العروض او العلوم الاخرى مما جعل الكثير من الصيغ مدلولا لغويا ومدلولا صناعيا • وهكذا فاننا نحن نطبق هذا في وقتنا الحاضر لاستنباط كلمات من بطون المعجمات نعطيها لمصطلحات جديدة وقد كان لها فيما مضى معان اخرى وهي اكثر من ان تحصى ، ففي المصطلحات المعروضة على مؤتمركم هذا الكثير منها ، وواجبنا ان نمحصها ونتفق على توحيدها دون ان نخرج على قواعد اللغة ، وهو الشيء الاساسي الذي نتمناه •

6 — الخلاصة :

ما قصدت التزمت في قولي « عدم الخروج على قواعد اللغة» وانما قصدت السير على سنن اللغة في الشمول والتعميم مع توسيع آفاق الاشتقاق لتضم اطراف الحضارة الآخذة بالتوسع اخذا مذهلا •

ولعل ادخال بعض الزيادات ينفع ايضا ليغطي مجالات واسعة مما نفتقر اليه •

واغلب ظني ان تقدم الحضارة وتوسع البحوث والتجريبات والكشوف ستطرح على اللغة العربية في يوم قريب مسالة التحري عن مصادر عربية او غير عربية تشتق منها المعاني التي عليها ان تلبي حاجة العصر • فهنالك تراكيب كثيرة ثلاثية لم تستعمل بعد على الرغم من خفتها وعدم تنافر حروفها •

فمن حروف كلمة ثلاثية مثل « كتب» يمكن تركيب ست كلمات هي :

— كتب من الكتابة
— كبت صرع وانل
— بتك قطع
— بكت ضرب بالسيف او العصا ، او غلب بالحجة
— تبك ليس لها معنى
— تكب ليس لها معنى

فلماذا لا تكون الصيغتان الاخيرتان مستعملتين؟

اننا نرحب بكلمات اعجمية مثل « تلفن» لترجمة كلمة Téléphone و « تلفز » لترجمة كلمة Télévision واضرابهما لانها تجري بسهولة على قواعد لغتنا في التصريف والاشتقاق ، فلماذا نقصي تراكيب تمد بالالاف وقد يمكن ان تؤدي خدمات كثيرة ؟ لعل حفداءنا او اولادنا ، او لعلنا نحن سنلجأ الى استخدام التراكيب غير المستعملة ، ففي ذلك مضاعفة لمفردات اللغة ، على ان نبتعد عن الكلمات العقيمة التي لا تتوالد بحسب السنن التي وضعها اسلافنا وان نلتزم قواعد عامة وشاملة متجنبين الشذوذ ما امكن ، ففي لغتنا منها ما يكفي على الرغم من منطق لغتنا الاصيل •

حـــول الاصطلاحات العلـميـــــة

للأستـــاذ ساطـع الحصرى

« كان المرحوم ساطع الحصري (ابو خلدون) علما من اعلام التربية والتعليم والثقافة فى الوطـــن العربى ، وكان بعضهم يعده فيلسوف القوميـــــة العربية .

من جملة مآثره كتابه « آراء واحاديث ــ فى اللغة والادب » نقتبس القراء منه هذا الفصل لما فيه مـــن تعمق واصالة بالرغم من كثرة ما كتب الكاتبـــون فى الموضوع ، آملين ان يكون فيه محرك للقرائح وحافز لها على مزيد من تدارس وتمعن ومناقشة فى هـــذا الشان الذي باتت له خطورته الخاصة فى حياتنـــا العلمية والتعليمية » .

« اللسان العربى »

(أ) ــ الاصطلاحات العلمية

ان مسالة الاصطلاحات العلمية فى اللغة العربية اصبحت من اهم المسائل التى تشغل بال المفكريـــن والمعلمين والمترجمين والمؤلفين .

لقد صار كل من يتوغل فى العلوم الحديثة يشعر بفقر اللغة العربية فى الاصطلاحات التى تحتاج اليهـا تلك العلوم ، على الرغم مما اشتهرت به من الغنى .

فبينما نرى بعض اللغويين يدعون ان العربيـــة اغنى لغات العالم نرى بعض المفكرين يذهبون الـــى عدم قابليتها لتكوين المصطلحات العلمية التى يحتاج اليها الجيل الحاضر .

اننا لا نشارك الاولين فى افراطهم ولا نوافـــق الآخرين على تفريطهم ، فاننا نعيش فى عصر تباعـــد فيه معنى الغنى عن معناه القديم تباعدا كليا ، فالغنى الان لا يقاس بمقدار الذهب المكنوز فى الصناديـــق او المدفون تحت التراب ، والا لوجب علينا ان نعتبـــر بعض شيوخ البادية من اغنى رجال العالم ، اذ ممـــا لا شك فيه ان كثيرين من ابطال الثروة وملوك الاقتصاد لا يملكون من الذهب المكنوز ما يملكه بعض الشيوخ .

وكذلك الامر فى اللغـــات ، فالغنى فى اللغـــة لا يقاس بعدد الكلمات المسطورة فى القـــواميس ولا بكثرة المترادفات المطمورة فيها ، فان القواميس لـــم تكن مجمعا للكلمات الحية فقط ، بل هى مدفن للكلمات الميتة ايضا ، ولا سيما القواميس العربية فانها مملوءة بالكلمات المهجورة التى فقدت « قيمة التـــــداول والاستعمال » . فمثل الذين يتفاخرون بكثرة الكلمات المسطورة فى القواميس ــ بدون ان يلاحظوا حيويـــة تلك الكلمات وفائدتها ــ كمثل من يتفاخر بسعـــــة بلده ، بدون ان يميز بين مساكنها ومدافنها .

وما اللغة الا آلة للتعبير عن المرام ، غايتهـــا القصوى الافصاح عن كل ما يخطر بالبال ويخالـــج الضمير افصاحا تاما ، باعظم ما يمكن من الوضـــوح والتاثير ، وباقل ما يمكن من الجهد والعناء . فدرجـــة الغنى فى اللغة يجب ان تقدر وتقاس بدرجة اقترابها من هذه الغاية ، وبمبلغ قابليتها للتعبير عن المعانى التى تجول فى الاذهان وتخالج الضمائر .

ولا مجال للانكار ان اللغة العربية بعيدة عـــن الغنى ، بهذا الاعتبار .

لكن ما شأن هـــذا الفقر الراهـــن ، هل هـــو متولد من نقص فى قابلية اللغة نفسها ، ام هو ناتج عن توقف طرا على نشوئها ؟

اننا لا نتردد لحظة واحدة فى الاخذ بالشـــق الثانى ، فان اللغة العربية وان اصبحت فقـــيرة بالمصطلحات اللازمة ، لا تزال غنية بالقابليات الكامنة. وقد مر عليها حين من الدهر كانت فيه لغة علم وتفكير بكل معنى الكلمة ، حتى انها صارت تدرس فى بعض الجامعات الاوربية الكبيرة ــ بجانب اللاتينيـــــة

واليونانية ـ كلفة علم ضرورية للاحاطة بالعلـــوم العالية ، كما انها تركت فى اللغات الاوربية عددا غير قليل من الاصطلاحات العلمية ، التى لا تزال مستعملة فيها حتى الان ·

فلماذا لا تتمكن من النهوض مرة ثانية والتكيف بمقتضيات العصور الحاضرة ، كما كانت تكيفت من قبل تكيفا تاما بمقتضيات العصور الغابرة ؟

لا شك انها ان احست اليوم عاجزة وقصيرة ـ بعد ان كانت بالامس غنية وقديرة ـ فما ذلك الا لان المتكلمين بها قد انقطعوا عن مزاولة العلوم منذ قرون ، ولانهم حبسوا اذهانهم فى دائرة ضيقة من الادبيات والشرعيات ، منصرفين اليها عن كل ما سواها · وكانى باللغة العربية قد ظلت داخل هذه « الشرنقة المعنوية » جامدة خامدة ، لا تتحول ولا تتكيف ، ولا تنمو ولا تتطور ·

ان المصطلحات وليدة الاحتياجات ، فانها لا تتكون الا عندما يشعر الناس بالحاجة اليها ، ولا يشعر احد بالحاجة اليها الا عندما يفكر بمدلولاتها ، فيضطر الى البحث عنها فى احاديثه او كتاباته · ولهذا السبب عندما انقطع الناطقون بالضاد عن التفكير فى مواضيع العلوم توقف نمو اللغة ونشوء الاصطلاحات بطبيعة الحال · واما عندما اخذنا نلتفت الى العلوم الحديثة فقد صرنا ندرسها وندرسها باللغات الاجنبية، فلم نعرب منها الا مبادئها · ويمكننا ان نقول ان عمر الدراسة الثانوية فى البلاد العربية لم يتجاوز ربع القرن (1) ، اما الدراسة العالية فهى لا تزال فى حالة الجنين ، فلا غرابة والحالة هذه اذا ظلت العربية فقيرة من وجهة الاصطلاحات العلمية ·

اما وقد بدات منذ مدة تباشير النهضة الفكرية وزاد عدد الذين يدرسون ويدرسون ويكتبون فى المواضيع العلمية فقد اخذ « الشعور بالحاجة الى الاصطلاحات » يتقوى من يوم الى يوم ، وصار المفكرون والكتاب يقدمون على استحداث الاصطلاحات ونحن لا نشك فى ان هذه الحركة العلمية ستجعل اللغة العربية غنية بالاصطلاحات التى تحتاج اليها فى امد غير طويل ·

الا ان هذه الحركة لم تجد الى الآن حظا كافيا من «الاهتمام التنظيمى» لذلك صرنا نرى تبلبلا فى المصطلحات المستعملة من قبل الكتاب المختلفين ، وخلافا بينا فى امرها ليس بين الاقطار العربية فحسب بل بين الكتاب الذين يعملون ويكتبون فى القطر الواحد ايضا ·

اننا نرى هذه الاختلافات طبيعية نوعا ما ، ولا نجد فيها ما يستوجب قلقا كبيرا ، لاننا لا نشك فى ان هذه الكلمات المختلفة ستتغربل وتتصفى ، وسيبقى فى ساحة الاستعمال اوفقها واصلحها . ولذلك نحن لا نخشى تعدد الآراء والاقتراحات والاستعمالات ، بل نعتقد انها لا تخلو من بعض الفوائد ، لانها تفسح مجالا اوسع « للاصطفاء الارتقائى » بحكم قانون « بقاء الاصلح » فلا مجال للتخوف اذن من شىء ما خلا الركود والجمود · فالحركة الحقيقية والمستمرة ستؤول حتما الى توليد احسن الاصطلاحات وتعميمها . كلنا يعلم ان كلمة (تلفون) الافرنجية تغلبت على الكلمات العربية التى اقترحها بعض اللغويين فى حين ان كلمة (طيارة) العربية تغلبت على الكلمات الافرنجية التى استعملها بعض الكتاب فى باديء الامر · فالخلاف حول هذه الكلمات لم يستمر طويلا ، لان الحاجة الى استعمال مدلولاتها قضبت على المناقشة النظرية سريعا · وكذلك تعبيرات « اللامركزية » و « الدستورية » و « الانتداب » تعممت بسرعة كبيرة عندما اخذت التطورات السياسية تدخل مدلولاتها فى اذهان الناس وتضطرهم الى البحث عنها ، وذلك بدون ان يبقى مجال طويل للمناقشات النظرية حولها وبدون ان تحدث بلبلة من جرائها ·

فاذا ما بقينا الى الآن محرومين من معظم الاصطلاحات العلمية واذا ما رأينا بلبلة واضحة حول بعض تلك الاصطلاحات فما كل ذلك الا لان الحركة العلمية لا تزال فى حالة بدائية ، كما ان الصلات الادبية بين المفكرين والمعلمين الذين يشتغلون فى الاقطار العربية المختلفة لا تزال ضعيفة ، حتى ان وسائل التعارف والتعاون بين المشتغلين فى القطر الواحد ايضا لا تزال غير كافية ، ونحن لا نشك فى انه كلما اشتدت الحركة وتعممت ، وكلما ازدادت الصلات واستحكمت ، ازدادت المصطلحات الحديثة وتوحدت، فلا يبقى اثر للبلبلة التى نشاهدها الآن ·

---

(1) يلاحظ ان هذا البحث كان قد نشر عام 1928 ـ فى مجلة « التربية والتعليم » فى بغداد ·

اننا نقول ذلك لنبين انه ليس هناك ما يدعو الى التشاؤم . ولا نقصد من قولنا هذا انه ليس ثمة ما يستلزم العمل والجهود . بل اننا بعكس ذلك نعتقد انه قد حان وقت تنشيط العمل وتنظيم المساعي حول هذه المسائل ، وانه قد اصبح من الواجب علينا ان نتوسل بكل الوسائل الممكنة لتشجيع الحركة وتنظيمها :

ا) — بتداول الآراء بين المفكرين والمعلمين بمخابرات ومذاكرات خصوصية .

ب) — بفتح باب المناقشة والبحث في المجلات حول مسالة الاصطلاحات .

ج) — بعرض هذه المسائل على مؤتمرات تعقد من حين الى حين ،

د) — بايجاد هيئات مستديمة تشتغل بهذه الامور ، وتسعى لتنظيمها بصورة مستمرة (1) .

***

كنا الفنا لجنة اختصاصية رسمية النظر في امر الاصطلاحات العلمية في دمشق الشام سنة 1920 ، وكانت اللجنة اخذت على عاتقها ان تقرر في بادىء الامر الاصطلاحات العلمية المدرسية التي يحتاج اليها المعلمون في الدراسة الثانوية ، وان تنتقل بعد ذلك الى سائر الاصطلاحات ، وقد اختطت لنفسها خطة عمل تسير بموجبها في هذا الباب ، وقررت ان تنظم « نشيبة » Fiche خاصة لكل كلمة على حدة يدرج فيها : (ا) : منشا الكلمة واشتقاقها ، (ب) ما يقابلها في اللغات الاوربية الحية ، (ج) ما استعمل من الكلمات العربية مقابلها في الكتب المطبوعة في مصر وسورية وتركية ، (د) ما كان يستعمل مقابلها او في معان مقاربة لها في الكتب العربية القديمة ، (هـ) ما يوجد في القواميس من الكلمات الملائمة لمعناها .

فتختار اللجنة اوفق الكلمات ، بعد ملاحظة جميع المعلومات ، ثم تعرضها على كبار المشتغلين في اللغة والعلوم في البلاد العربية المختلفة ، وتعيد النظر في الامر بعد ورود الاجوبة ومناقشتها ، وتتخذ قرارها النهائي بعد هذه التدقيقات والمخابرات والمناقشات كلها .

وكانت اللجنة قد بدات في ترتيب «النشيبات» وجمع المعلومات ، الا انها تشتتت على اثر اندراس الحكومة العربية ، قبل ان تجد مجالا لانجاز عمل من الاعمال التي كانت تستهدفها .

***

وقد تالفت لجنة رسمية اخرى في مدينة السلام(2) سنة 1926 لتقرير الاصطلاحات العلمية ، الا انها الغيت لاسباب لا مجال لشرحها بعد مدة وجيزة قبل ان تنجز عملا ذا بال ، مع انها كانت قد وضعت « خطة علمية » لعملها ، و « اعتبرت المواد الآتية قواعد ودساتير تتبعها فيما تضعه وتقرره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية » :

« 1 — ان الاشتقاق قياسي في اللغة قياسا مطلقا في اسماء المعاني التي هي عرضة لطروء التغير على معانيها ، ومقيد بمسيس الحاجة في الجوامد .

« 2 — ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري : اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب . ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجح النحت عند الحاجة .

« 3 — لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب فانه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشان في كثير من المعربات الموجودة في اللغة .

« 4 — يشترط في الكلمات التي تختار من كتب اللغة ليعبر بها عما حدث وتجدد ان تكون مانوسة غير نافرة ، والا وجب تركها والذهاب الى طريقة الاشتقاق او التعريب .

---

(1) تحققت نبوءة الكاتب في هذه الفقرة بتاسيس مكتب تنسيق التعريب العمل على توحيد المصطلح العربي الذي تضعه المجامع العربية والجامعات وغيرها من المؤسسات والافراد ؛ كما تحققت الفقرة السابقة بالمؤتمرات اللغوية التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واما بصدد الفقرة (ب) فخير مجال البحث والمناقشة هو مجلات المجامع والجامعات ؛ وهذه «اللسان العربي» .

(2) اللسان العربي : يقصد بغداد ، التي كان مديرا عاما للمعارف فيها عندئذ .

« 5 ــ يرجع الشائع المشهور من المولـــد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات الـتي في المعاجم .

« 6 ــ لا يشترط في المعرب رده الى وزن مـن اوزان الكلمات العربية ، لكن يستحسن ذلـك ان امكن ، كما يستحسن تغييره بما يجعله قريـبا مـن اللهجة العربية » .

***

ولقد قبلنا هذه القواعد من حيث الاساس ، واخذنا نسير عليها في اختيار الاصطلاحات التي نضطر الى استعمالها .

مع هذا ، راينا من الضروري ان نضيف اليهـا القواعد والمباديء الآتية :

1 ــ ان بعض المصطلحات تبقى بطبيعتـها محدودة الاستعمال ، فلا يستعملها عادة الا طبقـة خاصة من الاختصاصيين . اما بعض المصطلحـات الاخرى فتكون مرشحة للانتشار، وذلك لانها ستستعمل حتما من قبل جميع افراد الطبقة المنورة ، وقد تدخل في لغة الشعر والادب ، وتنتشر بين جميع الناس .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة الجوهرية ، عندما نحاول الترجيح بين الاشتقاق والتعريب . ففي القسم الاول من المصطلحات يمكننا ان نستعمـل الكلمات الاجنبية ، كما انه يجوز لنا ان نبقيها عـلى هيأتها الاصلية . اما القسم الثاني فمن الواجب ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . واما اذا اضطررنـا الى استعمال كلمـة أجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما وذلك بان نفرغها في قالب عربي يسهل به لفظها على الناطقين بالضاد .

ولا حاجة بنا الى البيان بان الاصطلاحـات العائدة الى البكتريولوجي ــ مثلا ــ تعتبر من القسم الاول ، او الاصطلاحات العائدة لعلم النفس فهي من القسم الثاني .

2 ــ ان من المصطلحات ما يكون جامدا مـن حيث المعنى فلا يحتاج الى مشتقات ، في حين ان منها ما يكون متصرفا من حيث المعنى فيحتاج الى عـدد قليل او كبير من المشتقات .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة ايضا ، فلا نختار مقابل المصطلحات التي هي من الصنف الثاني الا ما يقبل التصريف . فعندما نبحث عن اصطـلاح من الاصطلاحات يجب ان نلاحظ مشتقاته المستعملة في اللغات الاجنبية لكيما نضع ما يقابلها جميعا صفة واحدة .

مثال ذلك اننا عندما نفكر في الكلمـة التـي سنصطلح عليها مقابل Objectif يجب ان نلاحظ في الوقت نفسه . ان علينا ان نشتق منها مـا يقابل كلمات :

(1) Objectivité, Objectivisme objectivation

وعندما نحاول ان نوجد كلمـة مقابـل Idéal يجب ان نفكر في الوقت نفسـه في مشتقاتها الضرورية مثل : Idéalisme, idéaliste

لذلك لا نعتقد بكفاية تعبير « المثل الاعلى » الذي صار يستعمل في هذا المعنى ، لان التعبير عاجز عـن توليد مشتقات تقابل كل المعاني(2) .

3 ــ ان بعض المصطلحات ذات علاقة شديدة بمصطلحات اخرى لدلالتها على معان متقاربة او متعاكسة . فيجب علينا ان نلاحظ جميع هذه المصطلحات مرة و احدة لكي نحصل على تناسب بينها من جهـة ولكي لا نخصص كلمة مقابل احدى المصطلحات ، في حين انها قد تكون اليق والزم للدلالة على غيرها مـن جهة اخرى .

مثال ذلك اننا عندما نبحث عـن اصطـلاح يقابل كلمة Automatique التي تدل عـلى نوع من انواع الحركات والافعال ، يجب علينا ان نلاحظ بقية الانواع ، ونفكر فيما يقابل كلا من كلمات:

Involontaire, spontané, Réflexe, instinctif, reflex

فقد راينا بعض الكتاب ترجموا كلمة بكلمة «لا ارادية» لانهم لم يلاحظـوا ان مدلول هذه الكلمة ما هو الا نوع من انواع الافـعـال الـ « لا

---

(1) صاروا يقولون الان : الشيء والشيئية والتشيؤ والتشييء ــ «اللسان العربي »

(2) صار يقال « المثالي والمثالية » ، مقابـل المصطلحين المذكورين اكتفاءا بالمثل ، مع حـذف «الاعلى» باعتباره معلوما ــ « اللسان العربي » .

ارادية » وان هناك كلمة involontaire التي تطابق اللاارادي كل المطابقة (1) .

4 — لم يتيسر للغة من لغات العالم ان تصل الى درجة الكمال المطلق من وجهة المصطلحات في جميع العلوم . لان غاية الكمال في اللغة هي ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين ، وان لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة ، في حين انه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات تدل على معان مختلفة ، حتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال في بعض العلوم — مثل الطبيعيات والرياضيات — فانها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الاخرى — مثل النفسيات والاجتماعيات .

فعندما نحاول وضع اصطلاح مقابل كلمة واحدة ، لا ينبغي لنا أن نوجد كلمة تدل على جميع المعاني المفهومة من الكلمة الاصلية على اختلاف انواعها ، بل بعكس ذلك يجب علينا ان نوجد اصطلاحا خاصا مقابل كل معنى من تلك المعاني المختلفة على حدة .

مثل ذلك ان كلمة Sujet في الفرنسية تدل على سبعة معان مختلفة — (راجع قاموس الفلسفة الذي نشر تحت رعاية جمعية الفلسفة الفرنسية) — يقابلها في الالمانية ست كلمات وفي الانكليزية كلمتان . واذا حاولنا نحن أن نوجد كلمة واحدة مقابل جميع هذه المعاني المختلفة نكون قد كلفنا انفسنا مشقة عظمى بدون جدوى ، وذلك في سبيل تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا اعمى .

ان مقارنة الاصطلاحات التي تستعملها الامم المختلفة تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الاحوال دلالة ثمينة ، فلذلك يجب علينا ان نلاحظ الاصطلاحات المستعملة في الافرنسية والالمانية والانكليزية ، قبل ان نقرر الاصطلاحات الملائمة للغتنا .

5 — أن الاصطلاحات من الامور الوضعية الاعتبارية . فالكلمات المصطلح عليها في المعاني العلمية ، لا تدل على تلك المعاني — من حيث اللغة — دلالة تامة ، الا في بعض الاحوال الاستثنائية . فلذلك ليس من الضروري ان نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية ، بل من الاوفق ان نتحرى الكلمة التي بمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور واوضحها .

ولما كان يتعسر علينا — في معظم الاحوال — أن نوجد كلمة عربية تدل على المعنى المطلوب دلالة تامة تحتم علينا ان نبحث عن اقرب الكلمات من المعنى المطلوب وان نخصصها به ، وان كان معناها اللغوي الاصلي اعم او اخص من هذا المعنى .

هذا ولا حاجة الى البيان ان الكلمات لا يمكن أن تخصص بمعان جديدة ، اذا كانت كثيرة الاستعمال في معانيها القديمة ، فيجب ان نختار الكلمات التي نود تخصيصها بمعان جديدة علمية ، من التي لا تستعمل كثيرا او ان نصوغها بصيغة لم تدرج عليها الا قليلا .

مثال ذلك ان كلمة Behaviour الانكليزية تستعمل في علم النفس بمعنى اصطلاحي لا ينطبق على معناها اللغوي كل الانطباق . فلا يجوز لنا ان نترجم هذا الاصطلاح بكلمة «سلوك» لان هذه الكلمة لا تدل على المعنى المقصود من جهة ولا يمكن ان تخصص بهذا المعنى لكثرة استعمالها في معنى آخر من جهة اخرى . فمن الاوفق أن نختار كلمة اقل شيوعا من كلمة السلوك فنقول مثلا « انتهاج » ولا حاجة الى الايضاح بانه لا يتعسر تخصيص هذه الكلمة بالمعنى المطلوب لعدم استعمالها — في هيأتها هذه — استعمالا دارجا .

6 — ان «قصر اللفظ وسهولته» من اهم الاوصاف التي يجب ان تتصف بها المصطلحات ، لا سيما اذا كانت مما سيتداول على الالسن تداولا كبيرا . فاذا نظرنا الى المصطلحات الافرنجية راينا معظمها قصيرة وسهلة التلفظ — كما اننا نرى بعضها آخذة في التطور نحو صيغ اقصر من ذي قبل . فقد صار الناس يقولون « سينما » مقام « سينماطوغراف » و « راديو » مقام « راديوفون » ، و« مترو » عوضا عن « متروبوليتان » . كما ان علماء الفلك صاروا يقولون parsec عوضا عن تعبير Paraflaxe-seconde أي «اختلاف المنظر — ثانية واحدة » .

فلا يجوز والحالة هذه ان نعتمد كثيرا على

(1) مقابل refle صاروا يستعملون الانعكاس — « اللسان العربي » .

التراكيب الاضافية الطويلة التي تتالف عادة من اسمين وحرف تعريف ، بل يتحتم علينا ان نهتم بامر « القصر والسهولة » اهتماما كبيرا ، وان نقدم على النحت والاختزال بمقياس واسع .

ونحن نعتقد ان «التوسع في النحت » اصبح من اهم حاجات اللغة العربية ، ونظن ايضا انه لا سبيل بدون شك الى اغنائها بما تحتاج اليه من الاصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة .

اننا لا نقصد من «النحت » تركيب الكلمات العربية من بعض الجذور الاعجمية — كما يقترحه بعض الكتاب — بل نقصد «النحت الاصولي » الذي ادخل في اللغة العربية عددا غير قليل من الكلمات والتعبيرات المختزلة مثل شقحطب ، وبسملة ، وولاشاة ، وجرمة — تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفتقر العلوم الحديثة الى امثالها افتقارا شديدا .

(ب) — النحت

ان الوسائل التي يمكن الاستفادة منها لتكوين كلمات جديدة — بقصد الدلالة على معان جديدة — تتلخص في ثلاث طرق اصلية : الاشتقاق ، التعريف، النحت .

لا ريب في ان «الاشتقاق » هو اهم الوسائل الثلاث ، لانه « الافعولة » الاصلية التي كونت اللغة العربية ، فستبقى هذه الافعولة بطبيعة الحال اهم الافاعيل التي ستعمل على توسيعها . زد على ذلك ان عملية الاشتقاق تشمل الوسيلتين الاخريين ، اذ انها تتناول نتاج « التعريب والنحت » ايضا ، وتولد كلمات جديدة ، حتى من الكلمات «المعربة والمنحوتة» .

ومع هذا لا شك في ان الاشتقاق وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج اليها التفكير البشري ، لان عمله مقصور على اوزان وقوالب معينة ، وهذه الاوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع ان تستوعب جميع المعاني العقلية . فلابد من الاستعانة بالتراكيب ، والاقدام على تركيب كلمتين او اكثر على شكل تراكيب مزجية ووصفية واضافية ، وحتى على هيأة جمل فعلية .

فالنحت يتناول البعض من هذه التراكيب — التي تتردد كثيرا على اللسان — فيلصق اركانها ويجعلها كلمة واحدة ، تتصرف مثل الكلمات المفردة ، ثم يختصرها ويختزلها ، ويجعلها شبيهة بالمفردات .

ان علماء اللغة يعتقدون ان «النحت» قد ادى عملا مهما في تكوين اللغة ، فانه اوجد معظم الافعال الرباعية والخماسية ان لم نقل كلها ، كما انه اوجد عددا غير قليل من الحروف في ابان تكون اللغة العربية، وولد بعض المصطلحات المهمة في دور النهضة الفكرية الاولى . ونحن نعتقد باننا وصلنا الى دور اشتدت فيه حاجتنا الى الاستفادة من النحت اشتدادا كبيرا، ونظن ان هذه الافعولة اللغوية ستعود الى النشاط وتجود علينا بعدد كبير من المصطلحات التي نحتاج اليها في نهضتنا الفكرية الجديدة .

وبناء على ما ذكر سنشرع في ايراد اهم ما كتبه علماء اللغة عن النحت ، واهم الكلمات التي تولدت من النحت ، ثم نلحق بذلك بعض الاقتراحات حول كيفية الاستفادة من النحت في وضع الاصطلاحات العلمية الحديثة .

1 — النحت في الكتب القديمة

جاء في كتاب «الصاحبي» — في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم — تصنيف احمد بن فارس (من ائمة اللغة في القرن الرابع الهجري) ما ياتي :

« العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم «رجل عبشمي» منسوب الى اسمين : وانشد «الخليل :

اقول لها ودمع العين جار الم تحزنك حيعلة المنادي؟

من قوله « حي على » . وهذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من ضبط وضبر، وفي قولهم « صهصلق » انه من صهل وصلق ، وفي «الصلدم» من الصلد والصلد — وقد ذكرنا ذلك في كتاب « مقاييس اللغة » — (الصاحبي من 227)

وجاء في الكتاب نفسه بعض « تعليلات نحتية » عن بعض الحروف ، مثال ذلك :

« كأن — كلمة تشبيه : قال قوم هي « ان» دخلت عليها كاف التشبيه فخففت » . (ص 132) .

« لكن — قال قوم هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معان : منها « لا » وهي نفي ، والكاف بعدها

مخاطبة ، والنون بعد الكاف بمنزلة «ان» الخفيفة او الثقيلة . الا ان الهمزة حذفت منها استثقالا ، لاجتماع ثلاثة معان في كلمة واحدة » (ص 141)

« ايان — بمعنى متى ، اي حين . قال بعض العلماء : نرى اصلها « اي اوان » فحذفت وجعلت الكلمتان واحدة . (ص 11)

وقد ايد « الثعالبي » هذا التعليل في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » واضاف الى كلام ابن فارس ما يأتي :

« كقولهم ايش ، واصله اي شيء . (فقه اللغة ص 535)

وقد ذكر ياقوت في معجم الادباء في ترجمة الظهير النعماني اللغوي ، ان عثمان بن عيسى النحوي البلنطي شيخ الديار المصرية ساله يوما عما وقع في كلام العرب المنحوت ، ومعناه ان الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة ، فشقحطب منحوت من شق حطب . فساله البلنطي ان يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه ، فاملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسماها كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب » .

وقد ايد جلال الدين السيوطي هذه الآراء في كتابه «المزهر» وذكر نحوا من ثلاثين كلمة من المنحوتات (ص 285 — 288) .

2 — النحت في الكتب الحديثة

1 — خصص « جرجي زيدان » في كتابه «الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » بحثا مستفيضا النحت ، وقال في مستهله :

« النحت ناموس فاعل على الالفاظ ، وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها واقتصادا في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم ينج من فتكه لغة من لغات البشر ادناها واسماها، بل قد جرى فيها على السواء من اول نشاتها ، ولم يزل حتى الان ، ولن يزال الى ما شاء الله » (ص29).

ثم انتقل الى شرح عمل النحت في اللغة العامية، وتحرى منشا بعض المنحوتات الدارجة ، مثل «ايشلون ، شونو ، هسع ، كمان ، قديش ...» . وقال بعد ذلك :

« فتامل كيف يفعل النحت على الالفاظ ، فيمسخها مسخا ... ولا اظنك ترتاب بانه كان بفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان يوشر في جمعها بزمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معان في نفسها ، ولو تعسر علينا استقراء جميعها » (ص 31) .

وبعد هذه الكلمات ياخذ المؤلف في شرح كيفية تولد بعض الحروف والادوات فيقول في الاخير « وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الرد بالاستقراء الى اصله ، بشرط اعتبار النحت وقابلية الالفاظ للتغيير والتنوع دلالة ولفظا » (ص 41) .

اما فيما يتعلق بالافعال فانه لا يكتفي بقبول النظرية القائلة بارجاع الرباعيات والخماسيات الى الثلاثيات بل هو يقول بامكان ارجاع الثلاثيات الى الثنائيات ايضا : فهو يظن ان كلمة « قطف» من « قط » و «لف» ، وكلمة « قمش » منحوتة من « قم » و « قش» ، وكلمة «بمج» منحوتة من « بع » و« بج» . ويقول اخيرا « مثل ذلك في الالفاظ الثلاثية . وان استبعد بعضهم هذا التعليل فلا يستبعده من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . زد على ذلك ان من يسلم حدوثه في الرباعي — بنحت كلمة واحدة من اربع او خمس كلمات ، كقولهم بسمل « قال بسم الله ..» وسبحل قال « سبحان الله » ، وهلل قال « لا اله الا الله » ، وحيعل قال «حي على الصلاة حي على الفلاح » وطلبق قال « اطال الله بقاءك » وجعلف قال «جعلت فداك» ودمعز قال «دام الله عزك » — لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين . ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل » . (ص 58) .

2 — نقل محمود شكري الالوسي في كتابه « بلوغ الارب في معرفة احوال العرب» ما قاله ابن فارس عن النحت ، واضاف الى ذلك الملاحظات التالية :

«— مما يدل على ان اللغة العربية احسن اللغات صيغة واساليب ، واتمها واكملها نسقا وتاليفا ، مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو ان العرب الاولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد واسلاك التلغراف والفاز ونحو ذلك مما اخترعه الافرنج لوضعوا لذلك اسماءا خاصة

ناصعة ، فهم على هذا غير ملومين ، وانما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الامـــور باعيننا ولم نتنبه لوضع اسماء على النسق الذى الفه العرب وهو الاختصار والايجاز » (الجزء الاول ص 46 ــ الطبعة الثانية) .

3 ــ وقد خصص الشيخ عبد القادر المغربى بحثا وافيا للنحت فى كتابه « الاشتقاق والتعريب » . ومما قال : « النحت ضرب من ضروب الاشتقاق ومعناه فى اصل اللغة البري : يقال نحت الخشب والعـــود اذا براه وهذب سطحه ، ومثله فى الحجارة . والنحت فى الاصطلاح ان تعمـــد الى كلمتـــين او جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل عليه الجملة نفسها . ولما كان هذا النوع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمى نحتا . وهو فى الحقيقة من قبيـــل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل ، لان الاشتقاق ان تنزع كلمة من كلمة ، والنحت ان تنزع كلمة من كلمتين او اكثر ، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة : « منحوتة ».

« والنحت مما يعرفه اهل اللغة انفسهم وجروا عليه فى كلامهم ، وفى المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك .

« ويمكن ارجاع النحت الى اربعة اقسام : نحت فعلى ، ووصفى ، واسمى ، ونسبى .

« الفعلى ان تنحت من الجملة فعلا يدل عـــلى النطق بها ، او على حدوث مضمونها ، مثل قولـــهم « بابا » اذا قال « بابى انت » والهمزة الاخيرة فـــى « بابا » منحوتة من انت ، و « سبحل » و «حوقل» من سبحان الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ودمعز وسمعل من : ادام الله عزك ، والسلام عليكم .

و « فذلك » العدد ، اي قال فذلك العدد قـــد يبلغ كذا ، و « لاشاه» من صيره لا شىء . ومنه قوله تعالى « واذا القبور بعثرت » فان «بعثر» منحوتة من « بعث واثير» اي بعث ما فيها واثير ترابها .

« والنحت الوصفى ان تنحت من كلمتين كلمـــة واحدة تدل عـــلى وصف بمعناهما او باشد منهما ، نحو « ضبطر » للرجل الشديد ، منحوتة من «ضبط وضبر» وفى ضبر معنى الشدة والصلابة : جمـــل مضبور : مكتنز ، اللحم ، ورجل ذو ضبارة : مجتمع الخلق موثقه . ونحو «صلدم » : الشديد الحافر ، منحوت من « الصاد والصدم» ومثل « صهصلق » : الشديد من الاصوات ، من صهل وصلق ، وكلاهما بمعنى صوت .

« والنحت الاسمى ان تنحت من كلمتين اسما مثل «جلمود » من «جلد وجمد » . وقد يتاتى فى هذا النوع ان تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت منه ، ويكون اثر النحت فى الصيغة والهياة لا فى المادة، مثل (شقحطب) على وزن سفرجل ، وهو اســـم الكبش الذى له قرنان كل منهما يحكى « شق حطب » ، او مثل « حبقر » اسم للبرد بفتح الراء ، اصله « حب قر » كما يقولون حب الغمام على هياة التركيـــب الاضافى . والقر بضم القاف يعنى البرد بسكون الراء. ويقال هذا الشىء ابرد من حبقر ، يعنون من البرد ، بفتح الراء .

« والنحت النسبى ان تنسب شيئا او شخصـــا الى بلدتى «طبرستان وخوارزم » مثلا فتنحت مـــن اسميهما اسما واحدا على صيغة الاسم المنســـوب فتقول « طبرخزي» اي منسوب الى المدينتين كلتيهما. ويقولون فى المنسوب الى الشافعى وابى حنيفـــة « شفعنتى » والى « ابى حنيفـــة والمعتـــزلـــة » : حنفلتى .

« ولا اتحمل مسؤولية حسن مثل هذه الكلمات وصحة استعمالها واعتبارها من الفصيح وانما اردت ان استدل بالجملة على ان قوة الاشتقاق فى لغتنـــا العربية قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغـــة وتكاثر نتاجها . والمراة الفائق الولود قلما يخلو ان يكون فى اولادها السمج البغيض ، فلا عجب اذا وجد مثل حنفلتـــى وشفعنتـــى ذرارى اللغة العربيـــة الكريمة .

« وقد اعملت الفكرة مرة فى كثـــير من الكلمات الرباعية والخماسية فوجدت انه يمكن ارجاع معظمها الى كلمتين ثلاثيتين بجسهولة . ويحظت ان تكـــون تلك الكلمات فى لغة العرب انما كان بواسطة طريقـــة النحت المذكورة ، او مما نسميه الاشتقاق النحتى . فمثل « دحرج» منحوت من «دحر فدرج» ومثـــل « هرول » من «هرب وولى » و «خرمش» الكتاب : افسده ، من «خرم وشوه » او من « خرم وشرم» ، ومثل « دعثره» اذا صرعه من «دعه فعثـــر» ، و « بحثرت » الدجاجة من «بحثت واثارت» التـــراب

تلتقط الحب وهكذا ... (الاشتقاق والتعـــريب ، (ص 21 ــ 24) .

4 ــ وقد تطرق مصطفى صادق الرافعي الـى بحث النحت في كتابه « تاريخ آداب العرب » (ج ا ــ ص 184 ــ 187) . وبعد أن ذكر الكلمات المنحوتـة المشهورة قال ما يأتي :

« ومن أنواع التصرف بالنحت في العربية هذه الحروف فان من العلماء من يذهب الى انها بقايـا كلمات . وقد نص بعضهم على ذلك في احرف المضارعة فقال : انهم اخذوا الهمزة من (انا) والنون من (نحن) والتاء من (انت) وعدلوا عن الواو من (هو) الى الباء لكونها اخف منه ، وجعلوا الاحرف دليلا على ما كانت تدل عليه الاصول تقريبا فكملت المعاني مع اجـازة اللفظ .

« وقد تتبع علماء اللغات بعض الحـروف في اللغات السامية ليعرفوا من اين اخذت وكيف انتهت الى العربية على هذا الوجه فاهتدوا من ذلك الى بعـض ما يرجح انها منحوتة . ومن هذه الاسئلة التي عينوا اصلها (باء الجر) فانها تستعمل في العربية لمعـــان كثيرة كالالصاق والتعدية والاستعانة الخ . والاصل في ذلك الالصاق كما نصوا عليه ، ولكنها لا تستعمل في غيرها من اللغات السامية الا للظرفية ، فراوا ان اصلها (بيت) في العبرانية ، ثم جاءت (بى) في الكلدانية ثم الباء وحدها في العربية . فكان الباء بقية من لفظ (بيت) كمل بها المعنى الاصلي مع وجازة اللفظ وسعة التصرف » .(1) .

3 ــ اساليب النحت

يتبين من التفصيلات الآنفة ان عدد الكلمـات العربية التي يرجع اصلها الى النحت ــ بلا جدال ــ هو عدد لا يستهان به ، فالكلمات المنحوتة التي سبق ذكرها في الفقرات المقتبسة تتجاوز الثلاثين :

« بسملة ، حمدلة ، حيعلة ، هيللة ، حوقلـة ، سبحلة ، طلبقة ، جعفدة ، دمعزة ، بلباة ، فذلكة ، لاشى ، هرول ، بعثر ، دحرج ، خرمش ، دعثر ، بحتر ، عبشمى ، شفعنتى ، حنفاتى ، طبرخزي ، ضبطر ، صلدم ، صهصلق شقحطب ، حبقر ، ايان، لكن ، كان ، الآن ...»

مع هذا يمكننا ان نضيف الى هذه الكلمات طائفة كبيرة اخرى من المنحوتات :

حسبلة (من حسبى الله) ، سمعلة (من السلام عليكم) ، مشكنة (من ما شاء الله كان) ، عبدري (من عبد الدار) ، عبقسى (من عبد القيس) مرقسى (من امريء القيس) ، تيملى (من تتيم الله) ، درمج (من درم ودرج) ، حدقل (من حدق ودقل) ، دحقل (من دحـق وحقل) ، طرمح (من طرح وطمح) ، تلمط (من تمـط وتلط) ، جلمط (من جلد وحلط) ، حذلم (من حذل وحذم) ، دحمل (من دح وحمل) ، شمخر (من شمخ ومخر) ، ملحارث (من بنى الحارث) ، محبرم (من حب رمان)، مشلوز (من مشمش ولوز ــ اينما ، بينما ، ماخلا ، لولا ، لوما ، مهما ، هلا ، لاجرم ، لا محالة ، ويكان ، ما وراء ، مابين ... العنعنة (من : عن وعن) ، الماهية (من : ما هو) ، اللادرية (من : لا ادري) اللمية (من : لم) .

اذا لاحظنا انواع هذه الكلمات المنحوتة من حيث اللفظ ، وقارنا كل واحدة منها باصولها ، نرى ان تاثير النحت لا يتساوى في جميعها ، ومن الممكن تلخيص هذا التاثير في بضعة نماذج اساسية :

(ا) ــ لا يعتري الكلمتين اي تغير كان ، فـــان واحدتهما تلتصق بالاخرى فتصبحان كلمة واحـدة ، بدون ان يتغير شيء من حروفهما وحركاتهما ، كما في اللادرية ، وبينما .

(ب) لا يحدث تبدل في الحروف ، غير انه يحدث بعض التغير في الحركات ، كما في شقحطب وفذلـــك (فذلكة) .

ج ــ تبقى احدى الكلمتين كما هي ، وتختـزل الاخرى وحدها ، كما في مشلوز ومحبرم .

د ــ يحدث اختزال في الكلمتين ، ويكون هذا الاختزال متساويا في كلتيهما ، فلا يدخل في الكلمـــة

---

(1) البيت اصله فعل بات يبيت ، وحرف الباء ورد منفردا لا في العربية فقط بل في لغات اخـــرى كالفارسية وبصيغة (باء : (B 4)) في الانكليزية . لهذا لا يبدو ان لها علاقة بمعنى البيت في العبرانية . وقد وردت في هذا البحث نقاط اخرى جديرة بالمناقشـــة نتركها للقراء الكرام ــ « اللسان العربي» .

المنحوتة الا حرفان من كل منهما ، كما فى تعبشـــــم وهرول .

هـ ــ يحدث اختزال فى الكلمتين ، ولكن هـــذا الاختزال لا يكون متساويا فى كلتيهما ، كما فى : سبحل وبابا .

ز ــ تحذف بعض الكلمات حذفا تاما فلا تترك فى المنحوت اثرا كما فى : طلبقة وهيللة ، فان كلمة «الله» فى الاولى وكلمة «لا ، والا » فى الثانية قد حذفت بتاتا ، ولم يبق لها اثر فى المنحوتات المذكورة .

4 ــ النحت والاصطلاحات العلمية

قد راينا فيما سبق ان علماء اللغة المتاخرين بحثوا عن «النحت » باهتمام ، وقدروا اثره ومكانته فى تكون اللغة ، واعتبروه من وسائل التوسع والتوسيع فيها . وقد سوغوا الاستفادة منه لتكوين المصطلحات العلمية عند الضرورة ، حتى انهم اقترحوا ذلك احيانا بصراحة .

ومع هذا قلما راينا اقداما على الاستفادة مـــن النحت بصورة فعلية .

ونحن نعتقد ان الضرورة ماسة لذلك . اننـــا نعبر عن كثير من المعانى العلمية بتراكيب متنوعة . فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة ، يمكننـــا ان نستمر فى استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجـــل تسهيل استعمالها وانتشارها .

من المعلوم ان «لا» النافية اعطتنا كثيرا مـــن الاصطلاحات العلمية الرشيقة : فقد استعمل المتقدمون اصطلاحات عديدة من هذا القبيل فقالوا : لا متناهى، لا ضروري ، لا دائمى ، لا موصوفية ، لا ادرية ...

وقد استفاد المعاصرون ايضا من هذه الصيغة ، فصرنا كلنا نقول الآن : المخبرة اللاسلكية ، مبـــدا اللامركزية ، الحكومة اللادينية ــ كما نقـــول : لا شعوري ، لا ارادي ، لا تعاونية ، واللافقريات .

فيمكننا ان ننسج على هذا المنوال ونقول :

لا اخلاقى Amoral ، لا اجتماعى Associal

لا جناحى Aptère ، لا حياتى Azoique ،

لا تناظري Assymétrique لامائى Anhydrique

لا هوائى Anaérobie

ولدينا بعض ادوات قصيرة اخرى ــ عـــدا لا النافية ــ يمكننا ان نستفيد منها ايضا بسهولة لتكوين بعض المصطلحات المماثلة لما ذكرناه ، فلفظة « غب » مثلا تدل على حدوث شىء « بعد » شىء آخر ، فمـــن الممكن ان نستعملها مقابل Post الافرنجية ، كان نقول مثلا : غبمدرسى Sostscolaire . ونحن نرى هذه الكلمة ضرورية الاستعمال لان « الغبمدرسى» اصبح من اهم مشاغل الحكومة ، بعد تعميم التعليم الالزامى ، وقد قامت معظم الحكومات بتشكيـــلات واسعة النطاق من اجل هذا النوع من التعليم حتى انها سنت قوانين خاصة تجعله الزاميا ضمن بعض حدود معينة لجميع افراد الامة ، فاصبح هذا المعنى فى حاجة شديدة الى « كلمة » تدل عليه .

كذلك يمكننا ان نقول « غبجليدي Postuglaciaire (تكونات غبجليدية) ، و «غبيلوغ» Postpubère (عوارض غبيلوغية) ، وهلم جرا .

وقد اعتاد المعلمون والمؤلفون ان يقولوا مقابـــل تعبير Force centrifuge الافرنجى : « القـــوة الطاردة عن المركز» او «القوة الدافعة عن المركز» او «القوة عن المركزية » . ومن السهل اختصار هـــذه التعبيرات والاكتفاء بكلمة «عنمركزي » او «عمركزي »، حيث يمكننا ان نقول : «القوة العمركزية » .

وهناك كثير من المعانى اعتدنا ان نعبـــر عنهـــا بتركيب يحتوي على كلمة «قبل» مع حرف التعريف مثل «قبل التاريخ» و «قبل الطوفان» فلماذا لا نختزل مثل هذه التعبيرات بنحت كلمة « قبل» على شكل «قب» ، وبحذف حرف التعريف ؟ يمكننا ان نقول عند ذلـــك «قبتاريخ» Préhistaire وان ندخل هذه الكلمـــة المنحوتة فى التراكيب حسب سياق الكلام : «الانسان القبتاريخى ، آلة قبتاريخية ، رسم قبتاريخى ، الآثار القبتاريخية ...»

واذا سرنا على هذا المنوال امكننا ان نقول : قبمنطقى prélogique ، قبيلوغى prépubère قبفحمى précamrien ، قبتزهر Preflorason قبتورق Prefoliason وهلم جرا . ولا شـــك فى ان هذه الكلمات المنحوتة تمكننا من التعبير عن المعانى العلمية بسهولة كبيرة : « ان عقلية الاطفال مثل عقلية الاقوام الابتدائية ، عقلية قبمنطقية » ..

« ومن خصائص الفصيلة الفلانية: قبتزهر حلزونى، قبتورق متوال ..»

وكذلك يمكننا ان ننحت كلمات « خارج ، وفوق ، وتحت » على شكل « خا ، فو « تح» ونقول(خامدرسي)» Extrascolaire ، و «فوسوي» Surnormal و « تحشعوري » Subconcient .. وهلم جرا.

وقد سبق ان استعمل بعض المترجمين فى الكتب والمقالات العلمية ، الكلمات المنحوتة الآتية : «البرمائية (1) Anphibia (من البرماء .

« الحينب » و «الحينبات»(2) zoophyte (من الحيوان والنبات) .

« الحيزمن » (3) Espace-temps (من الحيز والزمن).

« الحيمن» او «الحويمن » spermatozoaire (من الحوين والمنوي) .

وقد اعتاد اهل العراق ان يسموا نوعا من القواضم بقولهم «ارجنا» (من الارنب والجرذ) لشابهته الارنب من جهة والجرذ من جهة اخرى .

ونحن نرى من المصلحة ، بل من الضروري ، ان نتقدم ونتوسع فى هذا السبيل ، فاذا سرنا على نفس المنوال ، يمكننا ان نقول «حينومة» Sperozoaire (من حيوان وجرثومة) ، و «عفنبات» saprophite (من عفن ونبات) ، و «حيشنة وحيشنات » Bryozoaire (من حيوان واشنة) ، و«حيسجة وحيسجات» histozoaire (من حيوان ونسيج) و «عظنبة وعظنبات» ostéophyte (من عظم ونبات) .. وهلم جرا .

ولقد كنت افكر قبل بضعة ايام فى كلمة تقابل pedocentrique لاستعمالها فى دروسى فخطر ببالى استعمال كلمة «طفركزي» (من : طفل — مركزي) على وزن «طبرخزي» . واعتقد ان النحت على هذا المنوال يخلصنا من مشاكل كبيرة ويغنى لغتنا بكلمات واصطلاحات قيمة .

فمن هذا القبيل يمكننا ان نقول مثلا «بشركزية» من (بشر — مركزي) anthropocentrisme، و «انركزية» égocentrisme من (انا — مركزي) .

وكذلك عندما كنت اتحدث الى تلاميذي عن «التسير فى المنام» somnambulisme وعن « السائرين فى المنام » وعن الحادثات النفسية «التى تظهر فى حالة السير فى المنام» وجدت نفسى ولسانى فى حاجة شديدة الى كلمة قصيرة وملت الى النحت ميلا شديدا . فما المانع ان نقول فى هذا المقام «سرمنة» (من سير ومنام) ؟ لا ريب فى اننا اذا قبلنا هذا النحت يسهل علينا الاسترسال فى الشرح : «التنويم hypnotisme ما هو الا سرمنة مستولدة » ، «المنوم يشبه المسرمن» .. « لا يذكر الانسان فى حالة اليقظة ما فعله فى حالة السرمنة » .

وقد اخذ علماء النفس يعتنون فى تدقيق احلام اليقظة Daydream وصاروا يتطرقون اليها فى امور التربية . افلا يجوز لنا ان نقول مقابل ذلك «حلقظة» (من : حلم ويقظة) ؟

اننى اعرف ان مثل هذه الكلمات المنحوتة تظهر فى باديء الامر غريبة على الاسماع لكننى لا اجد فيها ما يزيدها غرابة على الكلمات المنحوتة القديمة التى ذكرتها آنفا ، تلك الكلمات التى دخلت القواميس وشاعت بين الناس .

هذا ولا اظن ان حاجتنا الى مثل هذه الكلمات تقل عن حاجة اجدادنا الى امثال « البسملة والحوقلة والمشلوز والشقحطب» . فلماذا لا نجوز لانفسنا فى هذا الدور الذي يمتاز بالتفكير الشديد ، والنظر المعضل، والعلم العميق .. ما جوزه اجدادنا لانفسهم ، فى خلال ابحاثهم العلمية السطحية ، وتفكيراتهم النظرية البسيطة .

قد يقال : ليس للنحت قواعد واصول ثابتة واوزان معينة ، وان الاسترسال فى النحت يخل بتناسق اللغة ، ويفتح بابا للفوضى .

لكننا لا نجد مسوغا للتخوف من هذه الناحية : اننا نقترح استعمال النحت لاجل الاصطلاحات العلمية، وهذه الاصطلاحات محدودة بطبيعة الحال ، فلا يصعب مراعاة التناسق فى تكوينها .

---

(1) انيس الخوري المقدسى .

(2) عز الدين علم الدين

(3) عبد المسيح وزير

ونزيد على ذلك فنقول : لا يمكن نشر العلم بالتراكيب المطولة ، فاذا لم نقبل النحت فسنضطر الى استعمال الاصطلاحات الافرنجية نفسها ، ولا حاجة للاثبات ان اتساق اللغة في هذه الحالة يصبح اشد تعرضا الخطر .

اننا لا نلح في ترويج كل الاصطلاحات التي سردناها ، ولا نستبعد امكان ايجاد ما يكون اكثر موافقة منها . ولكننا نلح في وجوب قبول المبدأ ، وفي ضرورة الاقدام على النحت لاجل بعض الاصطلاحات العلمية .

ولذلك ندعو جميع الكتاب والمفكرين من الناطقين بالضاد الى التامل في هذه المسالة المهمة ، برحابة ذهن واهتمام تام .

(ج) — مناقشات حول بعض الاصطلاحات

— 1 —

ان دراساتي الاولى في مقدمة ابن خلدون — عندما نشرت سنة 1944 — اثارت كثيرا من الانتقادات والتعليقات في الصحف والمجلات . ولكن معظم تلك الانتقادات والتعليقات كان يحوم حول الكلمات والاصطلاحات .

واستغربت عندئذ اهتمام الكثيرين من المعلقين بالاصطلاحات التي استعملتها في تلك الدراسات ، اكثر من اهتمامهم بالآراء التي ابديتها فيها بالمسائل التي اثرتها خلالها .

وعندما اظهرت استغرابي هذا الى صديق اجتمعت به على مائدة الغداء خلال حديث عن الدراسات قاطعني بقوله : « ولكنك حقيقة تغالي في استعمال اصطلاحات جديدة وكلمات غير مالوفة ».

فاجبته قائلا : « انا لم استحدث اصطلاحا ما لم اشعر بضرورة ذلك للتعبير عن فكرة معينة ، وما لم اتاكد من ان تلك الفكرة لا يمكن ان تؤدي بالكلمات المالوفة ومن ان الاصطلاحات المعروفة تعجز عن التعبير عنها بما يلزم من الوضوح الفكري والتحديد العلمي ..

ولكن صديقي اراد أن يجرح قولي هذا بمثال ملموس فقال :

— مثلا ، انك قلت «سلطة متعضية » . لماذا ؟ اما كان يمكنك ان تقول « سلطة منظمة » ؟

تبررت من هذه الملاحظة التي فتحت امامي مجالا لمناقشة الامر بتوسع وتعمق ، مستندا الى مثال حي .

(وهذا الاصطلاح كان موضوع انتقاد خاص في بعض المجلات) .

وقلت :

— كلا .. ان كلمة « منظمة » او « منتظمة » لا يمكن ان تعبر عن المقصود في هذا المقام . لان النظام انواع : هناك « نظام ميكانيكي» ، و «نظام هندسي »، و «نظام عضوي» .

ان المقصود من نوع السلطة المبحوث عنها في الدراسات هي «السلطة » التي يتولاها عضو معين وجهاز خاص في المجتمع . وذلك بعكس «السلطة » المنتشرة التي لا تختص بعضو وجهاز فتكون ممثلة في مجموع المجتمع ، ومشاعة بين جميع افراده . المقصود هنا ليس وجود او عدم وجود «العضوي» و «الجهاز ». فتعبير «السلطة المنظمة » او «السلطة المنتظمة» لا يدل على هذا المعنى بوجه من الوجوه . هذه هي الملاحظات التي اضطرتني الى استعمال تعبير «السلطة المتعضية » .

قد يجد غيري اصطلاحا اوفق من هذا . اما الامر الذي اتمسك به كل التمسك في هذا المقام فهو وجوب ايجاد تعبير جديد او صيغة جديدة للدلالة على هذا المعنى الخاص وعدم ترك المجال لتموج وتذبذب المعنى المذكور ، في الذهن ، من جراء عدم ارتباطه باصطلاح متميز عن الكلمات والاصطلاحات المالوفة .

ولهذا السبب ساستعمل تعبير « السلطة المتعضية » الى ان يجد غيري اصطلاحا انسب من هذا في الدلالة على المعنى المقصود .

— 2 —

ان الايضاحات التي قدمتها آنفا على كلمة «المتعضية» تغنيني عن اطالة الحديث في سائر الاصطلاحات التي صارت موضوع نقاش ، بمناسبة دراساتي عن مقدمة ابن خلدون .

فاني انكرها فيما يلي بايجاز :

(أ) — عقلاني :

استعملت كلمتي « العقلاني» و «العقلانية» مقابل كلمتي rationaliste و rationalisme, الافرنسيتين .

لانى لم اجد كلمة «العقلى» و «العقلية» وافية بالمرام .

من المعلوم ان المقصود هنا « الاعتماد على العقل ، وتحكيم العقل فى كل شىء » . وهذا لا يمكن ان يستفاد من كلمة «(العقلية)» ابدا ، فكان من الضروري ايجاد صيغة جديدة ، مشتقة من العقل غير كلمة «(العقلية)» العامة .

فاخترت كلمة «(العقلاني)» قياسا على « جسماني ، روحاني ، علماني ...» التى صارت تستعمل كثيرا بمعان تختلف عن معانى كلمات « جسمى ، روحى ، علمى ..»

(ب) — قوانى :

وقد استعملت « قوانى» فقلت « الفكر القوانية» مقابل idées-force

اذ من المعلوم ان الفلاسفة لم يقصدوا بذلك «(الافكار القوية)» وانما قصدوا « الافكار التى تدفع الى العمل ، مثل سائر القوى » . وبتعبير آخر : « الفكر التى تشبه القوة الدافعة » .

فقد استحدثت هذه الصيغة الخاصة ، من كلمة الـ « قوة » للدلالة على هذا المعنى الخاص .

(ج) — قبلانى ، وبعدانى :

لقد استعملت كلمة قبلانى مقابل Apriori ، و « بعدانى » مقابل apostériori ، وذلك للتمييز بين « الاحكام التى تصدر قبل البحث والدرس» وبين « التى لا تصدر الا بعد البحث والدرس » .

من المعلوم ان المناطقة القدماء كانوا يعبرون عن ذلك بقولهم « ما يعرف بدليل لمى » و « ما يعرف بدليل انى » — لان الاول لا يقع جوابا للسؤال « لم ؟» والثانى يبدا بحرف « ان » .

ولا حاجة الى القول بان هذه العبيرات الطويلة لا تساعد على استقرار المعانى المطلوبة فى الذهن ، كما انها لا تيسر ذكرها بين العبارات وابلاغها الى القراء والسامعين .

وقد استعمل البعض فى هذا المقام كلمتى «(الاستدلال)» و « الاستقراء » ولكن هاتين الكلمتين تقابلان و فهما لا تنطبقان على المعنى المقصود تمام الانطباق .

فنحن فى حاجة شديدة الى كلمات قصيرة تعبر عن المعانى التى ذكرتها آنفا ، ولا سيما ان هذه المعانى مما يجب انتشاره بين جميع المثقفين . يجب على كل مثقف الا يعتمد على الاحكام التى تصدر قبل البحث والدرس . واعتقد ان قولنا « يجب اجتناب الاحكام القبلانية » يعبر عن ذلك باحسن الصور واقصرها .

— 3 —

عندما القيت سلسلة محاضرات فى « اصول الاحصاء» فى كلية الحقوق ببغداد ، اضطررت الى استحداث طائفة من الاصطلاحات ارى ان ادون اهمها فيما يلى :

(ا) — استعملت كلمة « واسط » مقابل Median

ومن المعلوم انه يختلف عن المتوسط وعن المعدل الحسابي ، لانه يدل على الحد الذي يقع فى وسط السلسلة الاحصائية ، ويقسمها الى قسمين متساويين

(ب) — واستعملت كلمة (ربعيل) مقابل كلمة Quartile لانها تدل على الحدود التى تقسم السلسلة الى اربعة اقسام متساوية .

(ج) — واستعملت كلمة « عشريل» مقابل كلمة décile لانها تدل على الحدود التى تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الى عشرة اقسام متساوية .

(د) — واستعملت كلمة « مئيل » مقابل كلمة centile لانها تدل على الحدود التى تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الاحصائية الى مئة قسم متساو .

(هـ)— وقلت « تمئيل» مقابل كلمة centilage التى تعنى حساب وتعيين المئيلات .

(د) — وقلت « استعشار» مقابل كلمة Decilage التى تعنى حساب وتعيين العشريلات .

(اضطررت الى احداث هذه الصيغة لان كلمة (تعشير) مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر) .

(ز) — وقلت «استرباع» مقابل كلمة Quartilage التى تعنى حساب وتعيين الربعيلات .

(اضطررت الى استحداث هذه الصيغة لان كلمة « تربيع » مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر).

— ٤ —

من الغريب ان اسماء بعض العلوم الحديثة صارت موضوع خلاف بين البلاد العربية ، واثارت بعض المناقشات بين متخصصيها .

(أ) — Physiology

ان العلم المعروف بهذا الاسم فى البلاد الغربية صار يسمى فى البلاد العربية باسماء مختلفة :

« فسلجة ، غرائز ، فسيولوجى ، منافع الاعضاء ، وظائف الاعضاء ..»

لا شك فى ان كلمة «الفسلجة» اوفق هذه الكلمات . انها سهلة اللفظ ، وسهلة التفريع والتركيب ، فيقال : فسلجى ، فسلجية ، فسلجيا ، فسلجة القلب ، فسلجة النبات ، فسلجة البصر ... الخ .

وهى معربة من كلمة فسيولوجى ، قياسا على تعريب كلمة « فيلوزوفى»(1) .

كانت هذه الكلمة قد استحدثتها « لجنة الاصطلاحات العلمية » التى تالفت فى دمشق عقب الحرب العالمية الاولى ، فى عهد الحكومة الاولى فى سورية ، وقد تبنتها فى حينها وزارة المعارف السورية، ثم تبنتها وزارة المعارف العراقية فانتشرت لذلك فى الكتب والمؤلفات فى جميع الاقطار الشامية . الا ان بعض الاقطار العربية ظلت معرضة عنها .

واما تعبير « علم الغرائز » فقد استعمله احد الاساتذة فى كلية الطب بدمشق ، وسمى كتابه بهذا الاسم ، ولكن كلمة الغرائز ، تستعمل مقابل Instinct physique فهى ادل على هذا المعنى .

(ب) —

هذا العلم يسمى فى الاقطار الشامية باسم (الفيزياء) وفى مصر باسم «الطبيعة» .

كلمة « فيزياء » من وضع لجنة الاصطلاحات العلمية التى ذكرتها آنفا ، وهى منتشرة فى جميع المدارس والمؤلفات فى سوريا والعراق ولبنان .

الا ان بعض الاقطار العربية ظلت متمسكة بتعبير « الطبيعة » او « علم الطبيعة » — فى جميع المناهج والمؤلفات ، مع ان كلمة الطبيعة مستعملة بمعنى عام يشمل كل ما فى الطبيعة من نبات وحيوان وجماد .

وقد استعمل القدماء تعبير « العلم الطبيعى » و « العلوم الطبيعية » بهذا المعنى الشامل ، فليس من المعقول تخصيص هذه الكلمة لتسمية العلم الذي نتكلم عنه .

(ج) — العلوم الحقوقية والعلوم القانونية :

من المعلوم ان رجال الحقوق فى فرنسا يميزون بين الـ droit وبين الـ code او الـ loi

وقد حذا حذوهم فى هذا الباب رجال القانون والحقوق فى بعض الاقطار العربية وميزوا بين « الحقوق التجارية » و « القانون التجاري» مثلا ، لكن البعض الآخر من الاقطار العربية لم تميز بين النوعين من الابحاث .

(1) — «اللسان العربى » : ورد اقتراح فى عدد سابق من قبل الاستاذ عبد الحق فاضل باستعمال كلمة عربية خالصة بمعنى الفيزيولوجى وهى « الجثمانيات» ، ويمكن استحداث الصيغ منها مثل : جثمانيا وجثمنة ، وتجثمن ، وجثمانية القلب ... الخ

وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية

توطئة :

كانت اللغة العربية لمدة قرون خلت لغة العلم والفكر والحضارة ، فقد نقلت اليها انواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة ، فاستطاعت ان تستوعبها وتهضمها ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى مرحلة الابداع والابتكار ، فأضافت عن طريق ابنائها اضافات اصيلة الى العلوم بأنواعها ، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الانساني. ثم عدت عليها عوادي الزمن ، واصاب امة العرب ما اصابها ، من تكالب الاعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في المشرق ، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين ، وفي المغرب مارة باسبانيا الاسلامية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الاهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي .

وكانت نتيجة هذا كله ان انزوت هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة جانزواء اهلها . . . . . ولم تستيقظ الا في عصر التلفزيون والرادار والصواريخ العابرة للقارات ، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر . . . . فيالها من حقيقة اشبه بالحلم . فهاهي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة اقطار امتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات ، وما يثيره من صعاب ومعقبات .

ليت شعري ماذا يكون موقف اللغة العربية !!! في هذا العالم المتطور وفي خضم المعارف الانسانية المتسارعة التي تضع الانسان في مجرى تاريخ بشري جديد . فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات ، فتتراجع الى العدم كما يشاء لها اعداء العروبة والاسلام ؛ ام تنفض عنها غبار الزمن لكي تثير الادوات الكامنة في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطورة تستطيع ان تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية ، وهنا تكمن اسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة . . . . . .

بدأت امتنا العربية يقظتها مع بداية هذا القرن ، وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر ، وتوطد دعائم نهضة الامة ووحدتها . فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع اسس النهوض بهذه اللغة مدركة الادراك كله انه لا يمكن ان تنهض الامة الا بلغتها القومية ، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العداء ، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعا بشتى الوسائل من اقليمية وطائفية حينا ، ومن غيرة زائفة على التقدم العلمي والتكنولوجي حينا آخر . ولم يفت انصار هذا التيار ان يتخذوا من اللغويين والمتنطعين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحا للتشهير والخذلان ونحن نستطيع ان نشير الى فترتين اساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة . فالفترة الاولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ؛ حيث تيار العربية يستعيد حيويته ويشتد في المشرق .

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، واهم ما تتميز به هذه الفترة من الناحية الايجابية تحرر الشمال الافريقي من ربقة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعريب التي

تعتبر اساسا فى كيانه الوطنى والقومى ؟ وكذلك جاء استقلال بقية الاقطار العربية فى المشرق ، وتوطيد دعائم التحرر السياسى والاقتصادى والثقافى فى بعض الاقطار وما ادى اليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة فى الوطن العربى .

اما من الناحية السلبية فان هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التى يشنها اعداء العروبة على امتنا العربية مستهدفين كيانها السياسى واللغوى والثقافى بل والحياتى من حيث الاصل . فهناك الآن الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين تدعمه قوى الشر واعداء العروبة والاسلام ، وهناك التيارات الشريرة فى الداخل التى تحاول النيل من تراث هذه الامة وقيمها ولغتها .

فاذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لانها ليست الهدف من هذا البحث ، فاننا نستطيع ان نميز التيارات التالية على المستوى اللغوى فى العالم العربى مشرقه ومغربه :

1) تيار العربية الفصحى المتزمتة .

2) العربية الحديثة والتى تتمثل بلغة المجلات والجرائد .

3) العامية الدارجة .

4) اللغة الاجنبية .

وبالرغم من اننى لا انوى مناقشة موضوع اللغة الادبية فى هذا البحث فاننى اجد لزاما على ان اشير للحق وللتاريخ ان هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة اجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لامتها وتراثها وقيمها ، ولكنها مع الاسف تركز جهودها الان على مستوى اللغة العلمية متذرعة فى ذلك بحجج شتى لا تثبت امام الامتحان . اما اولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة ، فقد هاجموا على امتهم وبالتالى على عامياتهم المختلفة التى لا حصر لها ! ! ! فليت شعرى اليس لكل عامية قواعد نحوية وصرفية ؟ ؟ . وباية عامية يريدون ان يكتبوا ويتحدثوا ! ! ! فلكل قطر عامية وفى كل مدينة عامية ! ! ! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحى المتزمتة ، ان تنحصر فى بعض زوايا المؤسسات اللغوية وان تطور الحياة ومقتضيات العصر تفرض على الامة الحركة السريعة للحاق بركب الحضارة ومسايرة التطور العلمى والمشاركة فى الابداع والاختراع .

وسوف لا اقف عند اللغة الادبية ولا اخشى على وحدتها اذ ان « النص القرآنى » كفيل ابدئ فى توحيد اللغة الادبية . اما الخطر المحدق بنا الان فانما يكمن فى تطوير اللغة العربية العلمية لكى تواكب متطلبات العصر الحديث الحضارية والعلمية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذا الخطر يتجسم ايضا فى صفوف المؤمنين بالتعريب والمنادين به الان ، وذلك بان تنشا لغات علمية عدة فى الوطن العربى ، فيصعب على العالم العربى وفى قطر من الاقطار ان يفهم ما يكتبه عالم آخر فى قطر آخر ....

ولا ادل على ذلك من هذا المثال الصارخ : قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب فى الرياضيات الحديثة للعالم العربى بلغة اجنبية ، ثم ترجم هذا الكتاب ، فترجم مع الاسف الى خمس لغات علمية عربية حتى الان ! ! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية ، ثم الترجمة الاردنية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الاخرى ، بحجة ان اجتهادها هو الصائب بنظرها . . . فان هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم يمنع من ان يؤدى الى بذر بذور لغات علمية مختلفة ، وفى هذا تحذير لخطر نشوء لغات علمية مختلفة وما يجره من اخطار اساسية على وحدة الامة وتعاونها وتنسيق جهودها فى ميادين العلم والمخترعات الحديثة .

اللغة العربية لغة متطورة حية ، والحياة تعنى النمو والازدياد . فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت ، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالى لما كانت هناك امة عربية ولكان مصيرها مصير اللغات القديمة التى انقرضت او تلك التى تاثلمت الى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية . فنشات عنها الفرنسية والاسبانية والايطالية والرومانية ... ان النص القرآنى منع تشتت اللغة واندثارها ، وانه فى حفظه اياها من حيث الاساس لم يمنع تطورها ونموها . . . بل على النقيض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعنى انه اماث

ما عداها وقضى على الفوضى فى العربية واخضعها لقانون بيانى ثابت . . . وكان هـذا فى حد ذاتـه تطورا عظيما فى كيان اللغة .

ولم تتوقف عملية التطور فى اللغة ، بل استمرت باستمرار الحيـاة وتفاعلها الحضارى ، فمـن التطور عمله فى مادة اللغة كما عمل فى صورتها ، فان لغة الكتابة فى القرن الاول الهجرى تختلف عنهـا فى لغـة القـرن الرابـع الهجـرى ، وان اللغـة الفصيحة الادبية التى نقراهـا اليوم فى مجلاتنـا وجرائدنا المتعددة تختلف اختـلافا بينا عن لغـة الكتابة فى عهد الازدهار الحضـارى الاسلامى ولا شك أن هذا الاختلاف مرجعه الى عملية التطـور التى ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة . وهـذا يطرح على بساط البحث مهمة انجاز معجم تاريخى للالفاظ العربية والمعانى التى تدل عليها من خلال النصوص وعبـر العصور التاريخيـة حتى الوقت الحـاضر .

المشكلات التى تواجهها اللغة العربية :

لقد ذكرنا سابقـا أن اللغة العـربية قـد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبـل فـى حياتها ، فقهرت تلـك المشكلات ، واستطاعت أن تستوعب جميع المعـانى المادية والفكرية ، وبالتالى لم يستطع سلطان الاجنبى والمستعمر ان يقضى عليها . وهـى الآن تتعـرض للخطر العظيم يأتيها من ابنائها العاقين منهم وغـير العاقين أيضا ومـن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصاديـة والحضارية واللغوية . ان لغتنا تتعرض فى هذا الوقت الى خطر عظيم . كما أن امتنـا العربية تتعرض الى اخطار تهـدد وجودها وكيانها . ولا ادل على ذلك من الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين والذى يهدد الاقطار العربية الاخرى . والاصوات النابية التى تتعالى هنا وهناك فى المشرق العربى وفى مغربـه . تحمـل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادى بتجـاوز اللغة الفصيحة الى لغات اجنبيـة حية او الى لهجـات عامية ممعنة فى الفرقة وتقطيع اوصال الامة والقضاء على هويتها لابقائها تحت نير التبعية المطلقة .

وأمـام هذا الخطر الداهـم ، يجب ان نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافيـة لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة ، فبالرغم من أن اللغة وسيلة الاداء والتفاهم بـين الافراد والجماعة ، فانها فى مفهومها القومى غاية فى حد ذاتها . فهى مجموعة من الافـكار والتقاليد والعواطف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات ، تنتظمها الالفـاظ انتظاما فى وحـدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه . . . وهنا لابد أن نطرح هذا السؤال الكبير :

كيف نستطيع رد الحياة النامية الى اللـغة العربية وبسط رقعة الوضع امام الواقع اليومى لكى تلحق هذه اللغـة بركب الحضارة وتـواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايـدة فى كل يوم ؟ اذ ما عسى أن يكـون مستقبل أمة ليست لهـا لغـة كاملـة ؟ . . . ان الامة التى ليس لهـا لغة تامـة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح .

لا شك أن اللغة العربيـة تواجه فى الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغـة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع ان نحدد هذه المشكلات على الوجه التالى :

1) مشكلة **المصطلحات فى اللغة العربية .**

2) مشكلة **نحو اللغة وصرفها .**

3) مشكلة **معجمات اللغة ومفرداتها .**

4) مشكلة رقم اللغة اى الاملاء

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الاسلوب القديم والاسلوب الجديـد ، فى الكتابة الادبية فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على النقيض انه دليل على حيوية اللغة وتطورها . فقد قامت الصحافة والمجلات الادبية بدور مهم فى ادخـال التعابير المترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية الحديثة ، وهى تعابير كثـيرة لا يستطيـع تمييزها الا مؤرخو اللغة .

وان الكاتب الحديث يستعملها فى لغته الادبية دون أن يشعر بأية غرابـة او استهجان . مثـال ذلك قولهم : « ذر الرماد فى العيون » و « اصطاد فى الماء العكر » و « كان الحادث صدى بعـيد » و « قال ذلك بصفته مسؤولا » . . . . الخ .

ومهما يكن من امر ، فقد انسابت هذه التعابير الدخيلة الى لغتنا واصبحت جزءا منها . وان تدرة

اللغة العربية على استيعاب هذه التعابير وغيرها من التعابير المستجدة ليكون احدى ميزاتها الاصيلة في مسيرتها الحية المتطورة . ونحن اذ نجد بين الفينة والفينة من يشجب مثل هذه التعابير في الكتابة الادبية ، فان اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه امام لغة العلوم والمعارف المستجدة .

ومن اهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث ايضا لجماهير المثقفين ، هي مشكلة استصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على النفور من اللغة . وهنا لابد أن نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين أساليب دراسة هذا النحو أو الصرف ونحن نعتقد انه في طليعة اسباب هذا النفور من النحو والصرف ، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام اقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ، **فقد جمد النحو المعاصر الذي اخذت به المؤسسات التعليمية في الاقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو . . . .**

وهكذا أتاه الجمود وصار النحو مع الاسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والاحاسيس . ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام . وما يقال عن النحو يقال ايضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة .

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون اصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات ، وهذا يعني تقديم التجريد على التجسيد ، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة .

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها ، فان **المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب** ، بل لم تعتبر الا اليسير . فاين المعجمات من هذا التراث الضخم من كتب الادب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بانواعها . . . فالعربية ما زالت بحاجة الى معجمات تستوعب الفصيح وغير الفصيح والقديم والمولد والعربي والمعرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين الفوا بالعربية . وهنا تاتي اهمية وضع معجم تاريخي يستقصي الفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر . وان مثل هذا الجهد الضخم يحتاج الى تجنيد جميع طاقات الامة العربية اللغوية تدعمها مؤسسة على هذا النطاق ذات امكانيات مالية وفنية كبيرة ان البحث في مشكلة اللغة يقودنا حتما الى التحسس **بضرورة وجود انواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية ، وبالتالي توفر لابنائها مجال الابداع والمشاركة لانه لا يمكن الابداع الا بلغة الام** ، ونعني الام هنا اللغة القومية . ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي او التشوئي والمعجم الاصطلاحي والمعجم المسادى (العام) والمعجم العلمي .

اننا بحاجة ماسة الى معجم يفي بجميع الاغراض العلمية ، تعرف فيه الالفاظ العامية بطريقة قادرة على تصوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه . ان لغتنا العربية في هذا العصر ، عصر الذرة وغزو الفضاء ، شديدة الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية . ولذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها .

مشكلة المصطلحات :

قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان احتياج امتنا العربية الى المصطلحات العصرية اللغوية كاحتياجها الى جميع وسائل التقدم الحضاري بل ان حاجتها لذلك تاتي في المقام الاول لانها مرتبطة باسباب وجودها ، اذ ما عسى ان يكون مستقبل امة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها .

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية ، فقد عانتها الشعوب الناشئة فهذه الامة اليابانية ، قد استطاعت ان تطوع لغتها القومية وان تصل بها الى اعلى ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ، بل هاهي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة شعبها لكي تصل الى طليعة الدول الذووية ، دون أن نذكر امما اخرى قد جعلت من لغاتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها .

وقد كان الامر كذلك فيما يتعلق باللغة العربية قديما . اذ اجتازت فى نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعانى الحضارية اذ ذاك فتم لعلمائها وضع كثير من الالفاظ بطرق الاشتقاق والمجاز والتعريب . . . . الخ .

وترجموا تعابير دقيقة حتى اصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة اذ ذاك . ان ذلك كله يعنى اننا لا نقف الان امام تجربة نخشى عليها الفشل ، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب . فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر « الخوارزمى » ، صاحب كتاب « مفاتيح العلوم » ، « والجرجانى » صاحب كتاب «التعريفات» و «الجواليقى» صاحب كتاب «المعرب الاعجمى فى لغة العرب» ، و «الخفاجى» المصرى جامع كتاب « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » « والتهانوى » صاحب كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » . . وان ما اثبت من اسماء المصطلحات فى الكتب العربية اكثر مما وردت فى هذه الكتب بكثير .

وفى العصر الحديث كان القصد الاسمى من انبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة فى مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التى تجرى مجرى الوسائط فى تادية الغرض العلمى .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس ، بل يرمز اليه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز اليه . وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الاحرف المؤدية للمعنى . فالاصطلاح مقصور دائما على احاطة بمعنى الشىء المسمى اصطلاحا . ومن اجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا هنا كذا . . . **ويعتمد المصطلح فى استعماله ونيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته او على زعزعته واقنائه** .

ان الاصطلاحات من الامور الوضعية والاعتبارية ، فالكلمات المصطلح عليها فى المعانى العامية لا تدل على تلك المعانى من حيث اللغة دلالة تامة ، فلذلك ليس من الضرورى ان نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الاوفق ان نتحرى الكلمة التى يمكنها ان تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور واوضحها .

ومما يجب ملاحظته فى اختيار المصطلحات ان بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة الا طبقة من الاختصاصيين . ففى مثل هذه الحال يمكننا ان نستعمل الكلمات الاجنبية بل ويجوز لنا ان نبقيها على هيئتها الاصلية. اما بعض المصطلحات الاخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيوع ، وقد تدخل لغة الشعر والادب ، وهنا يتوجب علينا ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . اما اذا اضطررنا الى استعمال كلمة اجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما ، وذلك بأن نفرغها فى قالب عربى يسهل لفظها على الناطقين بالضاد .

لا شك ان غاية الكمال فى اللغة هى ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين وان لا يلتبس فى الذهن معنيان من كلمة واحدة ، فى حين انه لا يزال فى كل اللغات كثير من الكلمات التى تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال فى بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فانها بعيدة عن هذه الدرجة فى العلوم الانسانية . وهنا تأتى اهمية مقارنة الاصطلاحات التى تستعملها الامم المختلفة ، لكى تدلنا على ما يجب عمله فى مثل هذه الاحوال ولا سيما لكى نتجنب تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا اعمى .

فالمصطلح يوضع احيانا لادنى ملابسة بينه وبين مسماه ، واوهى صلة بينهما . وانما القضية التى تطرح نفسها على الساحة العربية هى : تعميم المصطلحات ونشرها واستعمالها فى جميع الاقطار العربية موحدة متفقا عليها . فاننا لا نستطيع ان نتصور اصطلاحا تاما فى ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل اليه ابدا . وانما الهدف ايجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها فى الوطن العربى . فاللغة للامة جميعا ، ويجب ان نستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامى ، وان تكون قادرة على تناول الاشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الادب والعلم والفن والصناعة . . . وان اعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية ، لا يضيرها مطلقا اذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على الفاظ علمية بعينها . فهذا شىء يحدث فى جميع اللغات الحية .

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين

مجهودهم فى اختيار مصطلحات مفيدة . نذكر منهم :

1) الدكتور امين المعلوف فى معجميه الحيوان واسماء النجوم .

2) الامير العالم مصطفى الشهابى فى معجمه النبات .

3) الدكتور محمد شرف فى معجمه العام .

4) المجمع اللغوى المصرى فى مصطلحاته .

5) الدكتور احمد عيسى فى معجمه للنبات .

وقد بحث موضوع « المصطلحات العلمية » فى المؤتمر العلمى العربى الاول الذى عقد فى الاسكندرية فى صيف عام 1953 . واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات فى البلاد العربية جميعا .

وتطرق المؤتمر العلمى العربى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى صيف عام 1955 ، الى بحث هذا الموضوع ايضا وتألفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح فى اربع حلقات هى :

1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك

2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة .

3) علوم الكيمياء والجيولوجيا .

4) علوم المواد الاجتماعية .

وفى ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمى العربى على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها :

— : الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة فى اللغات الاجنبية التى حصرت المصطلحات الدالة على المعانى الكلية فى كل فرع وتشتمل على المصطلح الاجنبى الدال على المعنى وتعريفا دقيقا للمصطلح بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربى وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

— : طبع مصطلحات كل مادة فى معجم خاص ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

واهم ما أراه فى هذه الخطة هو « التزام الاستعمال » واتخاذ قرار بالتعريب ، ولكننا مع الاسف ما زلنا نجد انفسنا حيث كنا ! ! ! والسبب فى ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التى تواجهها ، ولكنه يكمن فى السياسة التى تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التى تنادى باللغة القومية على المجالات العلمية لاسباب مختلفة لا مجال لبحثها الان .

وسائل نمو اللغة فى التعبير عن معانى الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها . ولذا فاللغة الحية لغة نامية فى الفاظها وفى اساليبها . واللغة العربية هى احدى اللغات الحية النامية . وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بالفاظ خاصة عن كل ما يجول فى الفكر وما تتعامل به الحواس . وقد نمت اللغة العربية فى مدارج حياتها المطولة عبر العصور ، فتراكمت الفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور فى الكتب العربية ، المنشور منها والمخطوط ، المعروف منها والتائه بعد فى زوايا المكتبات والاتبية ، ما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الامكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد .

فاللغة العربية كما تنص احدى الروايات ، تتألف من ثمانين الف مادة ، والعلماء يقولون ان المستعمل منها عشرة آلاف . وفضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التى تعتبر رصيدا ضخما للغة ، فان اللغة العربية تشتمل فى طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها . فهناك : القياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والتعريب .

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التى تمدها بالقوة والتماء والنهوض والفتوة دائما ، وان استقراء القواعد بحد ذاته ليس الا ضربا من ضرب القياس . فالقياس استنباط مجهول من معلوم فاذا اشتق اللغوى صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة اخرى ، سمى عمله هذا قياسا . فالقياس اللغوى هو موازنة كلمات بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال رغبة

فى التوسع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية • وقد توسع الكوفيون فى القياس ، واباحوا النسج على القليل النادر ، فلا يكادون يقرون فى الاساليب المروية شذوذا بل طرقا متباينة ، لسنا ان نتخير منها ما نشاء وقد روى عن ابى على الفارسى وتلميذه ابن جنى : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » • ولا شك ان لحرية الراي فى الامور الفلسفية والاجتماعية التى نمت وازدهرت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كان لها صدى فى البحوث اللغوية ايضا ولا سيما فى القياس •

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع اذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع ، فوقفوا فى وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها النامية ، وما زال مع الاسف بعض اللغويين اليوم ، يتمسكون بهذا الاتجاه ، ويحاولون ترقيع امزاق الماضى والتعامى عن مطالب العصر ، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية الى ما ينفر من العربية ، ويجعلها مستحيلة على محبيها ، ناهيك عن اعدائها ••• هذا مع العلم ان حجة السماع واهية ، فقد ورد على لسان ابى عمرو بن العلاء قوله : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لانتهى اليكم علم وشعر كثير » ••• فالسماع مبنى على الحفظ ، وما لم يحفظ اكثر مما حفظ ، مما يسوغ لنا ان نقبل ما يؤيده القياس ، ويلغى ما يتمسكون به من حرمة السماع •

اما الوسيلة الثانية لنمو اللغة ، ولا سيما من حيث الالفاظ والصيغ فهى ما يسمى بالاشتقاق • والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة • فالاشتقاق عملية استخراج لفظ من لفظ او صيغة من اخرى ، والقياس هو الاساس الذى تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كى يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة • انها طريقة فى تنمية اللغة وتوسيعها ، تقوم على تحوير العناصر الموجودة فى اللغة ، وتولدها توليدا طبيعيا ، وتظل الفروع المولدة متصلة بالاصل• ويبقى ميسمه اللفظى والمعنوي ماثلا فيها ، على تنوع وتوسع •

فاذا لم يوجد للكلمة الاعجمية مقابل فى العربية يشتق لها لفظ عربى والاشتقاق قياسى فى لغة العرب، قال احمد بن فارس : « اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان لغة العرب قياسا ، وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض » ، وهنالك الوان من الاشتقاق متمايزة ولكن اشيعها واخصبها هو الاشتقاق الصغير ويعنون به : « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة اصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الاصل ، بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة • مثل شارب من شرب ، وحذر من حذر •»

وذكر ان الاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر ، واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان • ويغلب فى العلم ، ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من الاغراب وجراد من الجرد • والاعلام غالبها منقول بخلاف اسماء الاجناس فلذلك قل ان يشتق اسم جنس لانه اصل مرتجل ، فان صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب من الاغراب • وقد اشتقوا حديثا (مستشفى) مكان الشفاء و (متحفا) مكان التحف ، و (مصرفا) مكان الصيرفى ••• الخ •

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بان الاشتقاق سماعى مقيد بازمان خاصة واشخاص معينين •

وبالرغم من ان الاقدمين جروا على الاشتقاق من الاسم المعرب ، فقالوا : هندس ودرهم ، وخندق وقرطس • وجرى المعاصرون على اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهرباء ، ومغنط ومغناطيسية من المغناطيس واشتقاق اكسد من المعرب اكسيد • اقول بالرغم من ذلك كله فقد وجد فى العصر الحديث من يمنع اعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته فى كلامها حكم كلامها فيشتق ويشتق منه بقولهم : « ومحال ان يشتق العجمى من العربى ، او العربى من العجمى ••» !!!

ونحن نعتقد ان هذا مفهوم خاطىء فضلا عن جموده واعاقته لحيوية اللغة ••• وهم فى ذلك يستندون الى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها ••• وان المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة اليها • فقد كان العرب ، فى علاقاتهم التجارية والسياسية مع الاقوام المجاورة ، منذ القدم ، يتناولون اللفظ الاعجمى ، فيصقلونه ويهذبونه بحسب اوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كانه عربى صميم • وهكذا فان هذه الالفاظ تعتبر عربية فصيحة، فكيف يمكن بعد ذلك ان تعتبر لغات مستقلة او ان

تحافظ على عجميتها والراي عندنا انها الفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها دون اي تمييز الا ما حكم به الذوق السليم في عذوبة الجرس وسهولة اللفظ .

اما اشفاقهم على اللغة من الفساد . وبطلان حقائقها ، فهي حجة واهية وغير مقبولة واللغات الحية المعاصرة دليل على ذلك . فان الدراسات اللغوية تبين ان اكثر من نصف الفاظ اللغة الانجليزية ليست انجليزية الاصل ، وان اقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من اصل لاتيني والباقي من اصول يونانية والمانية ، وانجليزية وايطالية ، واسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية ، ومن لغات افريقيا ، ومن اللغات الاسيوية ومن اللغات الامريكية الهندية ...

وكما ان الحاجة ماسة في العصر الحديث الى الاشتقاق من المعرب ، فان الاشتقاق من الجامد ليس باقل اهمية . فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع . ففي « لسان العرب » في مادة (جرب) ورد :

« وجوربته فتجورب . اي البسته الجورب فلبسه » . وورد في محاضرات الراغب . « الحجاج لما جنق الكعبة » ، اي انه اشتق فعلا من «المجنيق». وورد في نزهة الجليس قول الامام عليه السلام : « مهرجونا كل يوم » . وورد في نشوار المحاضرة : « فرطلتها» اي فوزنتها في يدي لاعرف ثقلها اشتقه من الرطل ...

ولا شك ان القياس في هذا الباب يفتح الباب واسعا امام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الادوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الانسان بالعشرات والمئات كل يوم .

فالاشتقاق في اسماء الاحداث ضروري ، لابد منه ولا يجوز ان يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده . فانه ربما نظر الى الفعل الذي تفعله كل اداة مستحدثة ، فان استطعنا ان نشتق لها من فعلها اسماء فذاك . والا نظرنا فيها على طريقة التعريب ، فان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري بصورة رئيسية اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، وقد يجمع بينهما .

التعريب :

التعريب والاعراب في اللغة معناهما واحد وهو الابانة والافصاح يقال : اعرب عن لسانه وعرب ابان وافصح . وتعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه به العرب على مناهجها . تقول : عربته العرب واعربته ايضا . والمعرب هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها .

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الالسنة في اسفارهم ، فعلقت من لغاتهم الفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان . وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير ...

فالمعرب كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه اي لغة ما دام العلم مشاعا بين الامم ... والعلم في نمو وازدياد ، فلابد ان تزداد معه المصطلحات والمسميات . فالتعريب اذن ضروري لحياة العلم ... ولا خوف منه على كيان اللغة . فانما اللغة قائمة بحروف معانيها وافعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها ، وان بضع مفردات غريبة عنها قد التجات اليها ، فاضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها ، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها .

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجا اليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الاعجمية او يشتق منها اسم او فعل او يتجوز منها مجاز او ينحت منها لفظ .

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء اشبه العربي من كل وجه او حفظ على ما يدل على اعجميته .

ان العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الادوات والمخترعات الجديدة تتطلب الفاظا كثيرة لهذه الآلات والادوات ، كما ان طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع ، وبما تتميز به مصطلحاتها من حيث ارتباط الفاظها بعضها ببعض ، كل ذلك يبرر لنا اللجوء الى تعريب الالفاظ ، والا اختلط الامر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والابداع .

فالتعريب يغني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الانسانية ، كما انه يمدنا

بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لاتستغني عنها في نهضتنا العلمية .

وكان هناك فريقان في امر التعريب ، ففريق يذهب الى وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا ، فليس يكفي ان تتكلم العرب بالفظة الاعجمية حتى تغدو معربة ... وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور اهل اللغة يذهب الى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقا يلحقونها بابنية كلامهم حينا ، وحينا لا يلحقونها . بل وقد ذهب بعضهم الى القول : اذا عربت الالفاظ الاعجمية وتمكنت لدى العرب ، صرفها العرب واشتقوا منها مثل : ديباج ، فرند ، زنجبيل ، لجام ... الخ .

ونحن نرى الفاظا كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة . مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الاخرى ، دون حرج . فلم يصبها الفساد ، ولم تفقد هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة واصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر، لفترة طويلة ..

ومهما يكن من امر فلابد من اباحة التعريب باوجهه المختلفة ونقل الاسماء الاعجمية الى العربية بحروفها وذلك مثل اسماء الاعلام الاعجمية واللباس والشراب والطعام والاثاث والعقاقير الطبية غير العربية والادوية والعلاجات المادية واسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك ... الخ .

ولعل من الواجب ان تتعارف جميع المؤسسات اللغوية على اصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها ، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب ، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الالفاظ في المصطلحات ، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الاقطار العربية .

وان ما يسمى باقتراض الالفاظ في اللغات الاخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا نقل الالفاظ الاعجمية دون تغيير او تشذيب .

فقد اصبح اقتراض الالفاظ بين لغات اوربا امرا مالوفا ... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الاصلية ، والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعار منها . فهنالك لغات حديثة يتحرج اهلها في قبول كل اجنبي من الكلمات ... وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الالفاظ المستعارة كالانجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين ، كما اشرنا سابقا ، ان اكثر من نصف كلماتها اجنبي الاصل . واقتراض الالفاظ في اغلب حالاته وليد الحاجة حينا او الاعجاب حينا آخر ، كما راينا في الالفاظ المعربة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الاصل .

النقل المجازي :

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة، وهذا الاسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة اخرى . اما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه او يتصل بسبب منه .

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل المجاز ، حتى يصير المجازي هو الذي ينصرف اليه الذهن عند الاطلاق . ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي. ولا يلبث اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي ، الا يفهم منه عند التجرد من القرينة الا هذا المعنى مثال ذلك :

المدرعة ، الغواصة ، الطيارة ، السيارة ، الحافلة ... الخ .

النحت و التركيب :

التركيب امر من امور النحت. فالكلمتان تتركبان احداهما بجانب الاخرى في كلمة واحدة ، وبنحات من اجزاء كل منهما ، تنتهيان الى وضع هو النحت عينه. ويرى بعض اللغويين ان النحت والتركيب امر واحد بل ويذهبون الى انهما لون من الوان الاشتقاق . وكان القدماء يطلقون «التركيب» على «النحت» كما هو راي الخليل . ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي « بالتركيب والاختزال».

ويعرف القدماء النحت بقولهم : انه استخراج كلمة واحدة من كلمتين او اكثر .

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الاعجمية التي لا مقابل لها ، الى العربية والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل : البسملة ، الحمدلة ... اما امثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل : عبشمي ، وعبدري ... الخ وبالرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة ، يجمعون على ان النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بعدم

الحاجة الى النحت ، لا لشيء الا ان علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية ، وآخرون يقولون انهم لا يركنون اليه في المصطلحات الجديدة الا نادرا لا لسبب الا لانه على حد قولهم نادر في العربية ... الخ . وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لاغناء العربية الحديثة ، وطريقة في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها .

الا نرى اننا في كثير من الاحيان نعبر عن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة ، فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا ان نستمر في استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجل تسهيل استعمالها وانتشارها . ومؤدى هذا الراي انه يقول بقياسية النحت عند الحاجة ، ولا شك ان هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطويرها . فقد قال المتقدمون مثلا : اللامتناهي ، اللاضروري ، اللاادرية .

ونقول الآن : اللاسلكي ، اللامركزية ، اللاشعوري .. الخ . لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسيا لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية . ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته ، وما زالوا يرون الوقوف فيه عند حد السماع .

ونحن لا نرى في هذا التضييق الا اعاقة لمسيرة اللغة ، في الوقت الذي نبحث فيه اللغة من جميع امكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في ادواتها ومعارفها وعلومها ...

وربما كان من المفيد ان نفتح باب القياس في النحت على مصراعه على ان تراعى فيه اوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تاليفها ... فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة الاستعمال وتتجه جميع اللغات الحية الى جعلها قصيرة مستساغة . وليس امامنا ونحن في دور التجديد السريع الا ان نفيد من تجارب اللغات الحية . فاما ان نعرب باثقل واما ان ننحت من «المصطلحات الوصفية» كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها ، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واحدة ذات معنى محدد .

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني :

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة ايام العباسيين حتى اصبحت في طليعة اللغات العلمية . ثم جاءت عصور الانحطاط ففترت مقومات العربية كتابة وكلاما ، وجمد نشاطها حتى اصبحت مفتقرة الى المصطلحات العلمية والفنية ... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ان لا يرى لها اثر الا بين اناس يعدون على الاصابع اذ كان لسان التدريس واغلب الصحف باللغة التركية . وبعد الحرب العالمية الاولى بدات حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي . وازدهرت حركة التعريب . وكانت تساير في قوتها وضعفها ، قوة النضال الاستقلالي و التحرر من قيود الاستعمار . فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين . فتاسس المجمع اللغوي في دمشق ، وفي 1926 م تاسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام المجمع اللغوي في القاهرة وكان القصد الاسمى لانبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة . قامت هذه المجامع اللغوية ، تعضدها جهود لغويين كثر بانجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من اجله وجدت . وليس من شاننا الآن ان نقوم هذه الجهود . فقد كانت هنالك انجازات مهمة وتخبطات اتخذها اعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل وللقضاء عليه اذا ما سنحت لهم الفرصة .

لقد راينا فيما سبق ان اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها ادوات تعتبر من خصائصها الاساسية ، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدعه الانسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية . وليس هذا بالامر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الاخفاق ، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدا وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص

القول : ان تعريب العلوم او عدم تعريبها ، وانتعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة ، او عدم تعريبه انما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية او بقدرتها على الاستيعاب ، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الامة في جميع اقطارها ، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي . فان ايسر مباديء التربية تقول : يستطيع الفرد ان يستوعب بلغته القومية اضعاف اضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الاجنبية ، مهما كانت درجة اتقانه لهذه اللغة .

(هذا فضلا عما سبق واشرنا اليه من ان الابداع والابتكار مرتبطان ارتباطا عفويا بلغة الام اي باللغة القومية) .

نقول ان قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية اخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتقوقع على نفسه ، المتفيهق والمتقعر بلغته والمتنطع في اسلوبه ، فان هذا التيار مع الاسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين العربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة .

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الاجنبية وامهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الاجنبية الحية اولا ، لكي نبدا تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية . وهذا يعني أيضا من حيث النتيجة ان نبقى تبعا ، متاخرين عن التيار العلمي . فان البحوث العلمية والمخترعات ، تضيف الى المعارف الانسانية كل يوم عشرات الالفاظ . ونحن نعتقد انه لا خير لنا ان نبدا بممارسة حركة التعريب في مجالاتها المختلفة وبادوات هذه اللغة النامية التطور ، التي اوضحناها سابقا . فان التفاعل بالممارسة العلمية الجادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها امم حديثة لم تكن لغتها القومية الاسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فان الوسائل التي يمكن الاستفادة منها ، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتلخص في ثلاث طرق اصلية هي :

1) الاشتقاق 2) التعريب 3) النحت . ونحن نعتقد ان الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الاداة او تلك او حول التحفظات او التحديدات التي يبديها بعض اللغويين على استعمال هذه الادوات لا يمس جوهر اللغة في شيء . فكيف يمكن ان يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لاعاقتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية .

لجات بعض المجامع اللغوية الى وضع أولويات في استخدام ادوات نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت ، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة . فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تاسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية . جاء فيها : « ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع الى النحت عند الحاجة»... وكذلك : « لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب . فانه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية » .. وكذلك : « يرجح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة » . وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها ، ولكنها لا يمكن ان تكون سببا في اعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل او الامعان في التدقيق والاختيار ... فليس المقصود مطلقا الوصول الى المصطلح الذي لا يمكن ان يفضله مصطلح آخر ... الخ . وقد اشرنا الى الطبيعة الرمزية للالفاظ فيما سبق .

اما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها اولا في كتب اللغة والعلم القديمة ، فاذا وجدها اعتمدها . واذا لم يجدها لجا الى الاشتقاق او المجاز او النسب او التصغير ، او نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة مستمدة من اصولها وموارداها فنستغني بها عن سواها ، ونستطيع ان نثبت امام جيوش الالفاظ الاجنبية التي تحاول ان تغزوها ... ويجيز المجمع استعمال بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ...

الخاتمـــة :

ان لغتنا العربية تواجه فى هذه الفترة العصيبة من حياة امتنا اخطارا تداهمها من العدو الاجنبى ومن بعض ابنائها مع الاسف • وان الواجب يقضى عـلى الغيورين على لغتهم والحريصين على بقاء امتـهم وتدعيم حريتها واستقلالها ان يتكاتفوا من اجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية ، تصبح بنتيجتها اللغـة العربية لغة العلـم والادب والحضارة • تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركـة والابداع •

فالمصطلحات العلمية هى الرافد الاساسـى للمعاجم والنهوض باللغـة على وجه العموم وهـى تشمل الفاظ الحضارة الحديثة فى شتى فروعها : فى المعرفة النظرية وفى التطبيقات العلمية ولا يراعى فى الاصطلاح الا الافضل مما اشتد اليه مسيـس الحاجة ولو كانت الكلمة اعجمية الاصل •

واخيرا فنحن نود ان نجعل اقتراحاتنا عـلى الوجه التالى :

1) لقد حان الوقت لتاسيس مجمع لغوى واحد ، تعاونه المؤسسات اللغوية الاخرى فى مختلف الاقطار العربية تكون مهمته اعداد المفردات والاصطلاحـات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة على ان تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ • ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليـا ومعنويا • ونحن نتطلع لان يكون اتحاد المجامـع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة •

2) ايجاد هيئة جامعية ، فيها كفاءات ممتازة من اجل ترجمة الدوريات والحوليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية •

3) على المؤسسات العلمية العربية اتخـاذ خطوات ايجابية فى التعاو ، والتشاور لرفـع المستوى العلمى ، ولكى تتمكن من جعل العربية لغة رسميـة للتعليم الجامعى •

4) توطيد الصلات الادبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين فى الاقطار العربية •

5) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيـه بوسائله المعروفة فى نمو اللغة وان يرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمـة ، وان يطلق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، وان يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفـة • وان قبـول المسموع الشائع من هذه اللغات الاجنبية التى دخلت الى لغة المصانع والحرف والمختبرات ، ولا سيما على نطاق البلاد العربية ، يوفعنا فى البلبلة والترادف ، وهنا ياتى دور المجمع اللغوي الموحد الذي اشرنا اليه• فالالفاظ الدخيلة فى عامية كل قطر من الاقطار العربية تختلف باختلاف المـؤثرات السياسية والاجتمـاعية ••• الخ •

6) هناك مخاطرة فى ترك علماء اللغة يعملـون وحدهم ، دون ان يعمل معهم علماء مختصون فى المادة التى يعرض لها الباحث ، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه •

7) وضع معجم تاريخى للالفاظ العربية ، بحيث يبين المعانى المختلفة التى دلت عليها من خـلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر •

8) وضع معجم لغوي جامع حديث فى ترتيبـه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر تتـعاون فى وضعه الاقطار العربية وتلتزم باستعماله •

9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية واحياء ما فى المصادر العربية القديمة فى مجال اختبـار المصطلحات العلمية •••

10) القيام بحفريات فى الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة فى اعداد التاريخ العربى القديم •

ونحن نعتقد ان تطور اللغة العربية وجعلهـا لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته ، يعتمد قبل كل شيء على تبنى سياسة التـعريب • وان اتخاذ القرار والاندفاع فى تطبيقه وممارستـه بتوفر جميع المتطلبات اللازمة هو المنطق الحقيقى فى معالجة هذه القضية القومية والحياتية للامة •

المصـــــادر والمراجـــع

ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ، الطبعـــــة الثانية ، القاهرة .

احمد تيمور : السماع و القياس ، الطبعة الاولى القاهرة ، 1374 هـ — 1955 م .

احمد عيسى : التهذيب فى اصول التـــعريب ، القاهرة ، 1342 هـ — 1924م .

اسعد على : تهذيب المقدمة اللغوية الشيـــخ عبد الله العلايلى ، بيروت ، 1388 هـ — 1968 م .

التنوخى — القاضى — ابو على الحسن بن على، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبـــود الشالحى 5 اجزاء — 1971 — 1972 .

الجواليقى ، ابو منصور موهوب بن احمد ، (465 — 540 هـ) ، المعرب من الكلام الاعجمى عـــلى حروف المعجم ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، طهران 1966 .

الراغب الاصفهانى ، ابو القاسم حسين بـــن محمد ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعـــــراء والبلغاء ، بيروت 1961 .

السيوطى عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر فى علوم اللغة وانواعها ، جزءان ، القاهرة ، 1387 — 1958 .

عثمان سعدي ، قضية التعريب فى الجزائـــر القاهرة .

اللسانيات ، مجلة فى علم اللسان البـــشري ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الاول العدد 2 جامعة الجزائر .

محمد الخضر حسين ، دراسات فى العربيـــة وتاريخها ، دمشق .

محمد الخضر حسين ، القياس فى اللغة العربية القاهرة ، 1353 هـ .

محمد رضا الشبيبى ، تراثنا الفلسفى ، بغداد، 1385هـ — 1965 م .

مصطفى جواد ، المباحث اللغوية فى العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، 1385 هـ — 1965 م .

المكى العباس بن على بن نور الدين الحسينى الموسوي ، نزهة الجليس ومنية الادب الانيس ، ج2، النجف — 1967 .

ابن منظور ، لسان العرب .

المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق 1956 .

CH. BRUNEAU, Petite histoire de la langue française Tome premier - Paris 1966.

صيغة فعلون في العربية

الاستاذ محمد بن تاويت

لقد عرفت العربية صيغة « فعلون » بضم الفاء ، كما في عرجون ، الواردة في القرآن الكريم ، فهي مشتقة من العرج ، لانعراج العرجون كما يقول الزمخشري في الاساس ، وتقبلت من غيرها « عربون» المعرب من اربون ، واشتقت منه في الجاهلية والاسلام، كما في حديث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، انه ابتاع دار السجن باربعة آلاف درهم ، اعربوا فيها ، اي اسلفوا .

وعلى ندرة « فعلون » المكسورة الفاء ، فقد قيل انه وجد في العربية ، بمثل صهيون ، كما وجد كذلك مكسورا في السريانية ، واقدم ما لدينا من نص في هذه الكلمة ، قول الاعشى :

وان اجلبت صهيون يوما عليكما
فان رحى الحرب النكوك رحاكما

ولكننا وجدنا الكلمة تشكل بفتح الياء ، كما فعل في فرعون ، وبرذون ، وحرذون ، استثقالا — ربما — لهذا الانتقال من الكسر الى الضم ، ولا فاصل الا السكون ، ولهذا ، لم يفعلوا شيئا في « صهيون » المفتوحة الصاد ، وتركوا الياء على ضمتها ، وقالوا انه اسم قبيلة كما في البكري ، الذي اورد البيت المذكور ايضا ، على ان كلمة « عشرون » يصح ان تحقق هذه الصيغة ، فهي بكسرها مستقلة بنفسها عن عشر وهو ما نجده في اغلب اللغات ، مثل (بيست) في الفارسية « ويكرمي » في التركية و VIGINTI في اللاتينية ، وما تفرع منها من لغات باختلاف بسيط فهي وحدة . وبهذا نكون قد وضعنا ايدينا على المفتاح، الذي نبحث عنه ، والسلاح الذي نفتقده في الميدان ، وقد اقتحمه بعضهم فكان « كساع الى الهيجا »»»»

كنت قد سمعت من استاذنا مصطفى السقا ، رحمه الله ، وانا ادرس عليه بكلية الآداب من جامعة فؤاد ، ان خلدون ومثله مما ولد في الاندلس العربي ، على خلقة اقليمية متاثرة بمحيطها الخاص .

ومنذ اسبوع وصلني العدد او المجلد الحادي عشر (الجزء الاول) من اللسان العربي ، فتصفحت من بحوثه بحثا قيما للاستاذ حامد عبد القادر ، بعنوان : « صيغة فعلون في غير العربية » وفي ذيل الصفحة ، ورد ما يلي :

قدم الاستاذ عبد الله كنون ، الى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والثلاثين ، بحثا له في اسم خلدون ، وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية ؟ فاحيل الى لجنة الاصول ، وفي اثناء دراستها له ، قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا »

وكما ذكر في اللسان ، فان البحث نشر بادئا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الجزء الحادي والعشرين منها .

وقبل ان نعطي الموضوع حقه الذي نزعم به ، نود ان نسجل ملاحظتنا على بحث الاستاذ حامد ، حامدين الله اننا لم نطلع على غيره ، فنمر كراما به ، فعنوانه لا يحصر ما ورد فيه من امثلة ، بل انه انصب « زيادة الواو والنون في آخر الكلمة « عموما ، فكانت هذه «الزيادة » اليق بالعنوان . وقد ورد في البحث من امثلة الباب كلمة « مجلول » وهذا ان لم يكن تعرض للتصحيف المطبعي ، فانه خارج منه لكونه مفعولا

كما ورد منها « حفازون » وهو ليس من بابتنا في الصيغة فالزنة غير الزنة،وان انتهت بما انتهت به الا لدخل معنا من العربية نحو حيزبون وحلزون ، مما زيدت فيهنايته الواو والنونقطعا وتحقيقا، كما سنرى.

وكذلك نستبعد من الصيغة ، وان اكرههما القانون الصرفي الصارم ، كلمة حازون وشاعون ، كما نستبعد من الامثلة ما جاء مدغم العين باللام ، وهو صرفيا خاضع للزنة ، ولكننا نريد الفرز ، والتشخيص لفعلون ، هكذا ، كخلدون الذي لامس ما في الاسبانية او صاقبه وعلى ذكر ما في الاسبانية من هذا ، فالى القارىء امثلة من هذا القبيل :

Ladron من Ladrar اي النباح ، يقصدون

بالنباح المبالغة منه ، اللص ، كانه يقلده في عمله أو يثير نبح الكلاب عليه

Cabron من Cabra اي المعزاة ، يريدون بالمكبر منها «القرنان» الذي يطلق على الديوث ، فهو مكبر من المؤنث من المعـــزا

Maricon مكبر Marica مصغر Maria والمراد بمارية مطلق امراة ، كما يطلقون اسم فاطمـــة على المراة منا ، فهذا المكبر من ماركة تصغير مارية ، يراد به المخنث ، فهو لا يستحق ان يكبر من المراة مباشرة حتى تصغر هذه ، فيكون فيها من ضعف الانوثة ، ما يؤهل التكبير منه لهذا المؤتى ، فهو كذلك مكبر من المؤنث وان كانت الصيغة مذكرة ، كسابقتها ، ولا يؤنث كلاهمـــا .

وفي هذا لا باس ان نحمص ، بحادثة حصلت ذات يوم ، في احد الاقطـــار اتلى تتكلم الاسبانية ، وانا بدكان ، حيث دخلت على صاحبه صبيتـــان له ، تشتكي احداهما الاخرى ، انها قالت لها «ماريكونا» هكذا بالتانيث ، فلم ينفعل الرجل ، وقال في هدوء ، لا تقولي هذا يابنيتي

وللاطفال دخل في نشاة اللغة ، فقد سمعـــت الصبية الكلمة مذكرة فتصرفت فيها

نعود الآن الى كلمة ((فعلون)) هل هي مـــن قبيل التكبير الاسباني ؟ وهل زيادة الواو والنون لذلك خارج عن النطاق العربي ؟

كلا ، وايم الله ، وان كان بعضهم ، لا يريدنـــا مقسمين ، وجهل ما فيه من مقتضيات ننزهه عـــن بعضها .

لقد وردت فعلون في القرآن الكريم ، في التيـــن والزيتون ، وفي شجرة مباركة زيتونة ، ولم يرفـــض اصحاب المعاجـــم العظام ان يكون وزنهـــا فعـــلون وفعلونة ، ونكتفي بلسان العرب وتاج العروس .

اذن فالصيغة لا تاباها العربية على قلة ما ورد فيها ، وهل اصل الزيتون من الشام ، كما قالوا ، هذا لا يهم ، وقد قبل في العربية الفصحى بوزنه ، وقالت فيه الجاهلية اشعارها ، كقول ابي طالب :

بورك الميت الغريب كما بورك نضر الرمان والزيتون

وما لنا وللجاهلية التي تشككنا في هذا البيت ، وعندنا القرآن الكريم والحديث الشريف ، ففي الحديث ذكر لجيحون وسيحون ، كما في اللسان والتاج ومعجم ما استعجم والوفيات في ترجمة محمد بن ميكائيل ، ولا شك ان اسم جيحون كسيحون عربي والاشتقاق فيه من جاح كالاشتقاق في غيره من ساح ظاهر بين ، والا فان اسم جيحون بلسان قومه «آموي» كما نجـد في قول الرودكي من قصيدة له : (من رجال القـــرن الثالث واوائل الرابع) .

ريك آموي ودرشتي راه او زيد بايم برنيان آيدهمي

وكذلك سيحون اسمه عند قومه ((سيردريا)) بحر خوارزم وهو سير و«دريا» اي البحر ، كمـــا يسمى السابق ايضا «آمودريا» بزيادة بحر واسمـــه القديم «اوكسوس» ، وقد زاد البكري عليه اســـم نهر آخر اسمه ((نيشون)) ذكره مع غيره من اقســـام الفردوس اصحاب الاخبار ، كما قال ولا يعنينا صحة ما قالوه ، بقدر تقبلهم لهذا الوزن ، كما تقبلوا جيرون ، فقالوا انه فعلون ، من لفظ جير ، قالوا ، ان جيرون بن سعد نزل بهذا المكان فسمي به ، فهو عربي اذن ، وقد ورد في شعر ابي دهبل الجمحي ، حيث يقول :

طال ليلي وبت كالمخزون ومللت الثـــواء في جيرون

وقد تدخل الحس العام في جيرون ، فاعتبره جمع جير ، كما تدخل في «عشرون» واخضعه للتغـــــيير الاعرابي ، وما هو بذلك الجمع في شيء .

وكذلك وجدنا ((بينون)) قيل فيه انه على وزن ((فعلون)) كما ورد ايضا انه على وزن فعلول ، وهو مكان سمي ببينون بن ميناف بن شرحبيل ، فهو عربي كذلك ، ولا يهمنا الاختلاف في الزنة عند الصرفيين ، فنثبته كما هو بزيادة الواو والنون ، كما نثبت سمنون بعد والى جانبه بينونة ، قال المرار :

وما خفت بين الحي حتى رايتهـــم
ببينونـــة السفلـــى وهي نـــوازع

وقد يقال ان وزنه فيعلولة وله ضرائب وجدنا عينون، قالوا : وهي احدى القريتين اللتين اقطعها النبي صلى الله عليه وسلم تميما الداري واهل بيتـــه ، والاخرى حبري ، وهما بين وادي القرى والشام ، وورد عينون في قول كثير :

يجـــزن وديـــة البضيع جوازعـــا
بالليـــل عينـــونا فنعف تيـــال

وقد وقع لابن جني في هذا الوزن ان قال ، انـــه مثال فائت ، فعلـــق عليه ابن منظور بقولـــه : ومـــن عجب ان يفوت الكتاب وهو في القرآن العزيز وعـــلى افواه الناس ، قال الله تعالى ، والتين والزيتون ، قال ابن عباس ، هو تينكم هـــذا وزيتونكم هذا ، وقـــد ورد في شعر السكري (من القرن الرابع) تسميـــة

الحرباء بابى قلمون ، وهو عربى لاشك ، قال :

باع بوقلمون لناس وشاخ بوقلمون نماى
اب مروايد كون وابر مروارد بار

هذا ما يتصل بالصيغة ، على العموم ، اما ما يتصل بها علما ، بصفة خاصة ، فاننا نجدها بالشرق فى منتصف القرن الثانى ، وقبل ان يعرف العرب الاندلس بنحو نصف قرن ، فمن المعروف ، كما بالاغانى ان يزيد ابن عاوية ، كان ينادمه الى جانب الاخطل سرجون او سرحون الذيكان كالاخطل على النصرانية.

وفى القرن الثانى ، كان عدة رجال ونساء يحملون هذا الاسم فقد عرف حمدون بن اسماعيل ، وينكر الاغانى له حكاية ، مع المغنية دقاق ، التى كانت منقطعة الى حمدونة بنت الخليفة هرون الرشيد ، وعرف كذلك الهاشمى حمدون الحامض ، وهو جد الشاعر ابو العبر ، ابو العباس بن محمد بن احمد الذى لقب بحمدون ، وقد ولد الشاعر فى خلافة الرشيد ، وكان له استواء ايام ابنه الامين ، وطال عمره فكان من شعراء المتوكل المبرزين ، وفى هذا القرن عرفت الاندلس والقيروان اعلاما بهذه الزنة فشبطون القرطبى ، الفقيه المالكى ، الذي انتشر على يديه مذهب مالك بالاندلس ، كما يقول ابن حزم ، هذا فى الاندلس ، وعرف بالقيروان سحنون عبد السلام بن سعيد المولود بالقيروان سنة ستين ومائة ، واصله من الشام ، قالوا : سمى باسم طائر حديد الذهن بالمغرب فالصيغة على كل حال فى زنتها وحروفها لا تمت الى الاسبانية فى شىء هنا،وقد ادرك القرن الثالث وخلفه ابنه محمد المتوفى سنة 256 عرف بالشرق كما عرف ابوه ، وله مؤلفات طبع بعضها ، ومما لم يطبع «اجوبة محمد بن سحنون» و «الرسالة السحنونية » .

قال ابن خلكان الذي ضبط الاسم وذكر معناه : وفى فتح السين وضمها كلام من جهة العربية يطول شرحه ، وليس هذا موضعه ، وقد صنف فيه ابومحمد ابن السيد البطليوسى جزءا وقفت عليه ، وقد استوفى الكلام فيه كما ينبغى ، وهو مجيد فى كل ما صنفه .

نعم ان الصيغة شغلت النحاة ، فكان قبل البطليوسى ، ابو على الفارسى ، ينظر فى الاعلام التى وردت عليها ويمنعها من الصرف ، للعلمية وشبهه العجمة ، كما قال ، ومما علق فى ذهنى منذ التلمذة بفاس ، ان بعضهم انزل زيادة الواو والنون فيه منزلة زيادة الالف والنون ، ولكن هذا غير سديد ، لانه يشمل الصفة كما يشمل غيرها ، مما زيدت فيه الواو والنون وليس على هذه الزنة وتقدم حيزبون وحلزون وزادوا عليهما زرجون للمطر الصافى المستنقع فى الصخرة على ان بعضهم يصرف الوزن المذكور وهو علم ، نص على هذا الامير فى شرحه على معنى اللبيب ، فى مسالة تعلق الجار والظرف بحروف المعانى ، وعند قول ابن هشام « وهو اختيار ابن عمرون » ومع هذا فزيادة الواو والنون فيها من التكبير ما نحسه فى زيادة الالف والنون ، بنحو طوفان وخسران ورجحان ونكران وسكران وعطشان وشبعان وغرثان وفيمان وحيشان، وحيوان ، وان كان الصرفيون فرقوا ، ومن المعاجم المحدثة التى تكلمت على زيادة الواو والنون فى هذه الصيغة ، معجم عطية ، ففيه ان الواو والنون زيدتا للتكبير فى اللغة السريانية ، وهذا ان استعارته العربية، فهو من السريانية لا الاسبانية ، قال هذا عند تعرضه لكلمة « جملون» .

فى القاموس : الشيخ والشيخون من استبانت فيه السن ، قال فى تاج العروس معلقا عليه : واورده بعض شراح الفصيح وقالوا هو مبالغة فى الشيخ وبهذا تكون هذه الزنة معروفة فى فصيح اللغة العربية على انها للمبالغة .

ومهما يكن ، فالاعلام على زنة فعلون ، عرفت بالشرق فى القرن الاول واشتهرت فى القرن الثانى ، شرقا وغربا ، كما راينا سلفا .

وفى هذا القرن نجد عبد العزيز « ابن حمدون »، يقول : سمعت الحامض ينكر ان ابنه ابا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، كما بالاغانى بل نجد عرجون بن طالب ينكر مع الشاعر عبد الله ابن محمد الاحوص ، ولاشك انه عاش فى القرن الاول ، لان الاحوص مات سنة 105 وبذلك يضاف الى سرجون ، الذي ذكر ايضا .

وفيه نجد زرقون المغنى ، الذي كان اول من دخل الاندلس من المغنيين ، ومعه زميله علون ، ايام الحكم بن هشام .

وفيه نجد ذكرا لرجل آخر اسمه « علون» بفاس، فقتل فى المكان الذي يعرف حتى الآن بعين « علو » بحذف النون ، كما حذفت من صفرون ، وربما كان اسم الجبل بزرهون ، اسما اسلاميا ، مقلوبا عن زهرون الذي عرف فيما نذكر بعد ، نقول « ربما » ولا نقطع بذلك لانه قد يكون بربريا ، كما عرف فى الشرق زرجون ، وربما كان هذا معربا من زركون الفارسى ،

وهذه الكاف تحول جيما فى العربية كما فى كناه التـــى صارت جناح بالضم ٠

وفى القرن الثالث وجدنا جدا لابي على القالى يدعى عيذون ، فلا شك انه مشتق من العياذ بالله ، او حمل على ذلك كما نجد ابن خيعوتة ذكر بداره مـــن سامرا بمروج الذهب ، وابن عيشون الحرانى القاضى، والحمدونى الشاعر ، وغيرون ربيعة الخارجى ، وغير هؤلاء بالمروج ٠ وفيه نجد اعلاما اخرى بهذه الزنـــة ، ابراهيم بن اسماعيل ابن حمدون النديم الخصيـــص بالمتوكل ، وحمدون بن اسماعيل القصار شيخ الملامتية من المتصوفة ، كما فى كتيب لاستاذنا « ابو العـــلا عفيفى» رحمه الله ، وهذا البحتري معاصرهما يبعث بابيات لابن خردادية يقول فيها :

لم تدر ما بى وما قد كان بعدك من
نفاستى لك فى عبدون او حسدي

وكان للقائد صاعد بن مخلد النصرانى اخ يدعى كذلك عبدون نكبه باخيه الموفق كما فى مروج الذهب

على حين عرف بالقيروان المتصوف الاديب غلبون ابن الحسن بن غلبون ، وعرف فى الاندلس زيد ابـــن خلدون من رجال المائر عمر بن حفصون ، بل ابنـــاء خلدون عرفوا آنذاك بالاندلس رؤساء العرب الخلص، عند الامويين ، فكان ظهور هذا الاسم بالـــعرب لا المولدين ٠ وكان من هؤلاء الرؤساء كريب بن عثمان ابن خلدون احد كبير العرب ايام الامير عبد الله بن محمد ، كما فى المقتبس الذي يذكر آخرين ٠

وفى هذا القرن ايضا نجد محمد بن عمر بـــن خيرون المعافري القيروانى الاندلسى الامام فى القراءات والذي اشتهرت به قراءة نافع بافريقية ٠ وفيه كـــان سمنون بن حمزة الخواص الصوفى البصري الشاعـــر المشهور بمقطوعات الرشيقة ، كما كان سعيد بـــن حكمون تلميذ محمد بن سحنون ، ولعله بالفتح وهو مذكور فى البيان لابن عذارى ، وكان سعدون السرنباقى ايام محمد بن عبد الرحمن ، وقبله كان ايام الحكـــم الربضى حمدون بن فطمس ، ثم كان سعدون الفتى كبير خدمة ابنه عبد الرحمن ، وحمدون بن بسيـــل الاشهب ايام محمد ابنه ، ثم حمدون بن حبون وزيـــر ابنه عبد الله ، وقبله كان فرجون العريـــف ، وعـــرف من ابناء فرجون عبد الملك بن احمد المتوفى سنة 387 وآخر بهذا الاسم سنة 517 وربما كان هؤلاء بفتـــح الراء ، لهذا لن نعرج على غيرهم من ابناء فرجون ، كما لن نذكر اسدون وسرتون ، وابناء فرتون لان هؤلاء بضم الفاء وهم من FORTUNA الاسبانية اي الثروة والحظ ، وعرف فى الشرق لهذا العهد ابراهيـــم بـــن زهرون الحرانى قال القفطى اظنه جدا لابراهيم الكاتب وممن ادركوا القرن الرابع ابو عثمان سعـــــدون الخولانى ، ادرك سحنون وكان من كبار تلاميذ ابنه ، وسمع منه ابوبكر بن سعدون وتوفى 325 وعلي ابن حمدون بن سماك الجذامى المعروف بابن الاندلسى ، وهو من كبار القواد الفاطميين ، تولى بناء الزاب ثم الامارة عليه بالقرن الرابع ، وكانت بالشرق حمدونة اخت عيسى بن موسى الحرى زوجة محمد بن صالح الحسنى وفى الاندلس حمدونة بنت زريب زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز ٠

وفى القرن الرابع كان القائـــدان ابنا عـــلى بن حمدون المذكور : جعفر ويحيا ممدوحى ابن هانـــىء الاندلسى بالامداح الطائرة الصيت ، كما مدح حفيده ابراهيم بن جعفر بقصائد طنانة ٠

وكان ببغداد محمد بن احمد بن اسماعيل بـــن عنبس ابن سمعون الزاهد الواعظ ، وهو الوارد فى مقامات الحريري بالحادية والعشرين منها وهى الرازية كما فى الوفيات ، كما كان يعاصره بالاندلس حامد ابن سمجون طبيب المنصور ابن ابى عامر ، وجعفر بن على ابن غلبون امير الزاب بعد والده بافريقية ، وهو الذي اشرنا اليه ، واشتهرت من امداح ابن هانىء فيه فائيته المعروفـــة :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفـــا
وبتنا نرى الجوزاء فى اذنها شنفا

قتله المنصور ابن ابى عامر ، وقد انحاز برجاله الى الامويين ، وكان ممن استعان بهم المنصور المذكور على منافسيه فنال جزاء سنمار وكان يعاصره بحلب ، ثم مصر ، عبد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون ، كـــان شاعرا مجيدا ومن المؤلفين فى القراءات ، كما كـــان ابنه طاهر ابن غلبون من نزلاء مصر والعلماء بالقراءات فيها ، وهو شيخ الدانى المشـــهور فى الـــقراءات ، وعاصرهم كذلك عبد المحسن بن محمد ابن غلبـــون الصورى الشامى ، ترجم له ابن خلكان ، ووصفه بالشاعر المشهور ،واتى بنماذج من شعره ، منهـــا نونية فاتنة يستهلها بقوله :

اترى بثار ام بديـــن علقت محاسنها بعينى

وفى هذا القرن والذي قبله كان محدث الاندلس سعيد بن مجلون سكن بجاية ورحل الى المشرق توفى سنة 346 وهو ابن 93 وكسر ٠

وفى القرن الرابع وجدنا ايضا من هؤلاء واولئك فى الشرق ، الجرشون تزوج ابنة عبيد الله بن بختشيوع وكان ابوها من اجلاء العمال وثابت بن ابراهيم ابن زهرون الحرانى الصابىء العالم الطبيب من مؤلفاته اصلاح مقالات من كتاب يوحنا بن سرافيون وابا اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون الصابىء الكاتب المبدع والشاعر المفلق ، فهو ابن عم ثابت بن ابراهيم ، ومحمد بن أحمد بن اسماعيل بن عنبس بن سمعون البغدادي الزاهد الواعظ الذى اشار اليه الحريرى فى مقامته الرازية ، كما بالوفيات وعبيد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون الشاعر المجيد والمؤلف فى القراءات فى حلب ومصر ، وهو والد ابى طاهر ابن غلبون شيخ الدانى فى القراءات ، ومن الذين كانوا من رجال العلم فى الشرق لذلك العهد عبد المحسن بن محمد ابن غلبون الصوري الشامى ، وصفه ابن خلكان بالشاعر المشهور ، واتى بنماذج من شعره ·

وكان بالقيروان حسن بن خلدون البلوي قرا على علي ابن محمد القابسى ، وقتل سنة 407 وكذلك كان معاصرا له بالقيروان ابوبكر محمد ابن سعدون التميمى توفى سنة 344 كما فى عنوان الاريب ، وفى الاندلس كان العالم المقرىء محمد بن وسيم ابن سعدون الطليطى الاعمى المتوفى سنة 352 كما فى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى وسعيد بن فرج ابن فتحون النحوى القرطبى ، امتحن من المنصور بن ابى عامر ومحدث الاندلس ، سعيد بن مجلون ، رحل الى الشرق وسكن بجاية وتوفى سنة 346 وعمره ثلاث وتسعون سنة ، فيعد فى القرن الثالث ايضا ، وسعيد ابن فتحون الفيلسوف المنبوز بالحمار ، وقد ورد ذكره فى رسالة لمحمد ابن حزم ، ومحمد بن احمد بن عبد العزيز بن محمد بن سعدون ، روى عن ابن ابى زمنين ، المتوفى سنة 399 ، فالغالب انه ادرك القرن الخامس ومحمد بن أحمد ابن حمدون الخولانى القرطبى المتوفى سنة 380 · وابو بكر ابن زيدون والد الشاعر ، ادرك اوائل القرن الخامس وكان مولده سنة 304 · وابوبكر حامد الطبيب ابن سمجون الف فى الادوية المنصور ابن ابى عامر ، وعرف بافريقية محمد بن عبدون السوسى الشاعر توفى نحو 400 · وكان بالاندلس ايضا عمر بن يونس ابن عيشون خدم المستنصر وتوفى ايامه ومحمد بن احمد ابن سعدون روى عن محمد بن سحنون · وفى طرابلس كان بهذا القرن زاهدان ، احدهما رجل وهو ابن خلفون الحسانى ، وثانيهما عجوز تدعى سمدونة ، ذكرا برحلة التيجانى ·

وفيه كان ابو على ابن خلدون الامام المشهور بالعلم والصلاح كما فى شجرة النور والى بنته ينسب ابو الطيب الكندي توفى هذا 430 ·

وفيه كان محمد ابن عيشون الطليطى المتوفى سنة 341 وله رحلة الى الشرق ·

ومن رجال القرن الرابع كذلك عبد الخالق ابن سبلون القيروانى المتوفى سنة 391 الف المقصد فى اربعين جزءا ·

وقد فاتنا ان نذكر بدعة الحمدونية الادبية المغنية ، التى عاشت بين القرنين الثالث والرابع الى منتصفه وهى ممن ذكروا بالاغانى ·

وفى الاندلس كانت حفصة بنت حمدون الحجارية وفى الرابع كان ايضا حمدون بن سمك وعبدون بن الخير وفحلون بن هذيل ·

وكان فى الامكان ان نضيف الى هؤلاء عبد العزيز ابن محمد بن حيون قاضى القضاة بمصر والشام وغيرهما عند الفاطميين وهو باطنى · وقد عرفت مصر اسم حيون فى القرن الثانى ففيه نجد حيون بن صالح المصري ممن حمل الفقه والحديث عن مالك ، كما بالمدارك ، وشهر بالفاطميين آخرون كالنعمان بن محمد بن حيون القاضى عندهم كذلك ومن اركان دعاتهم ، وابنه على ابن حيون القاضى كذلك بمصر ، واخوه محمد ابن حيون القاضى بمصر ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة زغيره وأورد له شعرا ، وهؤلاء افارقة من القيروان ، وكنا سنضرب عن ذكرهم صفحا لما تقدم منا اولا وكان بقرطبة عبد الله ابن حمون الفقيه المالكى توفى سنة 431 وقبله محمد بن ابراهيم بن حيون الحجاري روى عنه ابن مسرة توفى 305 ·

ننتقل الى القرن الخامس فنجد فيه لابن الحاج صاحب قرطبة ، ابناء ثلاثة ، حمدون وعزون وحسون، قال فيهم ابن السيد البطليوسى :

اخفيت سقمى حتى كاد يخفينى
وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون فان ظمئت
نفسى الى ريق حسون فحسونى

كما كان لهذا العصر عمر بن احمد بن خلدون الاشبيلى المهندس المتفلسف توفى سنة 449 كما فى تاريخ الحكماء للقفطى · وفيه نجد محمد بن خزرون بن عبدون

الزناتي احد ملوك الطوائف بالاندلس ، وله اخ اسمه عبدون ، قتله المعتضد العبادي 445 ·

اما محمد فحصلت بينه وبين المعتضد موقعة في جنوب البرتغال ، قاتل فيها قتالا مستميتا ، بعد ان امر بقتل حرمه فقتل 448 ·

وكان من وزراء المقتدر ابن هود وزير يدعى تحقون ، فقيل فيه ، ((ضج من تحقون بيت الذهب)) يريد به احد قصور المقتدر يدعى مجلس الذهب

ومعلوم ان ابن زيدون كان من رجال المعتضد وابنه المعتمد ، توفي سنة 463 ثم كان ابنه ابن زيدون الذي قتل ايام يوسف بن تاشفين · وابو عامر ابن عيشون من رجال القلائد ، وابو العباس ابن عيشون من شيوخ ابي الاصبع المتوفى سنة 559وابن غزلون صاحب الباجي وهو احمد بن علي وفيه كان عمر بن احمد بن خلدون ، مهندس طبيب اندلسي وقد توفي سنة 449 وفي التعريف بابن خلدون ، انه عمر ابن محمد عن ابن حزم ، وكانت بالاندلس نزهون القلاعية الفرناطية ، وقد ذكرت كذلك ، وكما يقول المخزومي :

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا

ثم ذكرها بقوله :

الا قل لنزهونة مالها
تجن من التيه اذيالها

فكان هذا منه ـ كما يبدو ـ تصرفا منه ، والا فقد عرفت بنزهون بلا تاء · وفيه محمد بن سعدون القيرواني ، مات في اغمات سنة 485 من مؤلفاته تاسي اهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان وغيره كما بالاعلام ، وذكر في شجرة النور ان وفاته كانت سنة 486 واخذ عنه ابن اخيه عبد السلام ابن سعدون المتوفى بتلمسان ·

ويذكر في التاج عند سرد الفيروزبادي اسماء مشتقة من سعد بينها سعدون ، ان ممن سموا به جد ابي طاهر محمد بن الحسن بن محمد ابن سعدون الموصلي ، وستاتي اخيرا سلسلة من الاسماء العراقية سميت بهذا الاسم محلى بال وبدونها ، وعبد الله بن فرج ابن غزلون الطليطي توفي 487 وابو مسلم ابن خلدون الاشبيلي الرياضي المتفلسف توفي باليمن ، ومحمد بن احمد ابن سعدون سمع اباذر الهروي بالشرق · وفي هذا القرن ايضا كان صاحب قلعة القدموس يدعى ابن عمرون ، ومنه اشترى الاسماعيلية هذا الحصن سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة · وفيه كان الشاعر الاريب عبد المجيد ابن عبدون اليابري من البرتغال صاحب المرثية لبني الافطس الذين وزر لهم ثم للمرابطين وقد ادرك القرن السادس ، بعد هذا نتصل بالقرن السادس ، فنجد فيه مثل عثمان بن عبد الرحيم ابن بشرون الازدي) الصقلي الاديب من رجال الخريدة ولعله بالكسر ، كما ذكر بشجرة النور ، ونجد بمصر سلامة بن رحمون الطبيب 5ـ6 وعبد الملك بن عبد الله ابن بدرون الحضرمي الشلبي من البرتغال حاليا وهو شارح قصيدة ابن عبدون ادرك القرن السابع · ومحمد بن الحسن ابن حمدون البغدادي عالم بالتواريخ صنف كتابه ((التذكرة)) في الادب والتاريخ نادم المستنجد العباسي ، ثم غضب عليه ، وحبس فتوفي في حبسه سنة 562 بعدما تولى ديوان الزمام ولقبه الخليفة بكافي الكفاة ، وخلفه ابنه الحسن الذي كان من الادباء ، مغرما بجمع الكتب والخطوط ، وقد تولى المارستان العضدي وتوفي سنة 608 بالمدائن ·

ومن رجال الاندلس لهذا العهد ابو محمد عبدون ابن صاحب الصلاة توفي سنة 578 ·

وابن عيشون من شيوخ صفوان بن ادريس المتوفى سنة 598 ·

وحسنون الرهاوي الطبيب النصراني ، وذكرناه كما ذكرنا سمنون ، لان الصيغة لا تاباهما ، وتوفي سنة 615 ·

ومحمد بن سعيد بن زرقون لقب جرى على بعض آبائه وتوفي سنة 586 ·

واحمد بن ابي بكر بن محمد بن غلبون من رجال هذا القرن ·

واحمد بن عبد الله بن خميس ابن نصرون ، توفي بالجزائر سنة 547 او ثمان واربعين

واحمد بن عبد العزيز ابن سعدون البلنسي من القرن السادس كذلك

واحمد بن محمد ابن عيشون ، توفي سنة 608، كما بالذيل والتكملة

وعبد الملك ابن جحفون او جعفون ، نزيل فاس، وبها توفي سنة 580

وغلبون بن محمد بن عيشون بن فتحون بن غلبون ، المتوفى سنة 613

وسعدون بن محمد بن فتوح روى عن ابن مضاء ، وينسب اليه مسجد بمراكش ، كما يقول ابن عبد الملك

والطيب بن احمد بن على ابن زرقون بن اطيح توفى سنة 556 وعبد الله بن محمد ابن سعدون توفى اواسط القرن السادس

وسعدون بن مسعود المرادى المتوفى سنة 520 ، فيعد بهذا من رجال القرن الخامس كذلك .

ولعله فى هذا العهد كانت قسمونة بنت اسماعيل اليهودي الشاعر الوشاح ، وكانت كذلك شاعرة وشاحة ، فربما صنع ابوها من الموشحة قسما فتتم هى الموشحة بقسم آخر ، ومنها نشات التسمية او اللقب ، كما يبدو .

ومن شعراء الموحدين فى هذا العصر، ابن حزمون وابن حربون ، نجد شعرهما فى الموحدين بكتابى المن بالامامة والبيان المعرب ، ونجد كذلك من رجالات الاندلس عبد الملك ابن عيشون المعافري له رحلة الى الشرق واخذ عن السلفى ، وحل بالمهدية وتوفى 574

وعلى بن محمد ابن فرحون القيسى القرطبى اقام بفاس مدة ، ثم شرق وجاور ، وله مؤلف فى الحساب يعد من اقدم ما لنا فيه توفى 601 .

واحمد بن عبد الودود بن سمجون ، ورايت فى بعض المطبوعات اخيرا ، شكله بفتح الميم ، ولسنا متاكدين من صحة ذلك .

وخلف ابن فحلون ، وهذا عاش كذلك فى القرن الخامس ، فيعد من رجال القرنين، ومحمد بن عبدون معاصره واحد الذين سمع منهم حمد بن سعيد ابن زرقون الانصاري الشريشى الاشبيلى ، تولى قضاء شلب ثم سبتة وتوفى سنة 586 باشبيلية .

ومن المشارقة لهذا العهد عبد الله بن محمد ابن ابى عصرون التميمى الموصلى الشافعى من علماء بغداد ، وتولى قضاء دمشق وتنسب اليه مدرسة بدمشق ، كما ذكر باعلام الزركلى ، كانت وفاته سنة 585 .

بعد هؤلاء نتصل بالقرن السابع ، فنجد فيه :

على بن اب ابن شلبون المعافري البلنسى الشاعر الكاتب ، وزر ليوسف ابن هود ، ثم فارقه الى مراكش حيث توفى بها سنة 639 .

ومحمد بن محمد بن سعيد ابن زرقون ، المتوفى سنة 621 عن نيف وثمانين سنة ، فهو من رجال القرن السادس كذلك

ومحمد بن اسماعيل ابن خلفون الازدي الاونبى، سكن اشبيلية ، وهو من رجال الحديث والرواية ، توفى سنة 636 كما بالتكملة .

وابا الحسن ابن زرقون ، شيخ الشريشى ، ويعد كذلك من رجال القرن السادس

ومحمد بن على بن محمد ابن عيشون المتوفى سنة 664 .

وعيشون بن محمد بن عيشون المتوفى بتونس سنة 644

ومن المغرب محمد ابن عبدون المكناسى المتوفى سنة 658

ومن النساء سعدونة بنت عصام الحميري القرطبى ، وسعدونة هذه هى ام السعد الشاعرة ، توفيت سنة 640

ومن المشارقة ابن عمرون ، تلميذ يعيش ، جالسه ابن مالك بحلب ، كما جالس شيخه

وعبد الوهاب بن احمد ابن سحنون التنوخى الدمشقى ، شيخ الاطباء بها ، وكان شاعرا خطيبا ، توفى سنة 694

ويوسف بن يحيى السبتى ، المعروف بابن سمعون ، قال القفطى وسمعون جده العاشر اوالتاسع وهذا يهودي طبيب ، هاجر من فاس الى الشرق ، واتصل بابن ميمون فى مصر ، كما يبدو ، ثم استقر بحلب ، وتوفى سنة 623 ، فليس بمشرقى النشاة والاصل

ومن الذين عرفوا بالشرق ، عبد العزيز ابن سحنون ، برهان الدين الغماري النحوي ، توفى بمصر سنة 624

ننتقل الى القرن الثامن ، فنجد فيه :

عبد الله بن على ابن سلمون الكنانى الغرناطى اجتاز الى المغرب ، فقرا بسبتة ، وتصوف بفاس ، وتوفى مجاهدا بوقعة طريف سنة 741

المدنى المولد والوفاة سنة 746 ، ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن على بن محمد ، ابن السابق ، وهو صاحب الديباج المذهب ، توفى سنة 799 .

وربما كان من المشارقة ايضا ، محمد بن احمد ابن سمعون ، ناصر الدين ، العالم الفلكى الميقاتى ، والمؤلف فيهما والعمل بالاسطرلاب والربع (لعله يشمل المجيب والمقنطر) وتوفى سنة 737

وكان بنو فرحون آنذاك كذلك ، منهم اخوه ابو اليمن محمد برهان الدين المدنى العمدة ، كما وصفه فى شجرة النور ، ومنهم على بن محمد التونسى الاصل المدنى النشاة والوفاة سنة 769 ، فهو مشرقى اذن ،

عبد الله بن محمد ابن فرحون التونسى الاصل

ويحيى بن محمد ابن خلدون اخو عبد الرحمن ، مات فى سجنه قتيلا ، سنة 780 عن نيف واربعين سنة ، وكان كاتبا مؤرخا جيدا . اما اخوه فقد ادرك اوائل القرن التاسع ، كما هو معلوم ، وتوفى بمصر سنة 808 ، وخلدون الذي ينسبان اليه ، هو الجد التاسع لهما ، فابوهما محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، كما ذكر بالتعريف .

وفى هذا القرن كان ابن فركون تلميذ ابن الخطيب ، وكان ممن تغير عليه من التلاميذ العاقين ، كابن زمرك ، وقد ذكر ابن الخطيب فى كتابه المحبة ، ابن خلصون ، كاحد المؤلفين فى المحبة ، ولا ندري اهو من هذا القرن او سابق عليه

ومن هذا القرن ابو الحسن ابن فرحون ، وابو محمد ابن سلمون احد الذين روى عنهم ابن الخطيب ، وربما كان السابق ذكره بعبد الله .

وفى القرن التاسع نجد :

ابا عبد الله شقرون بن محمد بن احمد بن ابى جمعة المغراوي الاستاذ المتكلم ، من شيوخه ابن غازي ، توفى سنة 929

وكان من رجال الدولة ابن شقرون ، صاحب الشرطة بقصبة فاس القديم ، على عهد ابى عبد الله البرتغالى الوطاسى

ومن الاندلسيين الفقيه الصالح ابن حرشون معاصر ابن الشران الاندلسى ، ولهذا شعر يخاطب به ابن حرشون .

ولعل ((ريسون)) والدة على بن عيسى ، كانت

وابن شقرون

من مواليد القرن التاسع ، وادركت العاشر ، كشقرون

وهى فى الزنة ((فعلون)) فقد ذكر ريسون فى المعاجم ، بمادة ريس ، وعرف فى الشرق بلد بهذا الاسم ، فى الاردن ، كما انكر

وفى القرن العاشر نجد : على بن ريسون المذكورة وتوفى فى منتصف هذا القرن واحمد ابن الحسن ابن عرضون المتوفى سنة 992 وذكر فى النبوغ بعرضون دون ابن وبتاريخ الوفاة سنة 993 .

ومحمد بن على ابن ريسون المتوفى اوائل الحادى عشر .

ومحمد بن الحسين بن عرضون ، العلامة الهمام المشارك المتفنن ، كما هو فى شجرة النور ، توفى سنة 1012 هـ

ومحمد بن هبة الله الملقب بشقرون ، قاضى مراكش ، كما فى الاعلام لابن ابراهيم ، توفى سنة 983 .

بعد هؤلاء ننتقل الى القرن الحادي عشر ، فنجد فيه

الحسن محمد بن على ابن ريسون

وعبد القادر ابن شقرون المكناسى ، الطبيب الاديب ، ادرك الثانى عشر ، واخذ عن شيوخ العهد الاسماعيلى كالتستوتى والولالى

وفى القرن الثانى عشر ، نجد :

محمد بن محمد الصادق ابن ريسون وصاحبه التهامى ابن رحمون .

وابا محمد عبد القادر ابن شقرون القاضى على فاس ، ايام المولى محمد بن عبد الله

وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حمدون ابن الحاج ، وكلاهما ادرك الثالث عشر

وفى طرابلس نجد محمد بن خليل ابن غلبون

وفى القرن الثالث عشر ، نجد :

من الشرق ، السعدون حمود بن ثامر المتوفى سنة 1247

والسعدون عقيل بن محمد المتوفى السنة المذكورة

والسعدون بندور بن ناصر المتوفى سنة 1280
والسعدون ناصر بن راشد المتوفى سنة 1301

والسعدون فهد بن على المتوفى سنة 1314 ذكر هؤلاء جميعا فى اعلام الزركلى محلون بالاداة ، وفى المغرب ، كان من ابناء شقرون ، ابو العباس احمد المراكشى من امناء الحسن الاول .

وابو العباس احمد الحاج الفاسى ، احد المبعوثين الى اسبانيا للدراسة من قبله

وابو العباس احمد امين الصائر له

وابو الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن حمـــدون ، المتوفى سنة 1232 ومولده سنة 1174 فيعد بهذا من القرن 12 كذلك

وابو عبد الله محمد الطالب ابن حمدون ابـــن الحاج المتوفى سنة 1273

واخوه ابو عبد الله محمد ابن حمدون الفقيـه المحدث المتوفى سنة 1274

وابو عبد الله محمد المهدى ابن الشيخ حمدون المتوفى سنة 1290 وكان يعاصره على بن محمد جلون المتوفى بعده بسنتين ثم ابنه محمد المتوفى سنة 1298

وفى الشرق كان سعدون باشا ابن منصور بن راشد السعدون المتوفى سنة 1330 فهو معدود فى القرن الرابع عشر الحالى ، وفيه من المغاربة كثيرون يحملون هذه الصيغة ، ادركنا منهم وما زال بعضهم على قيد الحياة :

ابن رحمون	ابن شقرون	حمدون
برهـــون	كحلون	زرهـــون
ابن ريسون	زمطرون	صيـــدون
دعنون	عطمون	

وهؤلاء جميعا من تطوان ، وفيها كثير مـــــن عائلاتها بهذه الصيغة لم ندركهم او لم نعرفهم، والغالب ان برهون ليس من هذا الباب وهو عندنا بفتح البـــاء بينما هو فى الشرق بضمها ، وقد عرف من علمائـــه الحسن بن ابراهيم بن برهون ، ونص ابـــــن حلكان على ضم بائه .

وقد لاحظنا اننا ذكرنا ، احيانا الاسم ، ثم من انتسب اليه بالابنية ، لان المراد رواج الصيغة فـــى الاحقاب المختلفة

كما اننا ذكرنا ابن سمعون الطبيب اليهودي ، وربما كان الاسم محرفا عن «شمعون» العبري ، وهذا لا يعنينا بقدر ما يعنى كون فعلون عرفت فى الـــشرق والغرب ، منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، وليس ذلك من خلقة الاسبانية ولا زيادة الواو للتكبير عربيا عن العربية العرباء ، على ندرة ما ورد فيها ، حتى عد المتحلى بها شبيها بالاعجمى ، كما تقدم سوى هـــؤلاء فقد عرف الشرق والغرب حيون كثيرا، وعرفت الاندلس دحون ، كما عرفت وعرف المغرب دقون وفكون ، لكننا لم نات بذلك كله لما التزمناه ، والا لـــكانت عـــشرات الاشخاص تاتى فى هذا الباب ، مما زيدت الواووالنون فيه ، كما عرف الاندلس آخرين بهذه الزيادة وهم فى اسمائهم والقابهم على حروف تزيد على ما فى الصيغة السابقة .

الصفحة

2 ـ ذكرى سيبويه 73

العربية قبل سيبويه وبعده 75

الاستاذ ابراهيم العريض

سيبويه والمدرسة الاندلسية 79

الاستاذ علال الفاسى

كتاب سيبويه فى المغرب والاندلس 86

الاستاذ محمد حجى

أثر سيبويه فى النحو العبرى 81

الدكتور حسن ظاظا

العربية قبل سيبويه وبعده *

للاستاذ ابراهيم العريض

اسمحوا لي أن اقرر — في مستهل كلمتي هذه — بكل تواضع ،ما هو عندي في حكم البداهة بالنسبة الى اللغة العربية ، قبل أن أتبسط في الموضوع شرحا وتعليقا :

اولا — ان اللغة العربية التي ظلت تتدارسها الشعوب الاسلامية — قراءة وكتابة — تنقها في الدين وتفكها في الادب ، منذ القرن الثاني للهجرة ، انما هي لغة حضارية مشذبة مهذبة أخذت بها هذه الشعوب الداخلة في الاسلام «من غير العرب طبعا» عن طريق الكتابة والدرس ، وهي تختلف في معاناتها النفسية وملابساتها الاجتماعية ودلالاتها القومية عن لغة البادية التي كان العرب في أوطانهم — بمختلف لهجاتهم — يتحاورون بها على سليقتهم ، ولا زالوا ينعلون ذلك تلقائيا الى اليوم في أنحاء عالمنا العربي . وهي التي حاول النحاة — من غير طائل — تلمس شواهدها في الشعر الجاهلي، واختلفوا في امرها في شعر الفرزدق في صدر الاسلام ، ثم تنكروا لها كليا فيما رأوا من آثارها في شعر المتنبي في القرن الرابع الهجري . فأساؤوا بذلك — الى اللغة والى أنفسهم — لولا العلامة ابن جني الذي تدارك الموضوع ، وكان « عالما » بمعنى الكلمة فوضع لهم حدا .

ثانيا — ان قواعد هذه اللغة التي يتدارسها الطلاب في مدارسهم كما وضعها — ولا اقول استنبطها — النحاة ، لتيسير درس اللغة حسب منطق ارسطو ، هي أبعد ما تكون عن الاحاطة بالشواهد الشعرية والآيات القرآنية التي نحوا يختلف منها في كثير من الاحيان مما وقع معه اصحاب المدارس النحوية في تناقض مع أنفسهم ، ومع معه القول :

تندر بهؤلاء · اضعف من حجة نحوي !

ان غرضي من طرح الموضوع على هذا الشكل هو أن الفت نظركم الى ضرورة اعادة النظر من جديد في هيكل وبناء هذه اللغة الكريمة شكلا وموضوعا ، على غرار ماتم عند سوانا من نقص في مثل هذه الدراسات حول لغاتهم منذ استهل هذا القرن ، وهاقد أشرف الان على نهايته — لان نظل نجتر كالببغاء ماقاله القائلون مناقبل مئات السنين دون وضعه على المحك . فاللغة عند العلماء المعاصرين هؤلاء ، بخلاف ما يريده لها نحاتنا القدماء ، دائبة في التطور غير جامدة ، وما ذلك الا لان المعول في هذه الدراسات اللغوية الحديثة التي يتبنونها هو على اللغة الحية التي يتحاور بها الناس تلقائيا في شتى أمورهم ، لا تلك التي تستبطنها الكتب محنطة كالمومياء . فما يستخلص للغة من قواعد لايجوز بحال أن تكون كبولا يمنعها التنفس والحياة ، كما ظل الحال عندنا الى أمس القريب ، بالنسبة الى الفصحى ، ولا أن تكون قاصرة عن احوالها الدارجة .

والآن نتبسط في الموضوع

اذا عدنا بالذاكرة الى الوراء ابان الفتوحات الاسلامية الاولى الفينا كثيرا من الشعوب والامم تنضوي تحت لواء الاسلام وتسعى جاهدة لتعلم احكام هذا الدين الجديد وتلاوة آيات محكم كتابه العزيز وهو القرآن الكريم، لذا كان لابد لهم من تعلم اللغة العربية .

---

* من الكلمات التي القيت في مهرجان سيبويه بشيراز 1974 .

وهـذا سبب ديـنى . . يضاف اليـه سبب اجتماعى يتجـلى فى الرغبة الـعارمة لدى تلك الشعوب والامم فى السعى نحو التفاهم فى شؤون حياتها اليومية مع السادة الجدد .

ومن الطبيعى أن كـل متعلم للغة لابـد وان يخطىء فى ادائها . . وهذا ما يسمى « باللحن »

واللحن انواع : لحن صوتى فى طريقة نـطق الحروف والكلمات ، ولحن اسلوبى فى طريقة نظام الجملة وحركات اواخر الكلمات فيها .

وهناك لحن آخر نشأ على يـد الذين قرأوا القرآن ولم يكن فى أول امره منقطا ولا مشكـلا . . ولهذا وقـع البعض فى اخطـاء فاحشة فقد قرئت الآية « ان الله برىء مـن المشركين ورسوله » بكسر اللام فى رسوله . . وهذا خطأ شنيع . . وكان الصواب أن تفتح اللام على العطف أو ترفع على الابتداء . . فقام أبو الاسود الدؤلى بمهمة التنقيط والتشكيل ، وكان التشكيل عبارة عن نقطة بـين يدى الحرف أو فوق الحرف أو تحته بلـون مغاير لون الحروف المكتوبة وما استحدث لها من نقاط تمييزا لبعضها عن بعض .

ثم جاء الخليل بن احمد وقام بمهمة التشكيل بالطريقة المألوفة حاليا .

وهكذا قضى على نوع من انـواع اللحن . . وبقيت الاخطاء الصوتية واللغوية والاسلوبية .ومن الملاحظ ان هذه الاخطاء كانت معظمها من الشعوب والامم غير العربية ، لان العرب كانوا ينطقـون لغتهم بالسليقة ؛ كمهارة من المهارات البشرية . . ينشأ عليها ناشىء الفتـيان منهم ، كما هو الحال عند سائر الشعوب فى تواجدها الى اليوم .

وليس معنى هذا أن العرب كانوا لا يخطئون — على مستوى الافراد — احيانا ، لقد كانـوا مثـل غيرهم يخطئون . . الا انها اخطاء قليلـة لا تنقص من شأن قائلها ، هذا اذا اخطأ فى لـغة قبيلته . . لكن لغة قبيلته لا تعد خاطئة اذا قيست الى لغة القبائل الاخرى . . فهذه ليست أخطاء ، انما هى لغة العرب ، تنوعت فى صور ادائها ونحو اسلوبهـا .

وهذا يختلف اختلافا كليا عن تلك الاخطـاء التى وقعت فيها تلك الامم والشعوب غير العربية .

ان الفرق بين ما يسميه النحاة فى كتبهم لحنا ينكرونه فى منطوق العرب) « اخطاء » وبين تلـك التى تجرى على لسان غير العربى هو أن الاولى يمكن تاويلها من خـلال ادراكنا لاسرار اللـغة العربية وتنـوع لهجاتها وصـور ادائها ومناحى اسلوبها ، كما سوف اعرض عليكم من شواهدها بعد ، أما الثانية فلا تبرير لها من خلال واقعنـا اللغوى الذى هو الاساس والفيصل فى المقـارنة والحكـم .

وكان لابد من جمع شواهد اللغـة العربية لوضـع القواعد الضابطة لهـا . . فقام الرواة واللـغويون بعمليـة الجمع ، تـارة على أساس الواقـع اللغوى كما نجـده فى كثير من مسائـل التصريف ، وطورا على أساس احتمالاته كمـا نجده فى الافتراضات النحوية التى لا أساس لها من الواقع ، وشواهد كل ذلك موجودة فى كتاب سيبويه ، ونادرا على أساس الاستيعاب كما فعل الخليل فى كتاب « العيـن » ، حيث استخـرج الكلمات كلها مـن اصلها الثلاثى ثم اسقط المهمل منهـا .

واحس العلمـاء بالفرق بين بعـض اساليب اللغة المنطوقة وبين كونها مكتوبة ، فبعض الرموز اللغوية قاصـرة عن مستوى الاداء الصـوتى ، ولان الكتابة العربية فى أحسن احوالها ليست الا اختزاليـة ولا يمكن أن تعطى صـورة معبرة عن منطوق الناس ، كما نجده بدقة أكثر عند سوانا . ففى اللغة السنسكريتـية مثلا لنطق الالف بكـل امالاتها أكثر من ثمانيـة أشكال معبرة ، بينمـا لا يتعدى الالف عندنـا شكله الواحـد رغم كثـرة الامالات ، كما هـو واضح فى بعـض القراءات القرآنية أو لهجات القبائل . وهذا ادى بدوره الى نشأة كثير من المباحث الصوتيـة ، نجد بعضهـا واردا فى كتاب سيبويه ، مما ادى عند بعضهم الى اشكالات كثيـرة .

وكان لابد من تيسير اللغة للاعاجم رغم كل هذه الاشكالات . فتعمد سيبويه الى استنباط قواعد نحوه وصرفه على أساس الاغلبية دون أن يحددها (وقد أنكرت عليه ذلك مدرسة الكوفة) ، وطالب بالقياس عليها ، واعتبر كل اسلوب عربى خـارج عليها شاذا أو لغية يجب اسقاطها من اللغة العربية كتابا وحديثا . وكأنـما كان يريد أن يضع قواعـد

تعليمية ميسرة قد تصلح لغير العرب ، كما نفعل نحن حين ندرس قواعد لغة اجنبية فلا تنتهج منها غالبا — بادىء ذى بدء — الا كل ما هو خاضع للقياس، او هكذا تفعل الامهات مع أطفالهن الصغار . ولكن هذا ليس بوارد عند ما يشب الطفل عن الطوق ، فيلغط فى لغته مثل ذويه ويحسنها احسانهم فيها يتقلب فيه من ظروف حياته الخاصة . وهنا يكمن فى نظر الكوفيين خطأ سيبويه حين اراد ان يخضع لغة العرب المنطوقة ويلوى عنقها وفق قواعده ذات الهدف التعليمى .

فالكسائى احد المتخرجين من مدرسة الخليل — مثل سيبويه — واحد القراء السبعة المشهورين لم يعجبه هذا التجنى على اللغة . فقد نظر فوجد بعض الآيات القرآنية لا تخضع لاقيسة النحاة ومنطقهم المتشدد ، وكان يتسلح بوازع دينى متين أبى عليه ان يعتبر تلك الاساليب شاذة ولا يجوز القياس عليها ، بل اعتبرها صحيحة كصحة الاساليب القياسية التى ارتضاها النحاة .

وقد مضى على نهجه الكوفيون من بعده حرصا على سلامة اللغة .

وتحضرنى هنا المسألة الزنبورية التى اختلف عليها العالمان ، فى قولهم : كنت اظن الزنبور اشد لسعة من النحلة فاذا هو هى او فاذا هو اياها . فقد قال سيبويه بالقول الاول ، واجاز الكسائى القول الثانى ، ومضى على خلافهما النحاة الى اليوم . وهذه العبارة لا تقوم لذاتها فانما هى عينة لامثالها ، وما اجاز الوجهين — كما اعتقد — الكسائى الا لان العرب تقول بهما معا .. والى اليوم .. ولكن فى ظرفين مختلفين . وبيان ذلك عندى انك اذا كنت تنقل هذه التجربة نقلا غيبيا عن سواك فما لك معدى عن القول « فاذا هو هى »، اما اذا كنت تتحدث عن التجربة وقد عاينتها بنفسك فعندها لا يصح الا أن تقول « فاذا هو اياها » دلالة على معاناتك الحاضرة لها .

ان ما اعتبره سيبويه ومن اتبعه من مدرسة البصرة أمثلة شاذة أو لغات أو لغيات لا يقاس عليها يمكننا ان نستشف منها ابعادا معنوية وذوقية خفيت على الاعاجم ومن استعجم من العرب . ومما اكثر هذه الشواهد الشاذة عندهم .

فقد عد سيبويه لغة « اكلونى البراغيث » منها ، وقال بعدم القياس عليها لانها تخالف القاعدة المطردة . ولو كان القول شاذا غريبا لانقرض منذ زمن طويل ، مع ان من الملاحظ انه مستعمل الى حد كبير فى كل مكان من الوطن العربى . وهذا يعنى ببساطة انه أسلوب عربى خالص فيه سر لم يهتد اليه النحاة الاولون .

ففى قولنا « اكلتنى البراغيث » — كما ترى — ينصب الاهتمام على البراغيث الفاعلة ، ويكون تمام القول « فانقض عليها ترحنى » . اما فى قولنا « اكلونى البراغيث » فانما ينصب الاهتمام على حدث الاكل ذاته دون البراغيث ، ويكون تمام القول هنا « فانتفنى منها » . فهذا الاسلوب الثانى أشبه ما يكون بالبناء للمجهول على غرار قولهم فى الانكليزية :

I have been Pestered by mosquittoes.

وله شواهد من القرآن قوله تعالى : فاسروا النجوى الذين ظلموا .

ومن الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .

ومن الشعر قول ليلى العفيفة (زوجة البراق):

غللونى ، تيدونى ، ضربوا
ملمس العفة منى بالعصا

ولم يسىء ، الى لغة الضاد شىء مثل «نظرية العامل» ، التى جاء بها نحاتنا لتعليل الامور . وكان باب التنازع وباب الاختصاص وباب الاشتغال مهزلة المهازل لدى تطبيقها على لغة الناس . ووصل الحال ببعضهم الى تلمس الاخطاء — بمقتضاها — حتى فى شعر المتنبى ، وذلك بعد قرنين من وضع قواعدهم ، فى مثل قوله :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم

وقوله :

وانى لمن قوم ... كان نفوسنا
بها انف أن تسكن اللحم والعظما

وقوله :

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت
لها المنايا الى ارواحنا سبلا

وفاتهم أن يدركوا أنه كان فى الاول يجيب على السؤال « من أنت ؟ » . . لا على السؤال « من الذى نظر الاعمى الى أدبه ؟ » ، وفى الثانى كان يعتبر الحكم ساريا عليه كسريانه على قومه ، لا ساريا عليهم وحدهم دونه ، وفى الثالث لم يكن تخطئتهم له الا لمجرد تطبيق ما وضعوا من نظرية فى الضمير العائد الذى لا يتقدم على اسمه ، وان خالفهم الواقع لا فى لغة العرب وحدهم بل فى جميع لغات الناس .

وخلاصة القول ان بين اللغات الانسانية نوعا من وشائج القربى وصلات النسب ، وعلى المهتم بلغة الضاد أن يسلح نفسه بثقافة اجنبية مستفيده حتما فى نظرته الى لغته القومية وتفهم أسرارها .

وان هذه القواعد التى وضعها سيبويه لم يقصد بها أن يجنب الاعراب الخطأ فى لغتهم وانما كان الغرض منها أن يجنب الاعاجم اللحن ، وفى سبيل تيسيرها وقع فى تناقض كثير ، لانه اراد أن يقومها بالمنطق .

وان قواعد اللغة — عند وضعها — لا يمكن أن تكون غاية فى حد ذاتها ، ولو انصف النحاة لاعتبروها وسيلة لفهم أسرار اللغة ، حتى فى كل ما جاء على وجهين من باب الجواز ، كما فى قول أم عقيل وهى ترقص طفلها :

انت تكون ماجد نبيل اذا تهب شمال بليل

لا مجرد الاكتفاء بالقول « ان (تكون) هنا زائدة » فهى قد خصته بالصفتين فى حاضره وفى مستقبله خلفا لابيه .

وان اللغة المنطوقة تلقائيا هى الاصل فى تفهم اللغة واستنباط قواعدها ، لانها تظل حية ابدا ، كما توصل الى تقريره العلماء المحدثون فى دراساتهم اللغوية .

واخيرا انا اومن باختلاف اللغات عند العرب، واعتبرها كلها حجة ، كما ارى ان ما جرى على نسق كلام العرب فهو من كلام العرب . . قياسا او شذوذا . . ولا يجوز أن يتحكم المنطق الذى مجاله الفلسفة فى اللغة التى ميدانها الحياة .

والسلام عليكم
البحرين ، 1974/7/24 .

ابراهيم العريض

سيبويه والمدرسة الاندلسية المغربية فى النحو

للمرحوم الاستاذ : علال الفاسي

تحتفل شيراز ومعها العالم العربي والاسلامي بذكرى رجل عظيم كان له الدور الخطير فى خدمة لغة القرآن ورواياته ، وفى تقعيد قواعد النحو وفنونه ، الا وهو امام البصريين وحجة النحويين ابو محمد ابن عثمان المعروف بسيبويه والمولود باحدى قرى شيراز المسماة بالبيضاء ، فارسى الاصل ، بصري المقام ، عربى الثقافة ، وقد كان سيبويه درس الفقه والحديث والتفسير فى أول حياته الدراسية ، ثم لما رأى اللحن يفشو فى الناس آلمه ذلك فانصرف الى طلب النحو وجد فى درسه وتعلمه على ائمة عصره وفى مقدمتهم الخليل بن احمد وابو الخطاب الاخفش، وما زال يطلب هذا العلم حتى اصبح فيه اماما .

واذا كان محققو المؤرخين للعلوم وتقسيمها اتفقوا على ان أول من وضع النحو هو الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ثم تلميذه ومريده ابو الاسود الدؤلى الذي اخذ عنه الاصول ووضع هو من المناهج والقواعد الشيء الكثير ، فان عالمين من اعلام العربية يعتبران الواضعين للعلم نفسه .

وهما على بن حمزة الملقب بالكسائى الذى نشأ بالكوفة ، واصبح احد ائمة القراء وصاحب قراءة خاصة به ، فهو من القراء السبعة الذين تولى القرآن بحروفهم وهو مؤسس المذهب الكوفى فى النحو ، وكان هو ومحمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة حظيين عند المهدي ثم الرشيد من بعده .

والثانى هو سيبويه العظيم صاحب « الكتاب» الشهير المعروف باسمه فى النحو ومؤسس المذهب البصري الذي طبق الآفاق .

وبهذين الرجلين تكونت مدرستان عظيمتان فى النحو جرى بينهما تنافس كبير وخلاف عظيم فى طرق البحث ومناهج الاستدلال ، ومن المعروف ان سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على تفضيل اهل الكوفة وتقديمهم على اهل البصرة لان هوى هؤلاء كان امويا بينما كان هوى الاولين عباسيا .

وكانت المحافظة شعار البصرة ، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة ، لا يكفيهم الواحد والاثنان منها ، فاذا اجتمع لديهم منها ما يطمئنون اليه اسسوا عليه قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذا ، بينما كان الكوفيون يكتفون بالسماع الصحيح ، ويستدلون بالحديث المروى عن الرسول (صلعم) وعندهم الشاذ قليل .

وامتاز علماء الكوفة بانهم اول من اشتغل بقواعد الصرف ، ومن اول علمائهم فى هذا الشان معاذ الهراء وابو جعفر الرؤاسى المتوفى عام 190 هـ استاذ الكسائى ينسب اليه كتاب الفيصل الذي يقال انه اول ما الف فى النحو على الطريقة الكوفية .

اما المغاربة وفى مقدمتهم الاندلسيون فقد عرفوا نحو الكوفة قبل ان يعرفوا نحو البصرة ووصل اليهم كتاب الكسائى قبل ان يصل كتاب سيبويه ، ويذكر صاحب البغية ان جودي بن عثمان الطليطلي انتقل الى المشرق فاجتمع بالكسائى والفراء ، وكان اول من ادخل كتاب الكسائى الى الاندلس ، والف كتابا فى النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان مولى لآل يزيد بن طلحة العبسيين ، وقام الفضل مفرج ابن مالك بشرح كتاب الكسائى ومات بعد المائتين .

اما كتاب سيبويه فاقدم من حفظه من المغاربة القرويين ابو عبد الله الملقب بالنمجة واسمه حمدون ابن اسماعيل ومات بعد المائتين .

ومع الميل الذي كان للمغاربة عموما للمذهب الكوفى ، فقد وقع منهم اقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به ، تاييدا ونقدا ، وقبولا وردا ، ولعل الاسباب التى كانت تدعو المغاربة على الخصوص الميل لكل ما هو كوفى ، وحبهم لآل البيت ، العباسيين اولا ، ثم العلويين بعد ان ثار هؤلاء على العباسيين، يدل على ذلك ان المغرب فى أول امره كان يميل الى فقه ابى حنيفة ، حتى تأثروا بدعوة الحسين صاحب فخ ، وتاييد مالك لدعوة محمد النفس الزكية حين قام

بالدعوة للخلافة العلوية ، فانحاز للمذهب المالكي الذي يزيد على ما سبق بميزته بالعناية بالحديث وكون امامه عالم المدينة ، اما فيما يرجع للنحو فقد حافظ على ميله للمذهب الكوفي ، لان الكوفة امتهد بها النحو منذ تاسيس علي بن ابي طالب كرم الله وجهه له ، ناهيك ان ابا حيان الذي لم يكن يدرس كتاب النحو الا في كتاب التسهيل او في كتاب سيبويه (1) . وهو بربري الاصل من نفزة ، وكان شديد المحبة لعلي بن ابي طالب ، وانتقل من المذهب الشافعي الى مذهب الظاهرية ، وكان يقول محال ان يرجع عن المذهب الظاهري من ذاقه ، والمذهب الظاهري ينكر القياس في الفقه فاحرى به ان ينكره في النحو .

واذا كان الكسائي قرا كتاب سيبويه على الاخفش سرا ، ومات الفراء وكتاب سيبويه تحت وسادته ، مع انهما كانا يخالفان مذهب سيبويه حتى في القاب الاعراب وتسمية الحروف ، فلا غرابة ان نرى المغاربة ايضا من الاوائل الذين عرفوا كتاب الاخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيبويه الى امثال ابن مالك وابن آجروم الفاسي صاحب المقدمة المشهورة ، يعتنون اعتناء كبيرا بكتاب سيبويه بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولون خلق مدرسة اندلسية مغربية ذات اضافات لما ذهب اليه البصريون والكوفيون وما اختلف معهما فيه البغداديون .

فابن آجروم محمد بن داوود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية ، امام النحو واستاذه في عصره ، والذي وقع الاقبال على دراسة مقدمته الصغيرة هذه حتى كانت اول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب قبل النهضة الجديدة .

كان ابن آجروم هذا من الذين يدرسون كتاب سيبويه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه ، فقد عبر بالخفض كما يعبر الكوفيون لا بالجر ، وقال الامر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب وذكر كيفما في الجوازم والجزم بها راي الكوفيين وانكرها البصريون ، وكان مولده عام اثنين وسبعين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس .

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية مع اتصالهم بالمذهب البصري وبدراسة كتاب سيبويه ومناقشة الآراء جميعها حتى تاتى لهم ما يمكن ان يسمى مذهبا رابعا اذا اعتبرنا الاختيارات البغدادية مذهبا ثالثا . وانك لواجد في كتب النحو اضافات احدثها علماء الاندلس والمغرب مثل اسماء ابن خروف المتوفى سنة 609 هو وابن عصفور والشلوبين وابن الضائع المتوفى سنة 680 وان كان الاستاذ سعيد الافغاني لا يرى في هذه الاضافات ما يميزها عن غيرها من التخريجات المختلفة المعروضة في القضية الواحدة، او بعبارة اخرى ليس لآراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة (2) .

ويناقش بعد ذلك فيما قاله ابو حيان في شرح التسهيل من ان ابن خروف وابن مالك شرعا الاستشهاد في النحو بالحديث ، مع ان ذلك كان معروفا عند جماعة في القديم والحديث مستدلا لذلك ، يقول السهيلي : « لا نعلم احدا من علماء العربية خالف في هذه المسالة (الاستدلال بالحديث في النحو) الا ما ابداه الشيخ ابو حيان في شرح التسهيل ، وابو الحسن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما على ذلك جلال السيوطي» (3)

والواقع ان الذين يتحدثون عن المدرسة الاندلسية المغربية لا يرمون الى ادعاء وجودها في هذه الفترة ، اي قبل ابن حزم وانتشار المذهب الظاهري في الاندلس والمغرب ، فقد سبق ان بينا ان هذه الفترة الاولى كانت فترة الميل الى المذهب الكوفي وتفضيله على المذهب البصري ، ولا شك ان الكوفيين كانوا يقدمون العمل بالحديث على القياس على عكس البصريين ، ومن الملاحظ في عمل سيبويه انه لا يستدل بالحديث ولا يدلي به كحجة لتفسير اية مفردة لغوية او تطبيق قاعدة نحوية ، وان كانت مادة الكتاب مليئة بآيات الكتاب الكريم الى جانب الامثال والجمل التي تتداولها الناس ، وليس معنى هذا انه لا يوجد من البصريين من يستدل بالحديث ، فالمدرستان الكوفية والبصرية التقتا عند كثير من النحويين في عدة مسائل ، ولولا ذلك لما صح ان يقال او يظن ان هنالك طريقة ثالثة هي طريقة البغداديين مثلا .

فالثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه

---

(1) البغية ص 121 — (2) سعيد الافغاني مقال هل في النحو مذهب اندلسي . معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ص 78 ع 8·7 (3) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ محمد الخضر بن الحسين ، ص 168 ط. دمشق .

زمن ابن حزم ، ولا سيما زمن الموحدين ، صاحبتها فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس النحوية ، لا اقول المشرقية كما يقول الاستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين ، ولكن على جميع الذين جنحوا الى القياس والى التعليلات وما يضمه النحو من الحشويات التي سبق ان قال عنها الخليل احمد حسبما نقله الجاحظ فكتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه) (1) .

وقد درس ابن مضاء كما سيأتي كتاب سيبويه وشرح السيرفي عليه ، ولكن الدكتور شوقي ضيف يلاظ بحق ان ابن مضاء لم يعن بالنحو الكوفي ، ويعلل ذلك بانه لم يحاول التوفيق بين مذاهب النحويين وانما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة ، وقد اختار المذهب البصري (الذي كان شائعا من حوله) ولا يزال شائعا الى عصرنا الحاضر ، فاتخذه مسرحا لمعاركه مع النحاة .

ولم يصب شوقي ضيف في هذا التعليل ، لان النحو البصري لم يكن شائعا في المغرب ولا يزال الى اليوم ، بل العكس هو الصحيح اذ ان النحو الكوفي هو الشائع، والمغاربة كوفيون من جهة المدرسة النحوية .

ولعل ابن مضاء وجد في النحو البصري ما يكون اهلا لان يقاوم بينما النحو الكوفي يعنى بالسماع اكثر مما يعنى بالقياس كما سبق ان بينا ، فالمدرسة الجديدة للنحو في الاندلس والمغرب قامت في مهد كوفي وضدا على النحو البصري الذي كان المغاربة يعنون بدراسة كتبه الكبرى ولا سيما سيبويه وان لم يقولوا بالكثير من آرائه .

لقد اشار ابن حزم في كتابه التقريب لحد المنطق الى ان علم النحو (يرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، واما العلل فيه ففاسدة جدا) ..

ومفهوم ما يرمي اليه ابن حزم باظهاره فساد العلل النحوية ، لانه اذا فسدت العلل لم يبق مجال للقياس ، وهو ما يريد ابن حزم ان يطبق فيه مذهبه الفقهي بعدم القول بالقياس على النحو ، ولم يستطع السيد سعيد الافغاني ان يتصور نحوا لا قياس فيه ، كما لم يستطع الفقهاء ان يتصوروا فقها لا قياس فيه، مع ان وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن اراد ، لان عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجيء فيه نص على فطرته اللغوية اي سليقته العربية ، كما ان ما لم يرد فيه نص يبقى على اساس اباحته الشرعية ، فالمذهب الظاهري في النحو توسعة في اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة في ابتكار ما لم يقل لا في القياس على ما قيل .

واذن فقد ظل الميل المغربي لمذهب الكوفة في النحو قائما حتى بدت نظرية ابن حزم اولا ثم جاءت الثورة الموحدية فانصرف نظاروها النظر في ما يجب تغييره من علم الكلام . وذهب آخرون منهم الى نقض الفقه المالكي ، وطائفة ثالثة يتزعمها ابن مضاء اتجهت الى محاولة تفجير الراي الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرا ينبع بنحو ظاهري مستقر ، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية ايجابية او فتح باب الاجتهاد في النحو للتقدم به الى الامام .

ومن العبث ان يقال ان هذه المحاولات لا شيء، لان ابن مضاء لم يوفق في بعض ادعاءاته ، فالنظرية لا تخرج كاملة من اول مرة ، ولذلك نجد ابن مضاء الموحدي الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين ان يغيروا منهجهم في دراسة النحو .

ويعترف ابن مضاء لمؤسسي النحو الاولين انهم وضعوا صناعته لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي املوا وانتهوا الى المطلب الذي ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها : فتوعرت مسالكها ووهنت مبادئها، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها ، حتى قال شاعر فيها .

ترنو بطرف ساحر فاتر اضعف من حجة نحوي

على انها اذا اخذت الملخذ المبرا من الفضول المجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من اوضح العلوم برهانا وارجح المعارف عند الامتحان ميزانا ، ولم تشتمل الا على يقين او ما قاربه من الظنون ، (2)

---

(1) مقدمة ابن مضاء لشوقي ضيف

(2) الرد على النحويين لابن مضاء . ص 80 ط شوقي ضيف .

وخلاصة النقد الذي وجهه ابن مضاء للنحويين هو انه اعتبر ان في النحو ما يمكن الاستغناء عنه فيجب حذفه ، وذلك ينحصر في مسائل :

1) العوامل ، اي ادعاؤهم ان النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا : ضرب زيد عمروا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو انما احدثه ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا ان البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالمبتدا بينما يجعلون المبتدا مرفوعا بالابتداء ، وقد قال سيبويه في صدر كتابه ((وانما ذكرت ثمانية مجاري لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبني عليه الحرب بناء لا يزول عنه بغير شيء احدث ذلك فيه ((فظاهر هذا ان العامل احدث الاعراب وذلك يبين الفساد ، وقد صرح بفساد ذلك ابو الفتح بن جني وغيره ، وهكذا اخذ ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في ادعائهم العوامل ويقول بابطالها .

2) اعترض على العوامل والتقديرات المحذوفة وقال : ان المحذوف في صناعتهم على ثلاثة اقسام : محذوف لا يتم الكلام الا به ، حذف لعلم المخاطب به ، كقولك لمن رايته يعطي الناس اعط زيدا ، والثاني محذوف لا حاجة بالقول اليه ، وهو تام دونه ، وان ظهر كان عيبا كقولك : ازيدا ضربته . واما القسم الثالث فهو مضمر اذا اظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل اظهاره كقولنا : يا عبد الله اي ادعو عبد الله فاذا اظهر فعل ادعو تغير المعنى وصار النداء خبرا .

وقد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها تمحلا لا حاجة اليه ، وقال ان اجماع النحويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة وينشد :

يقول من تقرع اسماعه كم ترك الاول للآخر

3) اعترض ابن مضاء على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات واعترض كذلك على ادعاء تقرر الضمائر المستترة في الافعال .

4) انتقاد تنازع العامل عن المعمول الذي عبر عنه سيبويه ((بباب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك .

5) باب اشتغال العامل عن المعمول ، اي اشتغال الفعل عن المفعول لضميره مثل قولنا زيدا ضربته .

6) الدعوة الى الغاء العامل الثواني والثوالث

7) الدعوة الى الغاء القياس

8) الدعوة الى الغاء التمارين غير العملية

9) يطالب ابن مضاء باسقاط الاختلاف في ما لا يفيد نطقا من النحو ، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول .

ان محاولة ابن مضاء تسهيل النحو واسقاط الحشويات من تعليمه جزء من ثورة جريئة قام بها الموحدون وارادوا ان تكون شاملة في جميع الميادين ، ولكنه كما رجع المغاربة بعد انتهاء العهد الموحدي الى ما الفوه من المذهب المالكي في الفقه عادوا الى اختيار المذهب الكوفي في النحو مع اقتباسات من مذهب البصريين والبغداديين . وقد ظل ابن آجروم وابن مالك امامين للمغاربة لم يؤثر فيهما الا هذه المؤلفات العصرية الجديدة التي لم تترك للنحو العربي قيمته لما فيها من الاختصار وعدم الدقة في تفهم الالفاظ والمعاني.

وهكذا نجد المدرسة الاندلسية المغربية معتنية بالنقل ، اولا باختيارها المذهب الكوفي ، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه ، وبالعناية مع هذا وذاك بدراسة المذهب البصري وكتاب سيبويه على الخصوص ، وليس من الانصاف ان لا يعترف للمغرب بما بذله من جهد في سبيل ابراز النظريات النحوية المختلفة ومحاولته الافادة منها وابتكار الجديد من غيرها .

عناية المغاربة بدراسة سيبويه :

وبعد ، فان ما ذكرناه من اختيارات مغربية ومن مدرسة اندلسية مغربية للنحو داخل في باب العناية بدراسة سيبويه ومناقشته والاخذ منه والرد عليه ، ومع كل ذلك فقد عنى المغاربة دائما بدراسة كتاب سيبويه وحفظه وشرحه والتعليق عليه ، ونذكر من الذين اعتنوا بالكتاب هذه الجماعة التي تمثل غيرها وتعبر عن قيمتهم العلمية .

1) فمنهم عبد الله بن الجد الفهري ابو القاسم المتوفى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، شرح سيبويه وكان من ائمة الفقه والحديث والتفنن في المعارف .

2) ابو حيان الذي سبق ان نوهنا بعنايته بصاحب الكتاب ، وهو وان رحل الى المشرق واستقر فيه فهو بربري من شيعة البربر الذين ثاروا لمذهبهم منطلقين من قبيلة نفزة التي ينتمي اليها ابو حيان ، وقد كان نحوينا العظيم ومفسرنا الكبير من اصدقاء ابن تيمية المصلح المشهور ، ولكن حدث ان سأل

بعضهم ابا حيان عن سيبويه امام ابن تيمية فقال هذا الاخير : وهل سيبويه شيء ؟ لقد اخطا سيبويه في ثلاثين موضعا ، فاعرض ابو حيان عنه ورماه في كتابه النهر بكل سوء • وقد شرح الكتاب والف الملخص من شرح سيبويه للصفار ، كما الف التجريد لاحكام سيبويه • (1)

3) ومنهم احمد بن محمد بن محمد بن علي الاصبحي الشيخ شهاب الدين ابو العباس العناني ، نقل السيوطي عن ابن حبيب انه قال عنه انه حاز افنان الفنون الادبية وملك زمام العربية ، وانتقل الى الشام وتفقه للشافعي ، شرح كتاب سيبويه وكتاب التسهيل لابن مالك ، وكان قد اخذ عن ابي حيان ، ومات في تاسع عشر المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة •

4) ابو بكر الجذامي المالقي : قرا النحو على الشلوبين ، صنف شرح سيبويه كما شرح ايضاح الفارسي ولمع بن جني ، توفي يوم السبت ثاني رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة •

5) محمد بن احمد بن هشام بن ابراهيم بن خلف اللخمي اللغوي النحوي السبتي ، نسب له التجيبي في رحلته المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان ، قال ابن الابار له كتاب الفصول و المجمل في شرح ابيات الجمل ونكت على شرح ابيات سيبويه للاعلم ولحن العامة وشرح الفصيح وشرح مقصورة بن دريد ، كان حيا سنة 557 •

6) محمد بن حجاج الحضرمي ابو عبد الله وابو بكر الوزير المعروف بابن مطرف قرا النحو على الشلوبين وكان يحفظ كتاب سيبويه وله تقييد على جمل الزجاجي ، قال تقي الدين الفاسي انه جاور بمكة وكان من الصالحين ، ومات ليلة الخميس ست رمضان سنة ست وسبعمائة •

7) محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الانصاري المالقي المعروف بالشلوبين الصغير ، اخذ العربية والقراءات عن عبد الله بن ابي صالح ولازم ابن عصفور ، قال السيوطي في البغية انه شرح ابيات سيبويه شرحا مفيدا واكمل شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية ، مات في حدود سنة ستين وستمائة عن نحو اربعين سنة •

8) محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة المعروف بالشريف شهرة لانسبا كذا قال السيوطي في البغية ، قال ابو حيان في النضار كان بمراكش في زمن ابن ابي الربيع يدرس كتاب سيبويه والفقه والحديث ويميل الى الاجتهاد ، قرا عليه اجلهم ابو عبد الله الصنهاجي وابو اسحاق العطار شارح الجزولية• مات بمراكش عام اثنين وثمانين وستمائة •

9) محمد بن علي السلاوي النحوي : قال في البدر السافر ، كانت له شهرة بمراكش وكان يقرا كتاب سيبويه ومن احفظ الناس لكتاب الكامل ، مات سنة خمس وستمائة • (2)

10) عبد الله بن محمد بن عيسى « كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما يعني كما يتلى القرآن او كتب الحديث • (3)

11) الاعلم يوسف بن سليمان الشنتمري شرح ابيات الكتاب وشرحه مطبوع في ذيل كتاب سيبويه من طبعة بولاق •

12) ابن الطراوة سليمان بن محمد المالقي (528) تلميذ الشنتمري ، قرا عليه كتاب سيبويه ، الف المقدمات على الكتاب ، كما ان له اعتراضات على الكتاب •

13) علي بن محمد الكتامي الاشبيلي (680) كتب ردا على اعتراضات ابن الطراوة على كتاب سيبويه •

14) ابو حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي ، ولد باغمات وانتقل للسكنى بمدينة فاس، اخذ عن ابي بكر بن طاهر كتاب سيبويه ، وكان من الشعراء المجيدين ، مات سنة 604 وهو قاضي باشبيلية وكان قبل ذلك قاضيا بفاس •

15) ومن كبار الشخصيات الذين عنوا بشرح سيبويه وقراءته ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، ولد بسبتة وتوفي بفاس سنة 657 وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة (ملء العيبة بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة) وله شرح على كتاب سيبويه •

---

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ص 121 •
(2) بغية الوعاة ص 84 •
(3) مراتب النحويين ص 65

كرسي سيبويه والنحو في جامعة القرويين :

من المعروف في حوالات الاوقاف المغربية ان هنالك وقفا على كرسي لقراءة كتاب سيبويه يعين له كبار العلماء ويحضره الذين يريدون التخصص في النحو ومعرفة الاسلوب البصري ومنهج سيبويه ، وقد ذكروا في ترجمة المكودي شارح الالفية وهو ابو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودي الفاسي انه كان يدرس كتاب سيبويه في مدرسة العطارين ، وانه آخر من درسه بفاس ، وعلية فقد كان قبله مواظبون على تدريسه ، وقد لا يكون التدريس للكتاب استمر بصفة غير منقطعة ولكن الذي لا شك فيه ان تدريسه وقع بفاس بعد المكودي ومن الذين درسوا سيبويه ابو حفص الفاسي .

ويظهر ان الفية ابن مالك والتسهيل وتوضيح ابن هشام وغيرها من الكتب الشهيرة في النحو كان لها الحظ الاوفر بعد هذا العصر في دراسة النحو في جامع القرويين والمدارس المضافة اليها ، واذا عرفنا ان الاسلوب المتبع سابقا في دراسة العلوم في القرويين يرجع اختيار الاستاذ والكتاب فيها الى الطلبة انفسهم، واذا كنا نعلم ان المدارس التي يسكنها الطلبة وتحيط بالقرويين كانت فيها قاعات فيها كراسي متخصصة لدراسة العلوم التي من بينها علم النحو في القرويين والمدارس المحيطة بها ، تيقنا انهم درسوا سيبويه الى جانب ما درسوه من كتب النحو المشهورة .

وقد عدد الاخ الاستاذ عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين المجلد الثاني منه عدد الكراسي التي كانت مخصصة للنحو والفقه معا والبعض منها الذي كان مخصصا للنحو فقط ، واقدم هذه الكراسي العلمية هو الكرسي الذي كان بمدرسة الحلفاويين التي سميت بعد مدرسة الصفارين وكان يقرا فيه الفقه والنحو ، ومن مشاهير الاساتذة الذين درسوا فيه الشيخ سيدي احمد السراج ، ومثل ذلك يقال عن مدرسة الخصة التي كانت معدة للفقه والنحو ، وقد كان من جملة اساتذتها الذين درسوا النحو بها قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي تولى تدريس المغني كما درس بها كتاب سيبويه والسيرفي وابن مالك وابن آجروم والمكودي ، وكان كرسي المدرسة المتوكلية خاصا بالنحو تعاقب عليه جملة من العلماء ، وفي مدرسة الصهريج كان هنالك كرسي للفقه والنحو ، وكذلك كرسي مدرسة العطارين للفقه والنحو ، فقد سبق ان قلنا ان مدرسة العطارين كانت تحتوي على كرسي للنحو الذي درس فيه كتاب سيبويه الى بداية القرن التاسع وهنالك كرسي آخر بمدرسة فاس الجديدة للفقه والنحو ايضا . ومثله بمدرسة الوادي للفقه والنحو ، وكان بمسجد الرصيف كرسي خاص بالنحو ، وبمسجد الشرابليين كذلك كرسي خاص بالنحو (1) .

وقد وضع جزء من كتاب سيبويه ضمن برنامج الاجازة التي نظمها الفرنسيون لتخريج حملة الشهادة العربية الاصيلة من الفرنسيين الذين كانوا يعدونهم للترجمة في المستعمرات والبلاد المحمية ، وقد رايت واحدا من هؤلاء الذين كانوا يعدون لامتحان هذه الشهادة ياخذ من ابن عمنا سيدي عبد السلام الفاسي دروسا بالمشافهة والمراسلة في الجزء المقرر من كتاب سيبويه ، واعتقد ان حملة هذه الشهادة من المغاربة درسوا ذلك الجزء من الكتاب .

وقد اهتم الاخ عبد القادر زمامة من خريجي القرويين بكتابة فصل في مجلة (دعوة الحق) العدد السابع السنة الخامسة ص 43 يدعو فيه الى اعادة الاهتمام بكتاب سيبويه ودراسته ، وهكذا فان مقام سيبويه وكتابه عظيم في المغرب لم يمنع المغاربة من العناية به ميلهم لنحو الكوفة ولا محاولة اقامة مدرسة مغربية ، الامر الذي يدل على انهم ادركوا مقامه وقدروه قدره وهو بالعناية جدير .

رواية المغاربة لكتاب سيبويه وسندهم في ذلك

اعتاد المغاربة اقتداء باخوانهم في الشرق ان ياخذوا كل العلوم بطريق الرواية والاسناد ، ويعتبرون الرواية ولو بطريق الاجازة هي التي تنقل العلم من الاستاذ الى التلميذ ، فكما يسندون القرآن الى ائمة القراءات وعمن اخذوها وحفظوها ، ويسندون الحديث الى روايته ، كذلك يسندون الكتب الى مؤلفيها والعلوم الى مؤسسيها عن طريق ائمتها ، ومن ثم نجد المغاربة معنيين برواية النحو واسناده الى مؤسسه

---

(1) انظر تفاصيل هذه الكراسي واوقافها في الفصل الذي كتبه السيد عبد الهادي التازي في كتابه عن القرويين تحت عنوان (المدينة ذات المائة والاربعين كرسي) ص 379 ، ج 2 .

الاول علي بن ابى طالب ، ورواية اهم مدونات وفى مقدمتها كتاب سيبويه ، وقد سبق ان قلنا ان الرواية عن سيبويه كلها تمر عن طريق الاخفش ، يستوي فى ذلك المسندون من المشارقة او من المغاربة .

وسنجتزيء هنا بسندنا فى النحو الى الامام على ابن ابى طالب عن طريق الاخفش وسيبويه فنكون بذلك قد ذكرنا السند الموصل بالاجازة لكتاب سيبويه والمرفوع الى المؤسس الاول للنحو ابى الحسنين كرم الله وجهه ، فنقول روينا النحو ايجازة وقراءة من استاذنا العلامة المرحوم سيدي احمد العمراني وشيخنا ابى حفص عمر الحرسى المدنى التونسي الاصل المتوفى بالمدينة المنورة وذلك حين قدومه الى مدينة فاس ، عن شيخهما ابى الحسن على بن طاهر الوتري ، عن عبد القادر بن احمد بن ابى جيدة الكوهن الفاسى عن الشيخ المحقق الطيب بن كيران وابى العلاء العراقى الحسينى وابن عبد الله الزروالى فالاولان عن والد الثانى زين العابدين العراقى والاخير عن الاول وعن ابى محمد بن عبد القادر بن شقرون وهما عن ابى حفص الفاسى وابى السعد عبد المجيد الحسنى المنالى الشهير بالزيادي زاد ابو العلاء بالاخذ عن الشيخ التاودي ابن سودة والثلاثة عن العلامة الحافظ النحوي سيدي محمد الجندوز المصمودي وابى العباس سيدي احمد الوجاري القضاعى وهما عن الشيخ المسناوي والعلامة سيدي محمد بن زكري والعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني وهم عن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى وابى الفضل العربى بن الحاج ، وهما عن والد الاول بسنده الى ابن حجر عن ابى الفرج العربى عن يونس العسقلانى عن محمد بن الفضل المرسى ، عن زين بن حسن الجندوز عن عبد الله الخياط ، عن المبارك الدباس ، عن عبد الواحد بن برهان ، عن ابى القاسم الدفيفى ، عن ابى الحسن الرمانى عن ابى سعيد السيرفى عن ابى بكر محمد بن السراج وعن طريق سيدي احمد بن العربى بن الحاج عن الشيخ ابى سالم العياشى اجازة عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن العلقمى ، عن السيوطى ، عن ابن مقبل عن الصلاح ، عن ابى عمر ، عن الفخر البخاري ، عن ابى حفص ابن طبرزه ، عن ابى بكر الانصاري ، عن ابن محمد الجوهري ، عن ابى على الفارسى ، عن ابى بكر السراج المتوفى سنة 276 ببغداد عن الجرمى والمازنى ، عن ابى الحسن الاخفش عن سيبويه وهو ابو عمر بن عثمان بن قنبر البصري المتوفى سنة 180 عن الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة 170 عن ابى عبد الله بن ابى اسحاق وعيسى ابنى يعمر وابى عمر بن العلاء ، وهم عن عنبسة الفيل وميمون الاقرن ويحيى بن يعمر وعطاء وابى حرب ابنى ابى الاسود الدؤلى رضى الله عنه ، عن سيدنا ومولانا على بن ابى طالب كرم الله وجهه . قال الكوهن فى فهرسته بعد ذكر السند السابق وهو اي سيدنا على واضعه كما اخرجه الزجاجى فى اماليه والبيهقى فى شعب الايمان وابو الفرج فى الاغانى من طرق متعددة ، وهذا بعض مظهر قوله (صلعم) « انا مدينة العلم وعلى بابها » اخرجه الترميذي والحاكم عن سيدنا على كرم الله وجهه ، واخرجه الحاكم ايضا والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن هذا رفمقدار العناية التي كانت للمغاربة بنحو البصريين والدؤلى منهم ، وان كانوا اميل الى نحو الكوفة مقر على ابن ابى طالب كرم الله وجهه المؤسس الاول للنحو وان كانوا قد وضعوا فى احدى مراحل تاريخهم مدرسة اندلسية مغربية تختلف فى الكثير عن مدرسة البصرة . ولا شك ان التذكير بدور المغرب فى هذا الفن وعنايته برجاله الكبار فى المشرق والمغرب واعطائهم لسيبويه نفس الاعتبار الذي يعطونه للكسائى يبين مقدار الوحدة الثقافية التى كانت تربط العالم الاسلامي ، وتجعل من الكسائى والاخفش وسيبويه وغيرهم من رجال العجم ، والجزولى وابا حيان وابن آجروم وغيرهم من ابناء البربر المغاربة ، ائمة علم العربية وابطال الوضع لقواعدها وارساء مبانيها الى جانب الاجلاء لاسرارها ومعانيها ، اليس فى هذا ما يجعل حضارة الاسلام وثقافته مشتركة بين شعوبه وتراثا قوميا لكل المسلمين الذين وحد القرآن بينهم وجعل اللسان العربى مظهرا من مظاهر توحيد الامة المحمدية الخالدة .

علال الفاسى

كتاب سيبويه في المغرب والاندلس *

الاستاذ : محمد حجي

تمهيد تاريخي :

يتصل كتاب سيبويه بالدراسات اللغوية والنحوية في المغرب والاندلس اتصالا وثيقا عبر العصور ، ويرجع احتكاك هذه البلاد باللغة العربية الى عهد الفاتحين المسلمين في القرن الهجري الاول . وكانت عجمة لسان سكان هذه المناطق مدعاة الى اقبالهم على تعلم لغة القرآن منذ ان اخذ الاسلام ينتشر بينهم ، والعرب يقيمون بين ظهرانيهم . وقد بدأ تعلم اللغة العربية في المغرب الاسلامي بطريق المحاكاة والتعبير الشفوي البسيط ، وحفظ آيات وسور من القرآن الكريم لاداء الشعائر الدينية ، قبل ان يميل الى استكناه أسرار اللغة والتعرف على قواعدها ، حينما رسخت قدم الاسلام في هذه البلاد ، واصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية الكبرى . لاسيما عندما اخذت تنتشر الحركة الفكرية ، الدينية واللغوية ، القائمة في المشرق آنذاك ، وتتردد اصداؤها في ارجاء المغرب والاندلس .

كان من الطبيعي ان يحدث مثل هذا في الجناح الشرقي من الامبراطورية الاسلامية ، غير ان قيام مدينتي البصرة والكوفة في العراق . واقبال علمائهما من عرب وفرس على جمع اللغة العربية وفلسفتها بتقعيد القواعد واستنباط الاحكام والضوابط ، اسرع الخطى بتلك الاقطار في ميدان العلوم اللسانية ، وخولها قصب السبق في هذا المضمار ، حتى انجبت من الاعلام امثال الخليل بن احمد ، ويونس بن حبيب وسيبويه الذين اصبحوا ائمة العربية في كل زمان ومكان .

لقد دخل النحو الى المغرب والاندلس مع تلاميذ هؤلاء الائمة الذين هاجروا من المشرق فحطوا رحالهم بالقيروان وفاس وقرطبة ، واملوا على المتعلمين في هذه البلاد ما حوته صدورهم وتراطيسهم من علم غزير . ولئن عرفت الاوضاع السياسية بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي تقلبات كثيرة خلال القرون الهجرية الاولى ، فان الحركة الثقافية ، ومن ضمنها العلوم اللسانية ، لم تنثن عن طريقها او تقف عند الحدود المصطنعة التي كانت تنتصب حاجزا هنا وهناك ، تتقدم تارة وتتراجع اخرى . فتابع العلماء نشاطهم الفكري في هذه البلاد ، سواء في العهد الذي كانت فيه سلطة خلفاء دمشق او بغداد تصل الى المحيط الاطلنطي وجبال البرانس ، او عندما انفصلت المنطقة عن انظارهم بزعامة الامويين في الاندلس ، والادارسة في المغرب ، والاغالبة ثم الفاطميين بافريقية .

وابتداء من القرن الهجري الرابع ، دخل الغرب الاسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري ، حيث اخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة ، تعج بأعلام العلماء ، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والادبية ، ايام عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر . وتأكدت شخصية هذه المنطقة في القرون التالية مع المرابطين والموحدين الذين تمكنوا طوال قرنين ونيف من اقامة امبراطورية انتظمت في سلكها اقطار شمال افريقيا والاندلس ، فكان العلماء ينتقلون في ارجائها الفسيحة ، يملون ويؤلفون ، وينالون من ضروب الاكرام والتشجيع الوانا . وفي هذه الفترة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والادبية اوفى نصيب ، وراج كتاب سيبويه اعظم رواج .

ثم كانت زوابع ومحن في الغرب الاسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بثقافته ، لولا جهود المرينيين الضخمة فيما بعد ، والمتمثلة

---

* من محاضرة القيت بالمؤتمر العالمي الذي اقامته جامعة بهلوي بشيراز لتكريم امام النحاة سيبويه بمناسبة مرور اثني عشر قرنا على وفاته ، من 27 ابريل الى 2 ماي 1974

فى حشد المساجد والمدارس الفخمة وتشجيع المعلمين والمتعلمين فى كل جهات المغرب ، وفى تقديم العون المادى والمعنوى لملكة غرناطة ، فكان لذلك الاثر المحمود فى احياء ذماء العلم بالمدونتين، واعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما ، وبخاصة كتاب سيبويه نفسا جديدا .

ولما حم القضاء ، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين فى الاندلس فى نهاية القرن التاسع آوت النعدوة الجنوبية مختلف المقومات الحضارية مع آخر المهاجرين الاندلسيين ، واصبحت مدينة فاس دار مقام لعدد عديد من الاسر النبيلة ، وفى مقدمتها اسرة ابى عبد الله النصرى آخر ملوك بنى الاحمر ، وعمر اندلسيون آخرون مدن تطوان والرباط والقصبة ، واستوطن غيرهم حتى قمم الجبال وحدور الاودية ، وبلغوا بساتط سوس الاقصى .

وبذلك امتزجت الحضارة الاندلسية بالحضارة المغربية امتزاجا نهائيا ، ولم تنطفىء ذبالة تلك الثقافة الاصيلة ، ومعها الدراسات النحوية وكتاب سيبويه ، لم تنطفىء فى المغرب الى ايام الناس هذه .

الدراسات النحوية فى المدونتين :

بدات الدراسات النحوية بالمشرق ، كما هو معلوم ، فى زمن مبكر ايام الخلفاء الراشدين ، وتوالت بعد ذلك الى ان ظهر فى البصرة الخليل ابن احمد الفراهيدى فى منتصف القرن الهجرى الثانى (فوضع الاسس ونهج الطريق ، تاركا امر تدوين القوانين النحوية الى تلميذه ابى عمرو بن عثمان سيبويه واضع « الكتاب » المشهور . وقد يكون هذا الكتاب من بين الاسباب التى ادت الى احتدام الخصام بين المدينتين المتنافستين : البصرة والكوفة ، ذلك الخصام الذى انجلى عن قيام مدرستين نحويتين ، احداهما ، وهى مدرسة البصرة ، تسندها الاصالة والمنطق ، اذ وضعت قوانين عامة حسب مقاييس معقولة واهملت الشواذ وما خالف الاستعمال المشهور عند جمهور العرب ، فحصرت بذلك اللغة العربية فى قوالب محكمة وصيغ مضبوطة يسهل — نسبيا — ادراكها والاحاطة بها . والثانية ، وهى مدرسة الكوفة ، ساندها البلاط العباسى وشد ازرها لاغراض لا علاقة لها بموضوع اللغة وقواعدها . هذه المدرسة الثانية ولو انها استطيفت فى البداية بصبغة علمية محضة ، فانها تحولت الى ما يشبه مسجد الضرار ، خارمة القوانين اعتمادا على سماعات شاذة او منحولة ، وشعبت الى حد كبير سبل تحصيل النحو ، او افسدته على حد تعبير السيوطى .

ثم تدارس علماء بغداد بعد ذلك آراء المدرستين المتنافستين ، فوازنوا واستظهروا ، وخطاوا ورجحوا . ونتج عن ذلك ظهور مدرسة بغدادية جديدة ، هى مزيج من مذهبى البصريين والكوفيين .

وقد تلقى الغرب الاسلامى قواعد اللغة العربية بمذاهبها الشرقية الثلاثة ، عن طريق النحاة المهاجرين ، ومعظمهم جاءوا من بغداد ، فاخذوا من كتاب سيبويه اساسا للتعليم ، لانهم بدورهم اخذوه عن شيوخ بصريين او مشايعين لمذهبهم . ولانتشار المدرسة البصرية فى المغرب والاندلس ، وسيادتها فى العهود الاولى على ما عداها من المدارس النحوية اسباب يمكن اجمالها فيما يلى :

اولا — ان المذهب البصرى اكثر اصالة ومنطقية ، واقل تشعبا وتمحلا .

ثانيا — وجود كتاب سيبويه بين ايدى الناس ، لا يزاحمه كتاب آخر للفراسى او الكسائى او غيرهما من الكوفيين . والكل يعلم ان هؤلاء لم يؤلفوا ما يمكن ان يضاهى او يقارب كتاب سيبويه وانما هى رسائل وكراريس لا تذكر امام الكتاب .

ثالثا — مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة ، وايثارهم اياهم بتعليم ولاة العهد وابناء كبار رجال البلاط ، جعل الناس فى الغرب ينفرون من هذا المذهب بعد ان خاصموا خلافة بغداد وخلعوا طاعتها .

على ان ذلك لم يصرف علماء المغرب والاندلس نهائيا عن النظر فى مسائل الخلاف ، فتعرفوا عن آراء مختلف الفرق ، ونظروا بخاصة فى القضايا التى اخذت على البصريين فاثبتوا منها وابطلوا ، وانتقدوا بدورهم بعض آراء البصريين ، ومسائل من كتاب سيبويه نفسه ، وخرجوا هم ايضا بمدرسة نحوية جديدة ، هى المدرسة المغربية الاندلسية التى تحدث عنها ابن خلدون فى غير ما موضع من المقدمة .

وفيما يتعلق بالاقبال على دراسة اللغة العربية وقواعدها فى الغرب الاسلامى ، نلاحظ وجود نفس الظاهرة الشرقية المتجلية فى وفرة العناصر الاعجمية الاصل من بين الدارسين . فكما كان سيبويه ودرستويه الفارسيتان مثلا من أعلام النحو العربى فى الشرق ، كان الجزولى وابن آجروم من برابرة السوس الاقصى من ائمة هذا الفن فى الغرب . وظلت كتبهم جميعا تقرأ وتشرح على تعاقب الحقب والاجيال . غير ان من المفارقات التى لا ينبغى اغفالها فى هذا الباب ، أنه اذا كانت العناصر الغير العربية فى الشرق ، وبخاصة الفارسية قد اخذت تعود الى لغتها الاصلية منذ زمن غير بعيد عن عصر سيبويه ، فان السوسيين فى المغرب ظلوا يتعلمون لغة القرآن ويعلمونها ويؤلفون فيها مآت الكتب الى اليوم . وقد نشر المرحوم المختار السوسى منذ بضع سنوات تراجم علماء هذا الاقليم المغربى وآثارهم الضخمة فى اللغة العربية وغيرها ، فى كتابين هامين : **سوس العالمة** ، **والمعسول** ، ويقع هذا الاخير فى عشرين مجلدا .

مركز كتاب سيبويه :

لعل أصدق تعبير عن المكانة المكينة لكتاب سيبويه فى نفوس المغاربة والاندلسيين انه ظل معتمدهم الاساسى فى الدراسات العليا لم يستبدلوه بغيره طوال القرون . ولا ينهم من وجود كتب دراسية نحوية فى هذه المنطقة أنها حلت محل **الكتاب** ، وانما هى مقدمات وأراجيز وضعت للمبتدين والقاصرين عن ادراك مسائل **الكتاب** وذلك **كمقدمتى** الجزولى وابن آجروم ، **والفيتى** ابن معطى وابن مالك وما اليها من شروح وحواش . ومع ذلك بقى **الكتاب** مجال براعة المبرزين من شيوخ النحاة وملتقى النجباء (الشادين) من الطلاب . هذا بالاضافة الى وفرة عدد حفاظ **الكتاب** والمشتغلين بالكتابة عليه شرحا وتعليقا واستدراكا . ومن نماذج حفاظ **الكتاب** المغاربة ابو عنان **العسكورى** ، موسى بن يعومين صاحب كرسى **كتاب سيبويه** فى القرويين . فقد ذكروا فى ترجمته أنه فتح بين يديه يوما **كتاب سيبويه** بالقرويين فى ثلاثة مواضع ، فقرأ فى كل موضع مقدار ثلاثة أحزاب عرضا عن ظهر قلب . وكان ذلك بتدبير من منافسيه الذين راموا اعجازه على رؤوس الملا لما كان فى طبعه من حدة وفى لسانه من سلاطة . كما يعتبر الاعلم الشنتمرى يوسف بن سليمان الاشبيلى من أبرز نماذج الاندلسيين الذين شرحوا الكتاب وعلقوا عليه . فهو قد الف كتاب **تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات العرب** المطبوع مع **كتاب سيبويه** فى طبعة بولاق شرح فيه شواهد **الكتاب** الشعرية التى تنيف عن الف بيت ونسبها الى اصحابها . والف ايضا كتابا جمع فيه **النكت فى كتاب سيبويه** ، ورسالة مطولة فى المسالة الزنبورية الشهيرة ، اوردها المقرى بتمامها فى نفح الطيب ، الجزء الرابع من طبعة بيروت الاخيرة .

اشهر الدارسين لكتاب سيبويه :

تكاثر عدد الدارسين **لكتاب سيبويه** فى المغرب والاندلس عبر العصور تكاثرا يجعل من العبث محاولة تعدادهم بل الاحاطة بهم ، ولو اتسع مجال القول . غير انه لن يكون دون فائدة فى ختام هذا العرض الوجيز الاشارة الى بعض الاعلام البارزين منهم تمثيلا لما سبق وتوثيقا .

نذكر فى البداية ثلاثة من النحاة المشارقة الذين دخلوا المغرب والاندلس فى القرون الاسلامية الاولى وكان لهم فضل السبق فى نشر النحو واللغة والادب وكتاب سيبويه فى هذه الديار . وهم :

أبو اليسر الشيبانى ، ابراهيم بن احمد البغدادى ، تلميذ عالمى البصرة المبرد والجاحظ ، وصاحب الشاعر فى أبى تمام والبحترى . حمل معه الى المغرب علما غزيرا ، وانصرف جل اهتمامه الى **كتاب سيبويه** ، حتى انه كتب منه نسخة فى أخريات حياته بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فادخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب . وكانت خاتمة مطاف ابى اليسر مدينة القيروان حيث توفى عام 298 .

وأبو على القالى ، اسماعيل بن القاسم البغدادى ، صاحب **النوادر والامالى** ، **والمقصور والممدود** ، **والبارع** ، وغيرها من كتب اللغة والنحو والادب . وقد على عبد الرحمن الناصر الاموى عام 330 وعاش بقرطبة يدرس ، فى جملة ما يدرس ويملى « **كتاب سيبويه** » ، وكان قد أخذه فى بغداد من ابن درستويه عبد الله بن جعفر الفارسى . وعرف القالى بتدقيق النظر فى **الكتاب** والانتصار للبصريين الى أن توفى عام 356 .

وصاعد البغدادى ، أبو العلاء بن الحسين -

دخل الاندلس ايام المنصور بن ابى عامر ، فاهتبل بمقدمه وأراد ان يعنى به على آثار ابى على القالى الوافد من قبل على بنى أمية . لكن قلة خبرة صاعد بكتاب سيبويه عرضته الى السخرية والاهمال ، ولم يشفع له لدى الاندلسيين ما املاه عليهم من كتاب النصوص . فقد ذكروا ان صاعدا دخل يوما على المنصور فى مجلس ضم نحاة الاندلس وادباءها فسأله عن ابى سعيد السيرافى ، فزعم صاعد انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه ، فبادره العامرى بسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته ، فكان ذلك بداية الشؤم الذى ظل يلاحق صاعدا فى جهات الاندلس الى ان اجلاه عنها ايام الفتن الى جزيرة صقلية حيث مات مغربا حوالى عام 410 .

أما النحاة الاندلسيون والمغاربة الذين علقوا بكتاب سيبويه وبرعوا فى تدريسه والتعليق عليه ، فياتى فى طليعتهم ابنا العم الاشبيليان الزبيديان ابو محمد وابو بكر .

قرأ ابومحمد عبد الله بن محمود الزبيدى النحو بمسقط رأسه فى الاندلس ودرس كتاب سيبويه ووضع عليه شرحا من احسن ما شرح به الكتاب . ثم تاقت نفسه الى لقاء كبار النحاة بالمشرق ، فرحل الى بغداد ولازم ابا سعيد السيرافى ثم ابا على الفارسى . ولما انتقل هذا الاخير الى فارس سار معه ابو محمد الزبيدى اليها فدعاه الفرس أبا عبد الله الاندلسى . وتضايق ابو على الفارسى من هذا الالحاح فى الطلب والرغبة فى الاستفادة ، فكان يقول للزبيدى على رؤوس الملأ : (ان والله على وجه الارض أنحى منك) وادركت الوفاة أبا محمد الزبيدى ببغداد عام 372 .

أما ابو بكر الزبيدى فلم يغادر بلاد الاندلس ، وظل يدرس كتاب سيبويه فى اشبيلية الى ان دعاه الحكم المستنصر الى قرطبة ليؤدب فيها ولى عهده هشام ، وكانت له فى عاصمة الامويين مجالس نحوية عالية على غرار مجالس ابى على القالى السابقة . وألف ابو بكر الزبيدى فى جملة ما ألف استدراكا على كتاب سيبويه ، ومات وهو قاض باشبيلية عام 379 .

ونجد فى العدوة الاخرى ، أبا محمد الزقاق ، قاسم بن محمد ابن الحاج ، شيخ النحاة فى المغرب ، يدرس كتاب سيبويه فى كل من فاس وسبتة وسلا ، مكونا حلقة أولى فى سلسلة نحوية ستطول أجيالا عديدة . وكانت وفاته بمدينة سلا عام 559 .

— ومحمد بن أحمد ابن طاهر الانصارى الاشبيلى قرأ بالاندلس والمغرب ، واستوطن مدينة فاس قائما على تدريس كتاب سيبويه ، وله تعليق على الكتاب . واقسم أن يقرئه فى البصرة حيث وضعه سيبويه ، وبر ابن طاهر بقسمه فحج ودرس الكتاب بمصر والبصرة مدة ، ومرض فى طريق رجوعه ، فمات فى بجاية بالمغرب الاوسط عام 580 .

ومن أبرز تلاميذ الاماميين الزقاق وابن طاهر :

ابو الحسن بن خروف ، على بن محمد الحضرمى ، وهو اندلسى الاصل قرأ كتاب سيبويه بفاس واشبيلية ومراكش وغيرها ، ووضع عليه شرحا عجيبا سماه تنقيح الالباب فى شرح غوامض الكتاب ، وله رسائل عديدة فى مناظرة كبار نحاة عصره .

وعمر بن عبد الله السلمى الاغماتى (اغمات قريبة من مدينة مراكش) لم يصرفه منصب القضاء الذى أسند اليه فى تلمسان وفاس واشبيلية عن تدريس كتاب سيبويه فى هذه المدن كلها ، الى ان ادركته الوفاة نحاة باشبيلية وهو بها قاض عام 603 .

— وأبو القاسم بن الملجوم ، عبد الرحمن ابن عيسى الازدى . واسرة ابن الملجوم من انبل اسر فاس ، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة نحو عشرة قرون . وكانت لهم مكتبة من اعظم المكتبات الخاصة فى المغرب الاسلامى . درس ابو القاسم على كبار نحاة عصره فى المغرب والاندلس وناظر شيخه ابن طاهر فى نحو الثلث من كتاب سيبويه . واقرأ الكتاب مدة غير قصيرة فى جامع القرويين الى أن توفى بفاس عام 604 .

— والامام الشلوبين ، عمر بن محمد ، شيخ نحاة اشبيلية قبل ان ينتزعها المسيحيون من يد المسلمين . كان يدرس بها كتاب سيبويه ، وكتب تعليقا مهما طارت شهرته شرقا وغربا .

ومن أبرز المتخرجين على يد الامام الشلوبين :

ابو محمد الانصارى ، عبد الله بن على . وانتقل بعد سقوط اشبيلية فى يد النصارى الى مدينة سبتة بالعدوة المغربية ، فاستوطنها ودرس بها كتاب سيبويه الى أن توفى عام 647 .

عاصر ابا محمد الانصارى فى سبتة نحوى آخر شهير هو :

ابو الحسن الشارى . على بن محمد الغافقى ، كان الكتاب ممتهده فى مرحلتى التعلم والتعليم ، وتوفى بعد الانصارى بعامين .

ومن ابرز الشخصيات النحوية فى القرنين الهجريين السابع والثامن :

الامام المدنى ، محمد بن يحيى النعبدرى . اشهر المتخرجين على ابن خروف والقائم مقامه فى تدريس كتاب سيبويه فى القرويين بفاس ، توفى رحمه الله شهيدا فى احدى المعارك ضد المسيحيين بجبل الفتح المعروف اليوم بجبل طارق عام 651 .

وابو حيان الجياني ، امير المؤمنين فى النحو . كان ملتزما الا يقرىء غير كتاب سيبويه ، او تسهيل ابن مالك للذين لم يتأهلوا بعد لخوض غمار الكتاب . وكان ابو حيان سلفيا معجبا بآراء ابن تيمية ، شد الرحلة اليه من الاندلس ، واقام معه مدة فى دمشق ، الى ان خطأ ابن تيمية سيبويه وكذبه فكان ذلك سبب اعراض ابى حيان عنه وذهابه مغاضبا الى القاهرة . حيث ادركته الوفاة عام 745 .

ومن اشهر السيبويهيين المغاربة فى القرون المتأخرة :

ابو زيد المكودى ، عبد الرحمن بن صالح ، امام النحاة فى عصره ، ومؤلف الشرح الشهير على الفية ابن مالك . كان صاحب كرسى كتاب سيبويه فى القرويين الى ان توفى بفاس عام 807 .

وابو عبد الله البمقيلى ، محمد بن ابراهيم ، من قرية آيت الطالب فى السوس الاقصى بجنوب المغرب ، كان يستظهر كتاب سيبويه ويدرسه لنجباء طلبة البادية عقودا عديدة من السنين . وكانت وفاته عام 976 .

وابو العباس الدلائى ، احمد الحارثى بن محمد بن ابى بكر . تخصص من بين قومه العلماء فى تدريس كتاب سيبويه بزاويتهم الدلائية فى جبل الاطلس المتوسط بالمغرب ، الى ان توفى عام 1051 .

وابو عبد الله الدرعى ، محمد بن ناصر ، عاش فى قرية تامكروت بصحراء المغرب يدرس كتاب سيبويه وتسهيل ابن مالك . الى ان لقى ربه عام 1085 .

وبعد فان كتاب سيبويه ظل محط عناية النحاة المغاربة والاندلسيين منذ حمله اليهم تلاميذ سيبويه فدرسوه وشرحوه واستدركوا عليه وانتقدوا بعض مسائله ، ودافعوا عن ينتقصه بغير حق . ومازالت كلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة القرويين حتى اليوم تضع كتاب سيبويه فى طليعة المواد التى يدرسها طلبة الدراسات العليا بها .

الرباط ـ محمد حجى

أثر سيبويه فى نشأة النحو العبرى

بقلم : الدكتور حسن ظاظا
الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

من الامور التى لا تحتاج الى الاطالة فى شرحها كون اللغة خادما للفكر ، واداة لحفظه وتوصيله الى البشر ، من المتكلم الى السامع ؛ ومن راوية يحمل عمن قبله ليؤدى الامانة الى من بعده ، ومن كاتب يسجل بعض ثمار الفكر الانسانى لتواصل مسيرتها عبر الاجيال والاقطار .

واللغة ـ اية لغة كانت ـ تتعرض فى حياتها الطويلة لما يتعرض له كل كائن حى من فترة طفولة ، ثم مرحلة شباب ، يليها نضج كامل تحمل فيه مسؤولية الفكر بكل ثقلها ، وتضطر فيه غالبا الى التبادل مع غيرها اخذا وعطاء وتاثرا وتاثيرا ، ثم تلى ذلك كله شيخوخة طويلة او قصيرة بحسب الظروف التى تعترى اللغة ، فاما تنتفض من تحت انقاض الزمن لتستعيد مكانتها وحيويتها من جديد ، واما تنزوى وتستكين حتى تنطفىء من ذاكرة المتكلمين ، فيكون ذلك موتها واندثارها .

وادق مراحل اللغة هى مرحلة النضج الكامل المسؤول عن فكر علمى وادبى وفلسفى ضخم . ذلك ان الفكر الانسانى بطبيعته متطلع دائما الى التقدم نحو المجهول ، لكشفه وتوضيح كنهه . وهنا ينعقد سباق رهيب بين الفكر واللغة ، لا بد لهذه الاخيرة فيه أن تلاحق خطواته ، وأن تظل دائما على مستواه ، والا تركها ، وبعدت الشقة بينه وبينها ، فيكون من ذلك تبلبل الالسنة ، واضطراب الاساليب ، وتصدع القواعد .

وتحتاج اللغة فى هذا السباق الى صيانة علمية مستمرة ، لعل اهم ما فيها هو العناية بحصر شواهدها الفصيحة ، وتصنيف اساليبها الصحيحة ، وتسجيل قواعدها تسجيلا يجمع بين الدقة والوضوح ، والترتيب المنطقى ، والتجاوب مع المطالب العملية للمتكلمين .

وقد وجدت اللغة العربية نفسها فى مرحلة النضج الكامل هذه بعد ظهور الاسلام ، وبعد ان بدات تحمل مسؤولية حضارة كاملة لا تجتاح ما قبلها من حضارات ، ولا تحاول فى عاصفة عنيفة قاسية أن تذهب بما كان قبلها من التراث الانسانى ، بل بعكس ذلك تعمل على الاستفادة من تجارب السابقين : من فلسفة اليونان ، ونظم الرومان ، وآداب الفرس ، وحكمة الهند ، ومهارة الصين ، وخبرات مصر والشام . وبلغت هذه الحضارة الاسلامية ذروتها فى ظل الدولة العباسية ، وبدا السباق بين الفكر البشرى واللغة العربية ، وكانما هو يواجه ازمة دقيقة جدا . فقد دخلت فى الدين الجديد شعوب لعل اكثرها قد حمل من مسؤوليات الحضارة اكثر مما حملته قبائل العرب ، وبدات الالسنة تختل ، ودب اللحن والخطأ الى اللغة ، وتسرب التعقيد والركاكة الى الاساليب ؛ ولكن طبيعة التطور لم تدع الخطر يستشرى فى كيان اللغة العربية ، بل قيض الله لها من العلماء الاعلام من بذلوا كل الجهد فى خدمتها وصيانتها والدفاع عنها : من امثال سيدنا على بن ابى طالب ؛ وابى الاسود الدؤلى ، وعنبسة بن معدان الميسانى المشهور باسم عنبسة الفيل ، وابى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى ، وأبى عمر عيسى ابن عمر الثقفى ؛ والخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدى البصرى أبى عبد الرحمن ؛ والاصمعى ابن سعيد عبد الملك بن قريب ، ويونس بن حبيب أبى عبد الرحمن ، وغيرهم .

وقد كانت آثار أولئك الاوائل من اللغويين والنحاة تتصف على الخصوص بجمع المادة العربية الفصيحة ، والنظر فيها ، وشرحها ، وتحليلها ، ومقارنة بعضها ببعض أحيانا ، والاجتهاد فى ادخالها

بحث مقدم الى مهرجان سيبويه بجامعة بهلوى بشيراز ـ 1974 .

في ابواب ، او انماط من التفكير ، لا يكاد يتكون منها بناء نحوى منطقى جامع مانع ، مترابط الاصول والفروع .

وجاء سيبويه على اثر هذه الطليعة من الرواة ، شابا ذكيا ، عميق التفكير ، يجمع التواضع فى العلم ، والنزاهة فى الحكم ، والاخلاص للغة القرآن ، الى نظرة فاحصة بقيت له من اعراقه الضاربة بجذورها فى الحضارة الفارسية ، نظرة الناحص المستقل الذى لم ينم على ما وجد عليه الاسلاف ، ولم يغفل عن شىء بحكم تعود الاذن على سماعه ابا عن جد . كان سيبويه عالما بالعربية ، ويبدو مع ذلك فى كل خطوة من خطوات نقاشه النحوى وكأنه طوال حياته قد بقى تلميذا لا استاذا ، وسائلا لا مجيبا ، ومستفهما لا مفتيا . ومن هنا يبدو عمله النحوى العظيم ، « الكتاب » للقارىء السطحى غير الصابر على مسالك العربية واسرارها ، دستما الى درجة تحتاج الى جهد كبير فى الهضم . كان سيبويه منطقيا ، وكان يحاول ان يتلمس فى داخل كلام العرب كله ، وفى ثنايا نظامهم فى صياغة الجمل وسبك الاساليب ، وحدة فكرية متماسكة تضم كل الاطراف البعيدة ، وتنتظم فى سمطها ادق الدقائق ، واشد التفاصيل لطفا وخفاء . كان كتابه هو الاستجابة الحقيقية لاستنجاد اللغة العربية وهى تخوض السباق الرهيب مع الفكر والحضارة فى اوجهما . وكان الكتاب قديرا على ذلك . كان ثروة شاملة فى التاليف اللغوى فى داخل الحضارة العربية ، وكان ايضا دستورا يسير عليه النحاة العرب بعد سيبويه ، باعجاب وطاعة ووفاء من السواد الاعظم منهم فى البصرة وبغداد والموصل ، وفى كل مراكز الثقافة العربية بايران مثل نيسابور والرى وقم واصفهان والاهواز وشيراز ، ثم فى كل العالم الاسلامى وراء ذلك من دمشق الى القاهرة والقيروان وفاس وقرطبة وطليطلة ، وحتى اقصى الشمال من اسبانيا فى مترقسطة وما وراءها . كما فرض كتاب سيبويه نفسه على الكوفة التى ناصبته العداء ، وتحزبت ضده ، فاضطر نحاتها الى دراسته وشرحه ، والاستعانة بما فيه من دفائن اسرار العربية ، ثم النسج على منواله ، واقتباس ترتيبه وتبويبه فيما حاولوا تقييده من قواعد العربية فى كتبهم .

وكل هذا يبدو امرا طبيعيا لا غبار عليه ازاء عمل اساسى متقن غاية الاتقان ، دقيق الى اقصى درجات الدقة ، واف بحيث لا يكاد احد يكون قد زاد عليه من بعد ، الا نوادر وشوارد تجد مكانها فسيحا مستريحا فى داخل ابوابه وفصوله وتقاسيمه .

لكن معجزة سيبويه لا تتم فى كامل تالقها الشامخ الباهر الا عندما نرى اثره فى تسجيل اليهود لقواعد لغتهم العبرية ، ولاول مرة فى تاريخهم الطويل ، متتلمذين هم ايضا على « الكتاب » ، وآخذين منهجه بحذافيره ، فى ظل سماحة فكرية اسلامية وجدت فيها جموعهم ، فى الشرق وفى شمال افريقية والاندلس الامن والرخاء والحرية ، فارادوا ان يعيدوا الحياة الى لغتهم المقدسة ـ لغة التوراة ـ فلم يجدوا وسيلة الى ذلك الا السير فى نور سيبويه ، وهذا هو الجانب الذى نريد بيانه فى ذكرى عالم العربية العظيم .

وسنرى انهم اطلقوا لفظة مولدة من عندهم لتكون اسما اصطلاحيا لهذا العلم هى لفظة « دقدوق » بمعنى اللفظة العربية « النحو » . والظاهر ان لفظة « النحو » نفسها لم تكن اخذت هذا الاستعمال الاصطلاحى لدى اوائل اللغويين العرب الذين كانوا يقولون « علم العربية » . ولا نذكر ان كلمة « النحو » مستعملة فى كتاب سيبويه نفسه . ومعاجمنا كلها لا تقول فى ذلك قولا شافيا . وهذا امر غريب جدير بالبحث . وكم من غرائب من هذا النوع فى كلام العرب ، منها ان كلمة « لغة » نفسها ـ الى عهد سيبويه ـ لم تكن مستعملة الا لما نسميه الان « لهجة » بينما كانت طريقة كل امة فى كلامها تسمى « اللسان » . ولم نجد من الجاهلية او صدر الاسلام شاهدا واحدا موثوقا به يثبت شيوع لفظة « اللغة » عندهم . فالنحو عند العرب ، والدقدوق عند اليهود ، كلاهما مولدان على الارجح .

1 ـ البحث اللغوى عند اليهود قبل سيبويه

اجمع مؤرخو اللغة العبرية على ان « علم اللغة » او « النحو » لم يكن معروفا قبل اواخر القرن الثامن الميلادى على الاطلاق ، وهو القرن الذى عاش فيه سيبويه .

ولما كان اليهود اهل كتاب ، وكانت لهم شريعة يرجعون اليها فى هذا الكتاب ، وكانت دراسته ركنا من اركان الايمان ، واساسا من اسس العبادة ،

وكانت قبل ذلك كله منبع المعرفة القديمة بشتى فروعها ، فانه من غير المعقول ولا المقبول أن يكونوا قد أغفلوا الاهتمام بسلامة النطق ، وفهم دقائق الصياغة ، وأحكام الصحة فى النقل والنسخ والاملاء ، واقرار وسائل التفسير واستنباط الفتاوى والاحكام من كتابهم هذا . ولكن الثابت أن طريقتهم التقليدية التى درجوا عليها ، على مدى القرون الطويلة التى سبقت علوم العربية ، كانت الطريقة المباشرة — كما يقولون اليوم — وهى تعلم الفصاحة ، وتوخى الدقة فى الاداء من خلال الدروس الشرعية التى كان يتلقنها التلميذ عن الاستاذ . ولذلك فاننا نجد بعض الاشارات فى المشنا والتلمود ، وهى نصوص الشريعة الشفوية المقدسة عند اليهود الربيين ؛ التى تعنى بنقطة جزئية من معرفة اللغة ، ترد عرضا فى ثنايا النقاش الفقهى ، الذى يسمونه هلاخة ✪ ، أو السياق القصصى الذى يسمونه هجاده ✪ ، بدون أن يطلق على هذه الملاحظات اسم خاص كعلم اللغة ، أو النحو ، أو التصريف ، أو ما اليها .

فقد جاء فى التلمود مثلا (يباموت 13) : قاعدة هامة كان يعلمها الربى نحميا عن فتحة الاطلاق المنتهية بهاء المد واللاحقة بأواخر بعض الاسماء العبرية للدلالة على الظرفية المكانية الاتجاهية ، وهى القاعدة التى يقول فيها أن كل اسم يقبل فى أوله حرف اللام الدالة على الاتجاه يمكن أن تاتى بدل هذه اللام فى آخره هاء الظرفية المكانية الاتجاهية .

كذلك عنى التلمود بتصحيح التلاوة فى مواضع دقيقة ، فالتلمود الاورشليمى مثلا (براخوت 82) عند الكلام على تلاوة «قراءة السماع» فى الصلاة ، وهى الجزء الاساسى من كل صلاة ، الذى يبدأ بعبارة « شمع يسرائيل ✪ » «اى» « اسمع يا اسرائيل » يوصى بالعناية بمخارج الحروف بحيث يأخذ كل حرف طبيعته الصوتية الكاملة المميزة له ، فيقول ان الفعل «تزكرو ✪» اى « تذكرون » يجب أن تظهر فيه الزاى بنطقها الصائت المجهور ، بحيث لا تلتبس بكلمة « تسكرو ✪ اى « تشترون » أو تدفعون ، أو تؤجرون ، أو ترشون » . وقالوا انه عندما تاتى كلمتان متواليتان تبدأ الثانية منها بنفس الحرف الذى تنتهى به الكلمة الاولى فانه ينبغى الفصل بينهما بسكتة خفيفة حتى لا يندغم الحرف الثانى فى الاول ، كقوله قراءة السماع « عل — لبابيخا ✪ » اى « على قلبك » ، وقوله كذلك « غسب — بسادخا ✪ اى « عشبا فى حقلك » .

بل ان علماء التلمود تنبهوا الى تطور اللغة العبرية على مر العصور ، وأن ما يجوز فى عبرية الكتاب المقدس قد يختلف فى عبرية الاحبار . فقالوا (حولين 137) ان لغة التوراة لغة قائمة بذاتها ، كما ان لغة الاحبار قائمة بذاتها . قالوا هذا بالعبرية وبالآرامية :

بالعبرية : لشون توزاه لعصماه ، ولشون حخامين لعصمان .

وبالآرامية : ليشانا داوريتا لحود ، وليشانا دربنان لحود .

وقد تستهويهم الرغبة فى التفرقة بين الالفاظ لدرجة توقعهم فى تأويلات أقل ما يقال فيها أنها طريفة ومسلية ، كتفرقتهم بين كلمتين فى العبرية تقابلان فى العربية كلمتى « الذكر » بمعنى الاسم ، والذكرى بعد الموت أو بعد النسيان ؛ وهى بكسر الذال وسكون الكاف ، و « الذكر » بفتح الذال والكاف ، الذى هو ضد الانثى . فقد وجدوا فى التوراة (سفر التثنية 25 : 19) « تمحو ذكر عمليق من تحت السماء ، لا تنس » ، والكلمة هنا « زيخر ✪ » والآية : ✪ ووجدوا (الملوك 11 : 16) «لان يوآب وكل اسرائيل اقاموا هناك ستة أشهر حتى افنوا كل ذكر فى ادوم » ، والكلمة هنا « زاخار ✪ والآية : « ✪ » وخرجوا من المقارنة بين الآيتين بأن يوآب قائد داود قد أخطأ فى قراءة توصية التوراة بالمحو الكامل لكل ذكر واثر ، فاتعب نفسه على مدى ستة شهور فى البحث عن الذكور فقط وقتلهم ، وكان أسهل من ذلك أن يبيد الجميع .

وكان أحبار الشريعة الشفوية من التنائيم (علماء المشنا) والأمورائيم (علماء التلمود) فى هذه الشروح اللغوية التى تأتى فى خلال كلامهم ينبهون الى صفات ومميزات معينة فى الكلام ، استعملوا لها بعض المصطلحات مثل : المذكر ✪

(✪) لم تدرج هذه الكلمة العبرية وامثالها الآتية لعدم تيسر حروفها لدى المطبعة .

والمؤنث ⊖ والمفرد ⊖ والجمع ⊖
كما عرفوا الالفاظ التى تعتبر اصولا للاشتقاق
⊖ والحروف الابجدى ⊖ والنطق ⊖
والاسم ⊖ ومصطلحا كانوا يستعملونه لما
يقابل لفظة الضمير عند النحاة العرب ⊖ ؛
وعرفوا الفعل ⊖ ، وميزوا فيه بين الماضى
⊖ والحالى ⊖ والمستقبل ⊖ ،
وكان عندهم اصطلاح للدلالة على ما يسمى عند
النحاة العرب بالاستعمال ، او تنوع الدلالة ؛ او
مجاز الالفاظ ، هو ⊖ .

2 ـ ظهور علم النحو المنهجى عند اليهود

يسمى اليهود هذا العلم فى لغتهم « دقدوق »
ونحن نعلم أن من أقدم الامم التى عنيت بتسجيل قواعد لغتها الامة اليونانية ، وسمت هذا العلم « جراماطيقى ⊖ » ومعناه حرفيا « احكام الالفاظ » ؛ ومنهم أخذ السريان هذه التسمية كما هى أو مترجمة الى لغتهم « توراص ⊖ » . أما العرب فانهم سموا هذا العلم « النحو » ، وذكر رواتهم فى ذلك حكايات كثيرة ، منها الحكاية التى رواها ابو البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى فى أول كتابه « نزهة الالبا ، فى طبقات الادبا » من أن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه قد اشار على أبى الاسود الدؤلى بتقييد قواعد اللغة العرب تقيهم من الخطأ فيها بعد أن اختلطوا بغيرهم من الامم وبدأوا يقعون فى اللحن والاضطراب . ولما قيد ابو الاسود من ذلك ما فيه الكفاية قال له سيدنا على « ما احسن هذا النحو الذى قد نحوت » فلذلك سمى النحو .

ولسنا نريد أن نناقش هنا نشأة النحو العربى ، فان القدامى من مؤرخى هذا العلم عند العرب ، ومنهم ابن الانبارى نفسه ، قد ذكروا فى ذلك أقوالا أخرى تختلف وتتباين بشكل واضح . ولكن الذى يبدو لنا هو أن استخراج قواعد اللغة العربية انما كان من الشواهد الموثوق بها من كلام العرب . وهذه الشواهد فى الاغلب الاعم من الشعر الجاهلى ، ومن أراجيز الفصحاء من البدو ، ومن المتواتر من قراءات القرآن الكريم ، وما استفاضت روايته من النثر كسجع الكهان ، والامثال ، والخطب ، والمناظرات وما اليها ، وكان المقيدون لقواعد العربية اذا ذكروا شيئا من ذلك أتبعوه بالشاهد قائلين : نحو قوله .. أو نحو كذا .. أو نحو ما جاء فى كذا .. فكانت القاعدة تسير فى اتجاه الشاهد ، والنحو والناحية فى اللغة تدل على السمت والاتجاه ، ولعل هذا العلم كله قد سمى « النحو » لهذا السبب ، أى أنه الاهتداء بكلام العرب ، والسلوك فى اتجاهه ، والاستشهاد به باستعمال كلمة نحو .. نحو .. نحو ، حتى أنها أصبحت ترادف كلمة « مثل » ، يقال : أعمل كذا أو نحوه ، أى (أو مثله) . ولعل هذه الصفة فى نشأة النحو العربى هى التى جعلت « القياس » عند سيبويه ومدرسته من نحاة البصرة ، ثم كل من كتب لهم الخلود حتى يومنا هذا من نحاة العربية ، أساسا ومنهجا للسير فى هذا الميدان من البحث العلمى .

وفى اللغة الفارسية نجد تسمية هذا العلم تقترب من النظرة اليونانية ، فهم يسمونه « دستور زبان » أى القانون المنظم للسان أو اللغة .

فاذا ما عدنا الآن الى الاسم الذى اختاره نحاة العبريين لهذا العلم ، وهو « دقدوق » وجدنا أنه لم يرد على الاطلاق فى عبرية الكتاب المقدس . ووجدنا أنه كان يستعمل قديما فى معان أخرى غير اللغة . فهو اسم مشتق من المادة الثلاثية الموجودة فى كثير من اللغات السامية ، وهى مادة (د ق ق) ، مثل « دق » بالعربية ومعناها سحق . والشىء الدقيق ، هو الشىء الذى يحتاج الى فحص بامعان . وأول ما نعثر على كلمة « دقدوق » فى العبرية نجدها فى قوله فى المشنا (أبوت 6 : 6) « دقدوق حبيريم ⊖ » التى اختلف فيها المفسرون من قائل بأن معناها « التدقيق فى اختيار الرفاق » ومن قائل انها « الدقائق التى يناقشها الرفاق » .

وفى التلمود (سوكوت 28 : 1) ورد « دقدوقى توراه ⊖ » بمعنى الدقائق فى تفسير الشريعة وتأويلها .

وكانت هذه الكلمة كما نرى قد بدأت تأخذ معنى متصلا بالاهتمام بالنصوص وتحليلها وتفسيرها ، فكان ذلك مشجعا لنحاة اليهود بعد ذلك على تخصيصها للدلالة على علم النحو :

فالتلمود أحيانا يذكر كلمتين تتقاربان فى اللفظ

وتختلفان فى المعنى ، أو العكس ، ثم يتبع ذلك بقوله : « الوصريخين دقدوق ⊖ » ويقصد بذلك أن هذه الازواج من الالفاظ تحتاج الى عناية خاصة فى التمييز بينها فى اللفظ والمعنى. جاء ذلك مثلا فى التلمود البابلى (بخوروت 30 : ب) وفى التلمود الاورشليمى (2 براخوت 4 : د) . ويندرج فى هذا النحو من التفكير قول التلمود « دتدوتى هاوتيوت ⊖ » اى تحرى التدقيق فى مخارج الحروف الذى أشرنا اليه آنفا .

والخلاصة هى انه لم يكن هناك نحو بالمعنى العلمى للكلمة ؛ لانه لم تكن هنباك دراسات لغوية منفصلة عن النص المقدس ، ولانه لم تكن هناك أمة يهودية لها لغة وأدب يمكن استخدامه كشواهد ، ولم تكن هناك تجمعات شعبية يهودية تتحدث بالعبرية ويخشى على السنتها من اللحن والخطأ ، وهى الظاهرة التى كانت دائما تبعث على التأليف فى النحو عند جميع الامم والشعوب.

وفى ظهور علم النحو عند اليهود ، بعد استقرار النحو العربى فى صورته النهائية بفضل سيبويه ، يثور نقاش حاد ولكنه محصور فى دائرة الفكر العبرى نفسه ، هو الاقرار بالسبق الى التأليف فى النحو العبرى المتنازع عليه بين اليهود القرائين (أتباع اليهودى الايرانى عنان بن داود ، المولود سنة 714 ميلادية) وهم الذين يرفضون المشنا والتلمود ، وبين اليهودية الربية التقليدية المزدهرة فى الشرق الاوسط فى ظل الاسلام ، وبخاصة فى ايران والعراق والشام ومصر .

فمن الجديرين بالذكر من بين القرائين يهودا بن علال الطبرانى ، أبو زكريا يحيى ، الذى يجعلونه من الفترة بين 880 — 932 . ويقولون انه تأثر بنحاة العرب ، وكتب مؤلفات كثيرة فى النحو العبرى اشتهر منها كتابه المسمى « مأور عينايم ⊖ » اى « نور العيون » . ويرجح الباحثون أنه هو المقصود فى قول الاديب اليهودى الاندلسى الكبير ابراهام بن عزرا فى كتابه : « موزنايم ⊖ » اى « الميزان » أنه العالم الاورشليمى الذى الف ثمانية كتب فى النحو ، أو أنه أبو الفرج هارون المقدسى القرائى ؛ من الجيل التالى .

ولم تصل الينا أية نماذج من كتابة أبو زكريا الطبرانى هذا فى اللغة .

وهناك عالمان كبيران شهيران جدا ، كانت شهرتهما على الخصوص فى قراءة الكتاب المقدس قراءة شرعية ، بلغة عبرية فصيحة ، وضبطه بالحركات ، وباشارات السكت والوصل وما الى ذلك ، محاكاة لما قام به المسلمون : أبو الاسود الدؤلى ، والخليل بن احمد أستاذ سيبويه من تدقيق فى ضبط الالفاظ بالحركات . واحد هذين العالمين هو اهرون بن موسى بن آشر ، أبو سعيد ، والثانى هو موسى بن نفتالى . وكلاهما عاش فى أواخر القرن التاسع الميلادى وأوائل العاشر . ويبدو أن كليهما كانا يقيمان فى طبرية . وموسى بن نفتالى هو ابن عم اهرون بن آشر ، والاسرة كلها كانت مشهورة بخدمة « المسورة » اى تحقيق النص المقدس للكتاب العبرى والتدقيق فى تلاوته وضبطه ، واسلاف هذين العالمين معروفون بهذا اللون من البحث منذ القرن الثامن الميلادى ، اى بعد ظهور مصحف عثمان عند المسلمين بقليل .

ويؤكد الباحث القرائى العلامة بينسكر ، من علماء القرن الماضى المهتمين بتاريخ الدراسات اللغوية العبرية ، أن ابن آشر — وهو أشهر هذين العالمين وأوثقهما بين اليهود بجميع طوائفهم — كان من طائفة القرائين ، ويعارضه فى هذا كل العلماء الربانيين تقريبا ، وما يزال الغموض يلف هذا الموضوع ؛ نظرا لان ابن آشر بتخصصه فى تحقيق النص المسورتى ، لم يترك اى اثر يدل على اهتمامه بالمشنا والتلمود ، بل ظل وفيا بدقة وبتحديد شديد للرسالة التى أخذها على عاتقه وهى العناية بتوراة موسى وأسفار الانبياء والكتب الحكمية وهى الاقسام الثلاثة التى يتألف منها العهد القديم ؛ أو « المقراء » الذى يشتق القراءون اسمهم منه وينتسبون اليه ويرفضون قدسية النصوص الربية من المشنا والتلمود .

واذا كنا قد وصفنا اهرون بن آشر وموسى بن نفتالى بأنهما أكبر وأوثق علماء « المسورة » وانهما فى ذلك كانا ثمرة جهود مماثلة سبقتهما عند

المسلمين ، لضبط تلاوة القرآن الكريم ، وتثبيت رسم المصحف ، فان الرجلين بعملهما هذا كانا يجمعان بين جهود مدرستين تقليديتين عند اليهود ، احداهما قديمة جدا تنتمي الى عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهي مدرسة الكتبة « سوفريم » ، والاخرى متأخرة عن تلك الاجيال البعيدة وهي مدرسة « الضابطين » اى الذين رسموا الحركات على الحروف ، وضبطوها بالشكل ، وتسمى عندهم مدرسة « المنقطين » او « النقدانيم » ، وكانت تنقسم الى فريقين لكل منهما نظامه ، احدهما فيما يسميه اليهود ارض بابل وهي العراق واجزاء كبيرة من ايران ، ويسمى نظام هؤلاء العلماء بالنظام البابلي او الشرقي وبالعبرية « مدنحاى » ـ أو بالآرامية بتعبير أدق . أما الفريق الثاني فكان يمارس عمله في الشام ، وكان مركزه الاكبر في طبرية ، ولذلك سمي نظامه « الطبري » ، أو الغربي ، وبالعبرية « معرياى » . وقد كتب لهذا الاخير الانتشار ، وبه تطبع نسخ الكتاب المقدس اليهودي المعروفة الان . وكلا النظامين يرجع الى فترة قصيرة بعد كبار النحاة والقراء امثال ابى عمرو بن العلاء ، وحمزة ، والكسائي ، وسيبويه . كان ذلك ايضا فى اخريات القرن التاسع الميلادى .

وحذا اليهود حذو المسلمين فى تحفيظ النص المقدس لابنائهم ، ورسموا لذلك منهجا مأخوذا بتمامه عن المسلمين ، من أوضح امثلته ما ورد فى كتاب الفه فى الاندلس ، الحاخام يوسف بن يهوذا ، من مدينة برشلونة ، وقد كتبه بالعربية وسماه « طلب النفس » اقتطف منه المستشرق اليهودى « نوبارو » عبارة جاءت فى باب عنوانه « ادب المعلم والمتعلم » يقول فيه عن واجب المعلم نحو التلاميذ : « . . . ثم يقرئهم التوراة والانبياء والكتب بضبطها وتلحينها ، بان يخرجوا الطعميم (أى المخارج والنبرات) على ماهى عليه . . . . وسائر ما ينبغى ان يعلم . وهذا يكون بتعليمهم كتب المسورة . . . . الخ » .

وفى اثناء هذا العمل نجد ابن آشر نفسه يستعمل كلمة « دقدوق » بمعنى يقترب من المعنى الاصطلاحى اللغوى فى كتابه المشهور « دقدوقى هاطعميم » بمعنى « توآعد الاداء بالتلاوة » . وقد استعان بهذا الكتاب فى القرن السادس عشر العالم اليهودى « اهرون بن حاييم » عندما نشر الكتاب المقدس بالمجموعة الكبرى من تفاسيره فى ما يسمى « متراوت جدولوت ✪ ـــــ » . سنة 1517 ميلادية ، وكانت النسخة التى اعتمد عليها معنونة بما ترجمته : هذا كتاب قواعد التلاوة الذى الفه اهرون بن آشر من عزيا المسماة طبرية ، ✪ ـــــ .

ويتضح من كتاب بن آشر أنه كان على صلة وثيقة باعمال النحاة العرب ، وانه كان يتلقى بعض المصطلحات التى استعملها مترجمة الى العبرية باجتهاده هو من طريق البصرة ، مدرسة سيبويه بالذات . فقد ذكر المستشرق اليهودى بنيامين زئيف باخر ، وتبعه آخرون ممن كتبوا فى نشأة النحو العبرى لاول مرة فى التاريخ فى ظل الدولة الاسلامية مثل ريينوفيتش ونوباور وسالومون سكوس عددا من المصطلحات النحوية اشهرها :

1 ـ	الاسماء	بالعبرية	هاشموت
2 ـ	الافعال	بالعبرية	هاملوت
3 ـ	الضمائر	بالعبرية	هاتموروت
4 ـ	الحروف	بالعبرية	هااوتيوت
5 ـ	اسم العدد	بالعبرية	هامسبار
6 ـ	اسم الجمع	بالعبرية	هاتهل

وقد اختلف الباحثون الاوربيون المحدثون فى مدلول هذا المصطلح الاخير عند ابن آشر ، فتوهم كثير منهم انه يعنى به « صيغة الجمع » ، وظن بعضهم أنه يريد به الادوات وما اليها من الظروف ونحوها ، بل ذهب آخرون الى أنه يعنى بهذه اللفظة اسم العدد ، وكل ذلك تعريف منهم .

كذلك نجد ابن آشر يميز بين نوعين من الحروف :

7 ـ الحروف فى النحو ، ويسميها أوتيوت هاشموش ✪ ـــــ

8 ـ حروف الهجاء ، أو البناء الصرفى ، ويسميها اوتيوت هاشورش ✪ ـــــ .

ونشعر ان المصطلح النحوى الذى كان قد وصل فى العربية الى الاستقرار والاستقلال على يد سيبويه ، كان مايزال رجراجا متأرجحا عند

اليهود ، فمثلا نجد النحوى الاندلسى اليهودى دونش بن لبرط يستعمل :

9 ــ شم لحشبون ✪ ــــــ لاسم العدد ، بدل هامسبار عند ابن آشر .

ويضيف النحوى الاندلسى اليهودى موسى بن جقطيلة عددا من المصطلحات بعضها ماخوذ بنصه تتريبا من العربية مثلا :

10 ــ المصادر التى يسميها هامصديروت

11 ــ البدل ، الذى يسميه عين هبدله

وهناك اصطلاح اختلف فيه المفسرون هو :

12 ــ هادبقوت ✪ ــــــ ومعناها النحوى « اللواصق » ، ولم يعرف الباحثون اهو يريد بها « المصنة » او « الاضافة » . وهذه الاخيرة استقرت عند متاخرى النحاة فى الاصطلاح الشائع :

13 ــ هاسميخوت ✪ ــــــ اى التعبير بالمضاف والمضاف اليه .

وكما لاحظنا من قبل من الغموض الذى يحيط بنشأة النحو العبرى فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الميلادى ، نضيف أن هذا الغموض ليس مقصورا على النظريات والمصطلحات والمؤلفات ، بل يتعدى ذلك الى أسماء العلماء انفسهم ، وسنى حياتهم ، والاماكن التى عاشوا فيها .

فقد ذكرنا من نحاة القرائين « يهودا بن علان الطبرانى » ، واشرنا الى انه ليس بين أيدينا شىء من كتاباته ، ونجد فى مراجع يهودية من العصور الوسطى أيضا نحويا يهوديا قرائيا أيضا اسمه « يهودا بن بلعام » وهو مجهول أيضا ، ولعل الاختلاف بين بلعام وعلان فى الاسمين ليس الا من تحريف الرواة والنساخ ، وان الاسمين لرجل واحد . وان كان ابن بلعام يلقب بالمقدسى ، وابن علان يلقب بالطبرانى ، ولكن ذلك ايضا امر كثير الوقوع فى نسبة علماء اليهود الذين يسكنون فلسطين .

وربما كان النحوى « القرائى » أبو الفرج هارون بن الفرج المقدسى » أوضح فى معالمه من ابن علان ، أو ابن بلعام . فهو قد عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى ، واشتغل بعلوم اللغة العبرية ، وتفسير الكتاب المقدس ، ورد ذكره عند كثير من علماء هذا العصر مثل سليمان بن يروحام وعلى بن سليمان واسرائيل المغربى وهذا الاخير يذكره باسم « الشيخ أبو الفرج هارون » . كما يذكره الاديب والعالم اليهودى الاندلسى الكبير موسى بن عزرا ، وينسب اليه بعض الآراء فى اللغة قائلا « فى تاليف أبو الفرج المقدسى » ،ويعزو اليه كتابا فى النحو العبرى اسمه « المشتمل » لم يصلنا أيضا ، وان كان اسمه يذكرنا بكتاب فى نفس الموضوع الفه بالعبرية العلامة داود قمحى ، وسماه « هامخلول ✪ ــــــ » بعد أبى الفرج هذا ، ويكاد يكون الاسم العبرى ترجمة حرفية للاسم العربى « المشتمل » . كذلك اهتم بقواعد التلاوة « المسورة » واشتهر فيها له كتاب اسمه « الكافى » . والظاهر أن كتب أبى الفرج هارون المقدسى كانت رائجة حتى بين غير القرائين من اليهود ، فان شيخ نحاتهم ابا الوليد مروان بن جناح القرطبى المتوفى بسرقسطة فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى يذكر أنه اطلع طى كتاب فى النحو « لرجل مقدسى » كتم ابن جناح اسمه لانه قرائى .

ويوجد لابى الفرج هارون المقدسى هذا كتاب فى اللغة ، بقيت منه قطعة صغيرة مخطوطة فى المتحف البريطانى ، واسمه « شرح الالفاظ » . ويبدو أنه كان معجما لالفاظ اللغة العبرية مشروحة بالعربية .

كانت هذه الحركة اللغوية تاخذ مجراها فى الاوساط اليهودية المقيمة فى ظل الاسلام ، وتتخلق مستمدة عناصر تطورها وازدهارها من نحاة العرب ، يشهد بذلك ادباء كبار من اليهود امثال الاندلسى يهودا الحريزى الذى كتب فى القرن الثانى عشر الميلادى مجموعة من المقامات باللغة العبرية لاول مرة اشار فيها ــ فى المقدمة ــ الى أن المثقفين اليهود فى عصره كانوا مفتونين بكل ما هو عربى ، مهتمين بتذوق الادب العربى لدرجة التقصير فى حق الادب العبرى ، ولذلك فقد انبرى لكتابة هذه المقامات التى سماها «سفرهاتحكونى» اى « كتاب العبقرى » وقلد فيها مقامات الحريرى العربية ، وزاد على ذلك أن التزم فى سجعه

حرفين فى الثانية ، وهو مـا يسميه علماء البديع العرب « لزوم ما لا يلـزم » ، وربما كان فى ذلـك يحـاكى كاتبـا عربيـا اندلسيا للمقـامات هـو « السرقسطى » صاحب « المقامات الزومية » ، وهو كتاب ضخم توجد منه نسختان خطيتان كاملتان فى مكتبة الاسكوريال بمدريد .

ويشير شيخ المترجمين اليهود من العربية الى العبرية فى العصور الوسطى يهـودا بن شاؤل بن تبون الى ظاهرة التاثر بالعربية فى الدين والادب واللغة فى أيامه فى مقدمته لترجمة كتاب « الهداية فى فرائض القلوب » للمفكر اليهودى الفيلسوف بحياى بن فاقوده . أما الاديب والشاعر والعالم اليهودى الاندلسى ابراهام بن عزرا فانـه يخصص كتابا بالعربية اسمه « المحاضـرة والمذاكـرة » لبيان نواحى الدقة والبلاغة فى التراث العبرى مصنفة على حسب أبواب المعانى والبيان والبديع فى مباحث البلاغـة العربيـة .

وفى حركة تأليف المعاجم العبرية عند اليهـود نجدهم يتتلمذون على القواعد التى أرساها سيبويه فى ارجاع أكـثر الافعـال والاسماء الى حـروف أصليـة ثلاثة ، ويأخـذون كل المصطلح الخـاص بالاعلال والابدال والحذف والادغام وغيرها . فمـن أشهرهم اللغوى القرائى أبو سليمان داود بـن ابراهيم الفاسى ، نزيـل مصر فى القرن العاشر الميلادى ، وصاحب كتاب « جامع الالفاظ » وهو معجم أبجدى عبرى مشروح بالعربية نكتفى هـنا بذكر سطور من مقدمتـه يتبين فيها بوضـوح أثـر مصطلح النحو العربى عليه ، فهو يقول :

« . . . . الالفاظ العبرانيـة تدور على أحرف هى أمهات الالفاظ وأسها . واعلم أن الامهات على أربع اقسام : أحدها أن تكـون الكلمة دائرة على حرف واحد ، وكل لواحقها ترتفع والحرف ثابت » مثـل : ⊖——— . والثـانى هو ماتدور الكلمة على حـرفين ، ترتفع الواحق وتثبت وهى مثل : ⊖——— .

والثالث هو ما يكون أصلها ثلاث حروف ، ولواحقها ترتفع وهى ثابتة ، مثل :
والـرابع ، فهى الذى أسها أربع حروف ، وهى على ضربين : أحدهما أربـع حروف أصلية ، مثـل : ⊖——— والثـانى أربع مكـررة ، مثـل : ⊖——— . ولا يزيـد على اللغـة العبرانية من هذه الاربع ، وعليها ينبنى كل منطقهم: من الامر والنهى ، والآنف والمستأنف ، والفاعل والمفعول ، والاسم والمصدر ، والتذكير والتانيث، ما خلا (أسماء) الاشخاص التى غير متصرفة ، فانها تزيد على أربع أحرف ، مثـل : ⊖——— .

3 — جهود سعديا الفيومى فى الربط بين اللغـة العبرية ومناهج اللغويين العرب

يعتبر سعديـا سعيد بن يوسف الفيـومى أعظم شخصية ربـطت بين النحو العـربى حسب منهج سيبويه وبين التفكير اللغـوى النـاشىء عند اليهود . وقد ولد هذا الرجل فى الفيوم من أقاليم مصر فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، ثم تركها فى صباه الى فلسطين بعد أن كان قد تلقى قدرا صالحا من العـلم بالعربية والعبريـة وآراميـة الترجـوم والتلمود ، ودرس الشريعة الاسرائيلية . اتجـه من مصر بعد ذلك الى فلسطين حيث أقام بها بضع سنين يتتلمذ على شيخ من شيوخ مفسرى اليهـود وعلمائهم هو أبو كثير يحيى بن زكريا الطبرى .

وانتقل بعد ذلك الى بغداد ، فشارك المسلمين فى دراسـة النحو واللغة ، وعلم الكلام . وهنـاك أحس بقوة اليهود القرائين اتباع عنان بن داود ، فشجعه ذلك على مزيد من التبحر فى فلسفة العقائد الاسلامية ، وفى مناهج تفسير القـرآن الكريم ، وخرج على الناس بكتـاب فى العقائد اليهوديـة مكتـوب بالعربيـة اسمه « كتـاب الامـانات والاعتقـادات » . ويبدو أثـر المتكلمين المعتزلـة واضحا جدا فى هذا الكتاب ، ذلك أن المؤلف كان قد وجدهم فى بغداد يتولون قيادة الفكـر الدينى عند المسلمين ، ويعملون بكفاءة فى اقحام الزنـادقة والملاحدة بالحجج العقلية المتأثرة بالفلسفة اليونانية. وكان كتابـه هذا ثمارا لمناقشات صاخبة جدا فى الوسط اليـهودى فى العراق وايران ، ادرجـة اضطرته الى الانـزواء ، والانسحاب من الحيـاة العامة ، ومن منصب حاخام بغداد الاكبـر ، ورأس المثيبة (وهى المعهد العـالى للـدراسات الاسرائيلية) فى بادة سورة القريبة من بغداد . وفى مدة اعتزاله هذه التى يجعلهـا مؤرخوه بين سنتى 928 — 937 ميلادية انصـرف الى الدراسـة ، وتفرغ للتاليف ، فكان أضخم عمل أنجزه فى ذلـك

الوقت هو ترجمة عربية لكتاب المقدس العبرى ، راعى فى تحريرها اختيار المصطلحات الدينية التى تؤيد بدلالتها فى اللغة العربية مذهبه فى الاعتزال ، مع مطابقة ذلك فى معظم الاحيان لما جاء فى الترجمتين الآراميتين القديمتين للكتاب المقدس : ترجمة أونكلوس وترجمة يوناثان . كذلك فسر ترجمته العربية ـ بالعربية أيضا ـ تفسيرين ، أحدهما مختصر والآخر مطول مفصل . وما تزال بين أيدينا أجزاء كبيرة من الترجمة ، وبعض قطع من التفسير المختصر نشرها يوسف درنبورج وابنه هارتويج فى باريس فى أواخر القرن الماضى .

ولعل أهم جهود سعديا على الاطلاق هى اقتباسه المنهج العربى الوارد على بغداد من مدرسة سيبويه بالبصرة فى تقنين البحث اللغوى والنحوى فى اللغة العبرانية بشكل واضح ومتسق مع النمط العربى .

فالى جانب معجم ألفه ـ ورتبه بحسب الحروف الاخيرة للالفاظ ـ وسماه « أجرون » ، أى جامع اللغة ، والى جانب ما لاحظه من فائدة هذا الترتيب فى تسهيل العثور على « ألفاظ القوافى » عند كتابة الشعر العبرى ، مما جعله يختم هذا الكتاب بدراسة بعنوان : « كتاب الشعر العبراني » ، نجده يسبق العلماء اليهود جميعا فى تقييد قواعد النحو العبرى كاملة فى كتاب ضخم سماه « كتاب اللغة » . وواضح من كتابات علماء اليهود فى الجيل الذى جاء بعد سعديا أن المصطلح النحوى الذى أثره سيبويه قد دخل معظمه فى هذا الكتاب، وعنه العربى أخذ نحاة العبريين بعد ذلك ، بحيث ظل النحو العبرى حتى الآن ، وحتى عند من لم يعرفوا العربية من نحاة اليهود ، مطبوعا بطابع سيبويه .

وقد ذكرنا من معاصرى سعديا فى مصر وشمال افريقية اللغوى القرائى أبو داود سليمان بن ابراهيم الفاسى ، صاحب كتاب جامع الالفاظ .

فمن عاصروا سعديا فى المغرب العربى ، وجروا على نهج اللغويين العرب :

دونش بن تميم ، المولود فى القيروان فى أواخر القرن التاسع أو أوائل العاشر الميلادى ، وكانت أسرته من المهاجرين من بغداد . وقد اشتهر عنه تأليفه معجما للغة العبرية مشروحا بالعربية ، وقد عنى فيه ـ على طريقة سعديا الفيومى ـ بالمقارنة بلغات أخرى كالآرامية والفارسية وغيرهما . ذكر ذلك نوباور فى دراسته عن بدايات النحو واللغة عند اليهود .

ومن هذه المدرسة أيضا ، ومن معاصرى سعديا الفيومى ، النحوى المغربى يهودا بن قريش. وهو من بلدة تاهورت فى المغرب . ألف معجما كبيرا للعبرية ، مرتبا على حروف المعجم ، ومبنيا على تجريد الالفاظ من الزوائد والعودة بها الى أصولها الاولى ، التى كان يرى أن حرفين منها هما عصب المادة كلها ، حتى أن أنصار القول بما يسمى « الثنائية » فى تصريف الالفاظ العربية ، فى مقابل « الثلاثية » التى تبدو واضحة فى أعمال سيبويه وتلاميذه ، يشيدون بجهود هذا الرجل فى اقامة نظرية الثنائية هذه . ولكن شهرته فى الحقيقة ترجع الى رسالة كتبها بالعربية الى يهود مدينة فاس ، ونشرها فى باريس سنة 1857 العالمان « بارجيس » و « جولدبرج » مع مقدمتين أحداهما عن حياة ابن قريش والاخرى عن أعماله العلمية . وهو فى هذه الرسالة ينادى بضرورة تعلم اللغويين اليهود للغة العربية والآرامية حتى يستطيعوا فهم كتابهم وشريعتهم ، بل ينادى بتعلم اللغات غير السامية التى يعيش اليهود فى ظلها كالفارسية والبربرية ، ويرى أن نحاة العرب يجب أن يكونوا بمناهجهم الرواد والقدوة فى تأليف قواعد اللغة العبرية .

ووراء هذا الجيل من العلماء ، تطالعنا فى النحو العبرى ـ بعد انتقال النشاط الفكرى اليهودى من الشرق الى المغرب والاندلس كما رأينا ـ مجموعة من اللغويين والنحاة يعتبرون التلاميذ الامناء ، والمقلدين الاوفياء للمدرسة البصرية العربية ، بلا شك بعد تحوير تعرضت له فى رحلتها الطويلة من البصرة الى اسبانيا ، ومن لغة القرآن الى لغة التوراة .

فمن هذه الجماعة اثنان متعاصران ، مختلفان على بعض تفاصيل فى تطبيق المنهج العربى، بحيث أصبح اختلافهما مشهورا بين اليهود كشهرة اختلاف سيبويه والكسائى ، والبصرة والكوفة فى المحيط العربى . هذان العالمان هما :

مناحم بن سروق ، من مدينة طرطوشة (910 ـ 970) .

ذاع صيت هذا اللغوى اليهودى حتى وصل الى مسامع حسداى بن اسحق بن شبروط ، الاديب الاسرائيلى الكبير الذى كان وزيرا لعبد الرحمن الثالث الاموى فى قرطبة ؛ فاستدعاه والحقه بقصره ، وجعله جليسا له ، ومعلما لاولاده ، وشاعرا لليهود فى بلده . وهناك جمع مناحم الفاظ اللغة العبرية المستعملة فى الكتاب المقدس ورتبها فى معجم ابجدى — يقولون انه يجرى على نظرية الثنائية مثل ابن قريش — وسماه بالاسم العبرى « محبيرت » اى « الدفتر » . وكان شرحه لالفاظ التوراة بالعبرية لا بالعربية ، مما جعل المترجمين من اليهود الحاسدين للمسلمين على حضارتهم الشامخة ، يتحمسون له جدا ، لان عمله كان اول عمل علمى يظهر من أوله الى آخره مكتوبا بلغتهم القومية ، وغير معتمد على لغة العرب . ويظهر مما بقى لنا من كتاباته انه كان يجهل اللغة العربية ، أو انه على الاقل كان يعرف منها لهجة العوام فى الاندلس والمغرب معرفة ضعيفة ، دون أن تكون له ثقافة فى داخل الفكر العربى الرسمى العالى .

اما منافسه دونش بن لبرط (920 — 990) فانه كان سليلا لبعض الموالى اليهود لدى المسلمين ، ومن هنا جاء لفظ « لبرط » وهو تحريف من العامية الاسبانية فى وقته « لبرادو » اى « المعتق » أو « المحرر » . وهو من مواليد مدينة فاس على التحقيق ، وعلى هذا استند المؤرخون الذين ردوا على من يعتبرونه هو ودونش بن تميم شخصية واحدة .

كان دونش بن لبرط ، بعكس مناحم بن سروق ، متبحرا فى علوم العربية ، متابعا متابعة دقيقة لآثار سيبويه واستاذه الخليل بن احمد ، ومن هذا الاخير أخذ علم العروض العربى فادخله فى الادب العبرى ، وكان بهذا العمل مفجرا لثورة ادبية هائلة ظهرت فى حقبة دامت قرونا طويلة فى العصور الوسطى ، هى التى يسميها مؤرخو الادب العبرى « عصر الشعراء » .

نبغ فى عرفنا شعرا عبريا موزونا مقفى ، على طريقة القصيد العربى ، أو الرباعيات الفارسية ، أو الموشحات الاندلسية ، باقلام كتاب موهوبين من أمثال : ابن جبيرول ، يهودا اللاوى ، ابراهيم بن عزرا ، موسى بن عزرا ، يهودا الحريزى . . . الى آخره .

وتحتدم المنافسة بين مناحم ودونش عندما يختلف الوزير حسداى بن شبروط مع مناحم ، فيبعده عن قصره ، ويحل محله دونش بن لبرط . ويبدأ صاحبنا هذا بنقد قاموس مناحم المسمى « محبيرت » فى رسالة بعنوان « هصاجوت » بمعنى « استدراكات » يبدو فيها شديد الكراهية لمناحم لدرجة أنه يصفه فيها شعرا بقوله :

« لقد حطم اللغة المقدسة
ووضع فيها الاخطاء مكدسة
ولو فهم لاغلق فمه
باقفال محكمة »

ولم تمر هذه المعركة مر الكرام ، بل تحزب فيها لمناحم بن سروق جماعة من العلماء اليهود ، فيهم كثيرون ممن يعرفون العربية حق المعرفة مثل اسحق بن جقطيلة ، افرايم بن قنسرون ، ابو زكريا يحيى (يهودا) بن داود حيوج . وقد ظهرت عن هذه الجماعة من العلماء رسالة فى الرد على دونش والانتصار لمناحم ، جاء فى أولها شعرا :

« ذلك هو المدعو ابن لبرط
يتعب نفسه فيغلط
ويظن نفسه قد حلل
كل المسائل وعلل
وهو قد اقتلع اللغة الشريفة
باخضاعها لموازين غير معروفة »

واستمر الهجاء — شعرا ونثرا — بين المدرستين بما يطول ذكره .

ويخطو النحو العبرى خطوة حاسمة نحو مقاييس سيبويه على يد لغوى منهجى الفكر وهو :

ابو زكريا يحيى (يهودا) بن داود حيوج ، من مواليد فاس بالمغرب فى هذا القرن العاشر الميلادى . والظاهر أن اسم حيوج يتضمن فى آخره نسبة عامية اسبانية بهذه الواو والجيم ، التى

نجدها في أسماء مثل « البدروجي » الفلكي البرتغالي في العصور الوسطى . وعلى ذلك فانه لا بد أن ينتمي الى جد اسمه « حيا » ، لعله هو الذي حمل اسمه بين العرب والمسلمين فأصبح يدعى يحيى .

أخذ حيوج نظرية « القياس » من سيبويه ، وكتب على ضوئها :

1 ـ كتاب التنقيط ، وفيه يبين الاحكام النحوية التي يخضع لها توزيع الحركات والسكون على الالفاظ العبرية ، مع مباحث في الاشتقاق والادغام والمجرد والمزيد والاضافة وحروف الحلق ، واشتقاق معظم الفاظ اللغة العبرية ـ كالعربية ـ من أصول ثلاثية .

وكان المتزمتون من اليهود ما يزال أكثرهم يجهل أحكام الاعلال والابدال والتشديد والتضعيف والادغام في اللغة العربية ، وما يقابل ذلك في اللغة العبرية ، فراحوا يخطئون حيوج ، ويعترضون على نظريته في كون الافعال لا يمكن أن تقل أصولها عن ثلاثة أحرف ، ويسوقون دليلا على ذلك من العبرية أفعالا مضعفة مثل « بز » و « دق » ، وأفعالا جوفاء مثل صيغة « تم » و « سم » . ولايضاح هذه النقطة ألف حيوج كتابين آخرين هما :

2 ـ كتاب الافعال ذوات المثلين .

3 ـ كتاب الافعال ذوات حروف اللين .

وقد وصلت هذه الكتب الثلاثة الينا ، ونشرها في القرن الماضي المستشرق « دوكس » سنة 1844 والمستشرق « نيت » سنة 1870 .

ومن خلال العمل النحوي لحيوج تأخذ أركان القياس البصري مكانها بصورة نهائية في اللغة العبرية .

وهكذا نجد الجهود التي بدأت بمدرسة ابن قريش وقبله أبو سعيد هارون بن موسى بن آشر الذي سبقت الاشارة اليه تستمر وتنتصر على يد حيوج . كان أولئك العلماء ـ حتى أمام الكثير من خصوصيات اللغة العبرية ـ يحاولون تفسيرها وتنسيقها على ضوء القواعد العربية . فابن آشر مثلا عندما اهتم بالقراءات الشرعية للتوراة وجد حركات الضبط والتشكيل سبعة عند اليهود هي :

1 ـ القامص . ⊙ ـــــ وهي الفتحة الطويلة الممدودة .

2 ـ الياتح : ⊙ ـــــ وهي فتحة قصيرة كالفتحة العربية .

3 ـ الصيرة : ⊙ ـــــ وهي امالة نحو الكسر طويلة ممدودة .

4 ـ السجول : ⊙ ـــــ وهي امالة مثل سابقتها ولكنها قصيرة .

5 ـ الحولم : ⊙ ـــــ وهو ضم مال نحو الفتح وليس ضما صريحا تويه .

6 ـ الحيرق : ⊙ ـــــ وهو كسر صريح مثل الكسرة العربية .

7 ـ القبوص : ⊙ ـــــ وهو ضم صريح مثل العربية .

ويضيفون الضمة الصريحة الممدودة بالواو الشورق ⊙ ـــــ الى هذه السبعة .

وقد أوضح بن آشر ، وتبعه في ذلك من جاء بعده من نحاة اليهود أن أصول الحركات هي الفتح والضم والكسر الصريح المعروف في العربية ، وأن ما زاد على ذلك ، بالامالة نحو الكسر أو الضم ، أو بالمد والتطويل ، ليس الا تفريعا يقتضيه التصريف ، وبعض أحكام الاعلال والابدال . وبهذا نجدنا ونحن في الفكر اللغوي العبري الناشىء نقف بقدم ثابتة في صميم دراسات الخليل بن أحمد وسيبويه .

4 ـ ابن جناح والخطوة النهائية في تطبيق نحو سيبويه على اللغة العبرية

ابو الوليد مروان بن جناح القرطبي الأندلسي اليهودي ، شيخ نحاة اليهود على الاطلاق ، وامامهم الاعظم بكتابه « اللمع » في النحو العبري الذي يعتبر عندهم ككتاب سيبويه عند العرب .

ولد في قرطبة حوالي سنة 990 ميلادية ، ويبدو من ثقافته ، واسلوبه الجيد في استعمال لغة العرب ، والاستشهاد بكثير من أشعارها وأمثالها وأقوالها المأثورة ، أنه منذ طفولته كان يدرس العربية مع العبرية . والعربية في الاندلس

كانت من حيث النحو واللغة تقوم على مذهب أهل البصرة ، وعلى فكر سيبويه ، وكتابه على الخصوص. بحيث نستطيع أن نقول ان أثر الكوفة فى الاندلس لا يكاد يكون محسوسا ، اللهم الا عندما يكتب نحاة الاندلس الكبار كتبا موسعة فى النحو ، فيعمدون باعطاء بعض الامتداء لمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، نجد ذلك فى كتب أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى ، وفى استدراكاته على سيبويه ؛ كما نجده فى كتاب الانصاف لابن التوطية وشروحه ، وفى أعمال الاعلم الشنتمرى ، أحسن من شرحوا شواهد كتب سيبويه ، كما يظهر عند كبار النحاة المدرسيين الاندلسيين كابن خروف وابن عصفور وابن مالك .

كان سيبويه فى الاندلس قد أصبح الامام الذى ليس قبله ولا بعده ، والمرجع الذى ينهل منه كل متخصص فى النحو العربى . حتى أن أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدى النحوى المشار اليه آنفا وإلى كتابه فى الاستدراك على سيبويه يقول : « فانى رأيت علماء النحو فى زماننا هذا وما قاربه ، قد أكثروا التاليف فيه ، وأطالوا القول على معانيه ، فأملوا الناظرين ، وأتعبوا الطالبين ، بتكرار معان قد بينت ، وركوب أساليب قد نهجت . فلم يخل أكثرهم بغير اعادة ما تقدم اليه ، والتكثير فيما سبق الى القول عليه . وقد كان ينبغى لمن هم بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان — المعروف بسيبويه — فينظر الى مبادى كتابه ، وعنوانات أبوابه ، ويرى لطائف معانيه ، ودقائق حجاجه . الى الايجاز فى قوله ، والايعاب لمراده ، فيزجره ذلك — ان كان ذا حجى — عن تكلف ما لا حاجة اليه ، ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه » ، (من مقدمة الاستدراك على سيبويه) .

فاذا كان العربى المسلم فى الاندلس قد قر قراره على منهج سيبويه فى دراسة ابنية اللغة العربية ونحوها ، فان اليهود — وهم قد تلمسوا للغتهم نحوا لدى العرب كما رأينا — لا يمكن أن يكون لديهم باب آخر غير سيبويه ينفذون منه الى أسرار لغتهم .

وثمت سبب آخر لالتئام منهج سيبويه مع مطالب اللغة العبرية فى ذاك الوقت . ذلك أن منهج الكوفيين — خصوم البصرة العلميين ، وخصوم سيبويه شخصيا — كان مذهبا يعطى للسماع فى اللغة أهمية لا يأخذها عندهم القياس . واللغة العبرية كانت قد عانت قبل تلك العصور بأكثر من الف سنة، ولم يكن السماع والحالة هذه ممكنا عندهم ، وكان لا بد من التعويل على القياس ، لا فى اللغة فحسب بل فى الدين أيضا . فلما فتح اليهود عيونهم على كتاب سيبويه منذ عهد سعديا الفيومى وجدوا فى منهجه ضالتهم المنشودة . وكان من يحسن منهم العربية يتفوق فى العبرية نفسها على أقرانه من العلماء لاعتماده على مقاييس متينة من لغة العرب وقواعدها . فمثلا نجد الاندلسى اليهودى موسى بن عزرا ، فى كتابه « المحاضرة والمذاكرة » الذى ما يزال مخطوطا فى مكتبة اكسفورد بانجلترا — وهو يتكلم عن علماء مدينة « اليسنة » الاندلسية القريبة من قرطبة فى عهد مروان بن جناح فيقول : « . . . وربى اسحق ابن جقطيلة ، وربى اسحق بن شاؤل الاليسانيان (فى المخطوطة تحريف : السانيون) فرسا رهان ، الا أن ابن جقطيله كان منهما السابق ، لوفور حظه من العربية . . . » . وفى موضوع آخر يذكر المستعربين من أولئك الادباء اليهود فيقول : « . . . وباليسنة فى ذلك الوقت أبو الوليد (بن) حسداى ، وأبو سليمان ابن راشلة ، وأبو ابراهيم ابن برون ، ودونهم ابن أبى يقوا ، الملقب بالمتنبى . . . » .

فى هذا الوسط ، الذى كانت فيه اللغة العربية هى أعلى صيحات الفكر فى ذلك العصر ، نشأ مروان بن جناح مترددا بين الحاخامين المتبحرين فى الكلية اليهودية فى اليسنة ، وبين الادباء والشعراء والنحاة والقضاة والفقهاء المسلمين فى بلده قرطبة القريبة من اليسنة . وجرى على سنة الكثيرين من يهود بيئته حتى فى اسمه : فاسمه العبرى « يونا » وهو الذى يقابل فى العربية « يونس » . وكان اليهود اذا دعا بعضهم بعضا يلقبه بالسيد تأدبا ، وهى عندهم كلمه « مار » . فكان صاحبنا يدعى فى الاوساط اليهودية «ماريونا». فلما أراد أن يتشبه بالعرب حول « مار يونا » الى أقرب نطق منها وهو « مروان » . ونظرا لان معنى كلمة « يونا » فى اللغة العبرية هو الحمامة أو اليمامة ، فانه — لكى يشير الى معنى اسمه العبرى — زاد عليه « ابن جناح » ، وعلى ذلك فاسم أبيه علمه عند الله ، لان « جناح » وردت رمزا لاسمه العبرى لا اسما لابيه . ولان المروانية من الخلفاء الامويين كانوا يكثرون من تسمية

ابنائهم « الوليد » ، مثل الوليد بن عبد الملك بن مروان ، والوليد بن يزيد ، فانه اتخذ كنيته العربية « ابا الوليد » ، واصبح اسمه المعرب كما قلنا هو « ابو الوليد مروان بن جناح » .

درس ابن جناح الى جانب التوراة والتلمود جملة طيبة من القرآن والحديث ، واتقن النحو العربى على مذهب سيبويه ، لدرجة انه ذكره صراحة وباسمه فى كتابه « اللمع » فى النحو العبرى وهو يتحدث عن الايجاز والحذف فى اللغة العبرية فيقول : (اللمع بتحقيق يوسف درنبورج — باريس سنة 1886 — ص 261) : « . . . ولا تنكرن حذفهم بعض الكلمة ، مثل قولهم اى نقى ✪——— مكان ايش ✪——— ؟ وغيره مما ذكرته . فان الكلمة اذا جرت على ألسنتهم كثيرا يخففونها . وقد يفعل غير العبرانيين أيضا مثل هذا ، كما قالت العرب (المنا) مكان (المنايا) ومكان (المنازل) فحذفت . وقد يحذفون اكثر من هذا ، حتى انهم قد يستجزئون من الكلمة بذكر أول شبهة منها ، حكى ذلك عنهم سيبويههم ، وانشد لبعضهم :

بالخير خيرات وان شرا فا
ولا اريد الشر الا ان تا

أراد : وان شرا فشرا ، فاستجزوا بالفاء فقط . وأراد بقوله الا أن تا : الا أن تريد ، فاستجزى بالتاء فقط » .

فهذا برهان ملموس على معرفة مروان بن جناح للنحو العربى مباشرة من كتاب سيبويه وشواهده واستخدام ذلك فى نحوه العبرى .

ولم يكن مروان بن جناح مهتما بالدراسات الادبية والدينية فقط ، بل كان متخصصا فى الطب والصيدلة ، ومارس الطب فترة من حياته ، وألف كتابا فى العقاقير اسمه « كتاب المفردات » .

وكان مروان بن جناح فى قرطبة معاصرا للامام احمد بن حزم ، وكانت قرطبة فى هذا الوقت زاخرة بالشعراء والعلماء والادباء ، وبمشجعيهم من الامراء وأثرياء التجار ، وفيها وجد مروان مكانا مرموقا يبدأ فيه نشاطه اللغوى والنحوى .

وكانت المعركة محتدمة بين انصار دونش بن لبرط المعجبين بالثقافة العربية ، وانصار منافسيهم المتعصبين ضدها ، وكان مروان من المعسكر الاول .

فاخذ على عاتقه ان يدافع عن نظرية استاذه أبى زكريا يحيى بن داود حيوج فى تقسيم الافعال الى مجرد ومزيد ، وكون المجرد لا يمكن ان يقل عن ثلاثة احرف . فالف كتابا يضيف فيه امثلة كثيرة ومشكلة من الافعال التى استعملت فى الكتاب المقدس ، ويتخلل ذلك آراء ونظريات فى النحو والصرف تنم عن منتهى الوفاء لمنهج سيبويه . ورد فى المستدرك (ص 12 — 13 ، باريس) قوله فى الحديث عن علاقة المصادر بالافعال : « وأما المصدر فهو عندى بمنزلة الجنس الاعلى ، وهو اقدم من الفعل قدمة طبيعية ، اعنى الفعل يرتفع بارتفاع المصدر ، وليس يرتفع المصدر بارتفاع الفعل ، والفعل ماخوذ منه وصادر عنه ، اعنى : المصدر اسم الفعل » . وهذا هو نفسه رأى سيبويه ، ورأى البصريين جميعا ، كما نص عليه ابن الانبارى فى المسالة الثامنة والعشرين من كتابه « الانصاف فى مسائل الخلاف ، بين البصريين والكوفيين » .

والظاهر أن معسكر المتزمتين من اليهود كان ينكر على مروان تأثره بالنحو العربى ، فراح اعداؤه يكيدون له ويكتبون النشرات السرية بعنوان : « رسائل الرفاق » فى محاولة فضحه وتجريحه ، ولكنه كان فارسا لا يشق له غبار فى رد السباب بالسباب والاستشهاد بالشعر العربى فى السخرية من اعدائه ، فهو يصف بعضهم بانهم الجهال ، والمتاكين ، والاغبياء ، والفدام ، والسخفاء ، والهاذرون ، والهامرون ، والرعاع ، وفاضحو انفسهم ، وينعتهم بقول الشاعر :

يتعاطى كل شىء
وهو لا يحسن شيا

فهو لا يزداد علما
انما يزداد غيا

ويختم ابن جناح هذه الرسالة التى كتبها الى صديق له ، وسماها رسالة التنبيه ، وضمنها ردا علميا بصريا سيبويهيا على أعدائه بقوله : « هذا ياسيدى ما نسمى لى من اعتراضهم على ، ما رأيت اعلامك به ، وتوقيفك عليه ، لتعجب من جهلهم ، وقلة فطنتهم ، وأيضا لتكون هذه الرسالة لمن عساه لم تتناد اليه من الاحداث أول وهلة

بهول صدر كتاب « المستطرف » تنبيها على جهل هؤلاء الرعاع وانقاذا لهم من غمرة غفلتهم . واعلمك أن هؤلاء السخفاء ، لقبوا كتابهم بكتاب الاستيفاء ، وعزوه الى بعض الاغمار ، خوفا منهم ـ ان نسبوه الى انفسهم ـ أن يشنع الرد عليهم فيه ، وتكثر السخرية منهم عليه ، لعلمهم ايضا انى لا محالة سابقهم :

سبق الجواد اذا استولى على الامد

فلما بلغهم علم الناس بأنهم الهاذرون الهامرون لا غيرهم ، وتضاحك كل من فيه خشاشة على ما بدا من جهلهم ، ستروه كما تستر الهرة جعرها ، وجحدوه ، غير أن الناس لقبوا لهم ذلك الكتاب بكتاب الاستخفاء ، فهذا مبلغ علم عالمنا ، ومنتهى فهم أديبنا ✪ ـــــ .

اعاذنا الله واياك من الاراء المضللة ، والاهوية المردية ، بمنه ورحمته » ، (رسالة التنبيه ، ص 266 ـ 267 ، باريس 1880) .

أما الشاهد العبرى الذى استعمله فهو من سفر الامثال 30 : 12 يقول : انه جيل يرى نفسه نظيفا بينما هو لم يغتسل من نجاساته .

ومن بداية نشاط ابن جناح فى النحو نلاحظ وفاءه للمدرسة البصرية العربية واضحا فى نقطتين هامتين :

1 ـ القول بالاصول الثلاثية فى الاشتقاق .

2 ـ القول بالقياس على طريقة البصريين ، نشعر بذلك عندما يأتى فى ثنايا حديثه قوله « لم يفهموا ما اجتلبته من المقدمات المنطقية ، والنتائج العقلية ، والدلائل الحسية ، برهانا على أن الاصل . . . الخ » (نفس المرجع : ص 257) . بل انه فى مكان آخر يقول بصراحة : « انا معشر أهل القياس . . . » (نفس المرجع : ص 366) .

وكان مروان بن جناح بعد الحوادث التى جرت على قرطبة بهجوم البربر عليها واحتلالهم لها عام 1012 ميلادية ، أى فى السنوات الاولى من القرن الخامس الهجرى ، قد اضطر الى الهرب والالتجاء الى مدينة سرقسطة فى الشمال حيث اشتغل بتعليم اللغة العبرية ، وتوج عمله العظيم بموسوعة لغوية تيمة من جزأين سماها « كتاب التنقيح » .

قسم مروان كتابه هذا قسمين مستقلين ، الثانى منهما سماه « كتاب الاصول » وهو معجم عبرى أبجدى مبنى على نظريات سيبويه المجردة والمزيد ، حسب الترتيب المعروف فى المعاجم العربية التى ترتب الالفاظ بحسب مواد اشتقاقها ، وعلى الحرف الاول من المادة .

أما الكتاب الاول ، أو الجزء الاول من التنقيح ـ وهو اهم الجزأين وارسخهما قدما فى نحو سيبويه فهو « كتاب اللمع فى النحو » الذى اشرنا اليه اكثر من مرة .

وخلاصة القول ان مروان بن جناح كان رجلا منهجيا فى عمله بحيث قسم هذا العمل الى قسمين :

القسم الاول : وهو النصوص التى يشتغل عليها ، ويمارس فيها بحثه ، وهى نصوص التوراة بتحقيقات علماء المسورة وائمة القراءة والتنقيط . يضاف الى ذلك نصوص من المشنا والتلمود والترجوم يعمد اليها المقارنة . ثم يأخذ آراء السابقين من علماء اليهود السابقين عليه . يقول فى مقدمة كتاب اللمع : « . . . فلما كانت منزلة علم اللسان المنزلة التى وصفناها ، وكانت درجته الدرجة التى ذكرناها ، اعتقدنا أن نؤلف فى ذلك كتابا نجمع فيه ابوابا ، تشتمل على اكثر علم اللغة ، ونحيط بجل استعمالاتها ومجازاتها وانحائها ، ونودعه ايضا اكثر اصولها الموجودة عندنا فى المقراء ، وشرح غريبها ، ولا ندع فى المقراء شيئا يستفاد من المصادر وتصاريف الافعال الا ونودعه كتابنا هذا ، ونبين ذلك ونبسطه بقدر وسعنا ومبلغ طاقتنا . وانا ازعم أن استشهد على شرح بعض الاصول بما امكننى من الموجود فى المقراء ، وما لم أجد عليه شاهدا من المقراء استشهدت عليه بما حضرنى من المشنا والتلمود واللغة السريانية ، اذ جميع ذلك من استعمالات العبرانيين .

مقتفيا فى ذلك اثر رأس المثيبة الفيومى ـ رحمه الله ـ فى استشهاده على السبعين لفظة المفردة فى المقراء من المشنا والتلمود ، واثر غيره من الجاونيم ايضا ، كرب شريرا ، ورب هايى ـ رضى الله عنهما ـ واثر غيرهما ايضا وما لم أجد عليه شاهدا مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربى ، لم انكل من الاستشهاد بواضحه ، ولم انحرج عن الاستدلال بلائحه ، كما يتحرج عن ذلك من ضعف علمه ، وقل تمييزه ، من

أهل زماننا . لاسيما من استشعر منهم التقشف ، وارتدى بالتدين ، مع قلة التحصيل لحقائق الامور . وقد رأيت راس المثيبة رب سعديا — نضر الله وجهه — يتوكأ على مثل ذلك فى كثير من تراجمه ، أعنى أنه يترجم اللفظة الغريبة بما يجانسها من اللغة العربية . وقد رايت الاوائل — رضى الله عنهم — وهم القدوة فى كل شىء ، يستشهدون على شرح غريب لغتنا بما جانسه من غيره من اللغات » . وهكذا يرسى مروان بن جناح ، بعد سعديا الفيومى ، الاسس الاولى لاحدث علوم اللغة التى يزعم الغرب انه مخترعها ، وهو علم اللغة المقارن .

القسم الثانى : وهو المنهج المأخوذ عن العرب ، وهو عنده يبدو فى مظهرين :

1 — محتوى الكتاب ، وهو فيه يتبع سيبويه فى تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف . وتقسيم الاسم الى جامد ومشتق . وتقسيم الفعل الى ماض ومضارع ، مع الاشارة الى انه قد يفيد الخبر أو الامر أو التأويل بمصدر . وهو ايضا يأخذ الاصول الثلاثة ميزانا للاشتقاق ويستعمل كثيرا من مصطلح سيبويه ، وعبارته ، حتى النادر منها : مثل الفعل « اتلاب » بمعنى استتام واطرد . فقد استعمله سيبويه مرة واحدة فى الجزء الثانى من كتابه ص 297 من الطبعة الاوربية ، ومرتين فى اسم الفاعل « متلئب » فى نفس الجزء الثانى ص 443 و 446 . ويستعمله مروان بن جناح مرتين ، مرة بصيغة الفعل مثل سيبويه « اللمع ص 86 » . ومرة فى صيغة اسم الفاعل « اللمع ص 83 » . ونجده يعتقد تبعا لسيبويه فى نظرية العامل لدرجة أنه يقول مرة فى كتاب اللمع ص 328 : « وهذا مما اجتمع فيه عاملان » ويكرر تعبيره ذاك مرارا ، منها مثلا ص 279 ، 355 . . الخ . كما أننا ذكرنا من قبل أنه يؤمن بالقياس ، وقد قال فى كتاب المستلحق : ص 37 « حمل الاقل كحمل الاكثر اقيس فى اللغة » . وفى نفس الكتاب ص 101 : « وأما أنا فانما مذهبى أن اضيف حرفا مجهولا الى أصل معروف ، دون أن يمنع من ذلك القياس والسبار المستعمل فى تصريف اللغة »

وهو لا يغفل فى مناقشة الشواهد والامثلة المعانى البلاغية ، نجد عنده منها قدر من المصطلحات كالتقديم والتأخير والحذف والتشبيه والاستعارة والمجاز والاتساع والتأكيد والتعظيم والالتفات ، ويقول عن هذا الاخير : وهو ، أعنى الالتفات ، قسم من اقسام البلاغة .

ويقول فى موضع آخر من كتاب اللمع : . . . وهذا القسم من اقسام البلاغة يسمى الاشتقاق والتجنيس ، وهو عند الخطباء والبلغاء مستحسن جدا .

ويتحدث عن الجمل الاعتراضية فى الفصل الثالث والثلاثين من كتاب اللمع حديثا بين البلاغة والنحو .

2 — التقسيم الظاهرى للكتاب واسلوبه فى مناقشة الشواهد ، والاهتمام بما يسميه « العوامل » يثير عندنا سؤالا هاما ، فاللغة العبرية لا اعراب فيها ، والمتاخرون من نحاة العرب يجعلون مدلول العوامل عندهم محصورا فى الاثر الاعرابى ، فهل كان الامر كذلك عند سيبويه ؟ أم أن مفهوم العامل عنده أنه عنصر له وظيفة فى نظم الكلام ومعنى الجملة يأتى الاعراب تبعا له فى العربية لانها معربة ، ولا يأتى فى العبرية الموقونة ، دون أن يمنع ذلك شيخ نحاتهم من استعمال كلمة العوامل فى بحثه النحوى . أما شواهده فانها كما قلنا كانت فى الاغلب الاعم من الكتاب المقدس ، وقد بلغ عددها فى كتاب اللمع وحده أكثر من ثمانية آلاف آية وهو قدر يزيد على ثلث الكتاب المقدس ، مما يجعل من عمل هذا النحوى عملا اساسيا فى التفسير عند اليهود ايضا .

كل هذا التألق فى النظرية النحوية فى الوسط المتقف اليهودى ما كان ليتأتى لهم لولا مساحة الاسلام التى اتاحت لليهود أن يتعلموا العربية فيتقنوها ، وأن يتخصص بعضهم فى سيبويه فيطبقه على لغة بنى اسرائيل بهذا الاحكام الذى قام به مروان بن جناح .

وقد ترجم يهودا بن شاؤل بن تبون كتاب « اللمع » الى العبرية بعد وفاة المؤلف بقرن من الزمان باسم « سفر هارقمه ✪ » ظل مرجعا لقواعد اللغة العبرية ونحوها ومنه استمدت المراجع الحديثة كما قلنا .

كل ذلك يضيف بلا شك اشعة جديدة تتألق من عمل شيخ نحاة العربية ، صاحب « الكتاب » الذى يعتبر دستور كلام العرب ، سيبويه رحمه الله . . .

المراجع والمصادر

ابن الانبارى ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد :

نزهة الالبا فى طبقات الادبا ، القاهرة ـ 1945.

ابن جنى أبو الفتح عثمان :

كتاب اللمع فى النحو ، مخطوط بمكتبه بلديـة الاسكندرية ـ رقم 1992 ـ د.

الاعلم الشنتمرى ، سليمان بن عيسى :

شرح شواهد كتـاب سيبويه (على هامش طبعة القاهرة سنة 1316 هـ .

البيـر حبيب مطلـق :

الحركة اللغويـة فى الاندلس ، منذ الفتـح العربى حتى نهاية عصر ملوك الطوائف :

المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت، 1967.

ابن مضاء القرطبى ، أبو العباس أحمد بن عبـد الرحمن اللخمى :

كتاب الرد على النحاة ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ـ 1947 .

الفتـح بن خاقـان :

صفة جزيرة الاندلس (فى الروض المعطار) ـ القاهرة 1937

المقرى ، الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى المتوفى 1041 هـ . :

نفح الطيب مـن غصن الاندلس الرطيب ، تحقيـق الشيـخ محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة 1947 ، نشرة معـادة فى دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت .

سيبويـه : الكتاب :

الطبعة الاوروبية ، بتحقيق هارتويج درنبورج ، الجزء الاول : باريس 1885 ، والثانى 1889.

الطبعة المصرية ، مع شرح الشواهد للاعلم الشنتمرى ، ومقتطفات من شرح السيرافى :

المطبعة الاميرية بالقاهرة 1316 هـ.

سعديـا ، سعيد بن يوسف الفيومى :

ترجمة التوراة بالعربية ، واسفار اخرى من العهد القديم :

تحقيق يوسف درنبورج وابنه هارتويج .

فى خمس مجلدات ، باريس من سنـة 1893 الى سنـة 1899 .

الصفحة

3 ـ دراسات مختلفة 107

الارقام العربية فى المشرق والمغرب 109
وزارة الاعلام بالكويت

الارقام والرموز 112
لجنة الارقام فى المؤتمر

رسم الاصوات العربية بالحروف اللاتينية 114
تقرير اللجنة الاردنية للتعريب

النحو من القرآن الكريم 116
الدكتور محمد عبدالسلام شرف الدين

الصدور واللواحق 121
الدكتور محمد رشاد الحمزاوى

التركيب العربى ومبدأ تعدد الانظمة 139
الدكتور محمد عبدالسلام شرف الدين

اللهجات العربية والوجوه الصرفية 153
الدكتور نهاد الموسى

الارقـام العربيـة فى المشـرق والمغـرب

تقريـر وزارة الاعـلام فى دولـة الكويـت

يعجب الانسان من ان العلماء المشرقيين ايـام انتشار اللغة العربية على الامتداد من جزيرة العرب حتى بلاد الهند ، حينما كانت اللغة العربية منتشرة فى كل تلك المناطق لغة للعلوم والآداب ، حتى عهدنا هذا انحسرت اللغة العربية عن الدول الاسلامية التى تقع شرقى العراق وشمالى الشام ـ كيف اصروا على ان يكتبوا الارقام الحسابية الهندية الاصل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، وان يغفلوا الكتابة بالارقام الاوربية او الغبارية التى يقال انها عربية الاصل .

واذا سلمنا بان اوراق البردي المصرية القديمـة الراجعة الى القرن الثالث الهجرى ، طالما استعملت الارقام الغبارية ، فاننا نعجب لعلماء مصر كيف تركوا هذه الارقام الغبارية وسايروا علـمـاء المـشرق فى مؤلفاتهم بترقيمها على الارقام الهندية .

ونقول اذا سلمنا بان اوراق الـبردي طالمـا استعملت ذلك ، فاننا نشك فى هذه الدعوى لان مـا جاء عقبها اعتمد فى دعواه على ما اوردته دائـرة المعارف الايطالية تحت مادة (رقم) (صفحة 4 مـن التحري 27 عن استخدام الارقام العربية الاصلية).

وهل هناك مادة فى دائرة المعارف الايطاليـة بهذا العنوان (رقم) بالحروف (ر ، ق ، م) ومنذ متى ينطق الايطاليون القاف العربية ؟

ان «الحيثيات» فى التوصية الاولى ص 3 وص4 جعلت من الكثرة بحيث كانت نوعا من الدعاية اكثـر منها نوعا من الحقائق العلمية وبعض هذه الحيثيات يمكننا ان نفترضه فى حروف الهجاء العربية فنقول :

وحيث ان العالم العربى يشق طريقه بخطـى شاسعة نحو التوجيه الثقافى .

وحيث ان الطلاب فى المشرق العربى يعرفـون الحروف اللاتينية حتما حينما يبداون فى تعلـم اللغات الاجنبية فى مدارسهم .

وحيث انهم يحتاجون اليها فيما بعد للاطلاع على المصادر الاساسية .

وحيث ان الاجهزة الفنية فى مجـالات الاذاعـة والطب والصناعة والتوقيت وغيرها يكتبون بحـروف لاتينية والناس يستعملونها اكثر فاكثر .

وحيث ان السياح الاجانب يزورون البلاد العربية بكثرة متزايدة ، كما أن كثيرين من الـعرب يـزورون البلاد الاجنبية ، فلابد لاولئك الاجانب ولهؤلاء العرب من ان يكونوا على معرفة مشتركة بـهذه الحـروف اللاتينية لاستعمالها فى كثير من المراجع .

وحيث ان العلاقات الاقتصادية الدوليـة (فالثقافات العالمية) فى ارتباط متزايد مما يجعـل استعمالها للحروف اللاتينية ضرورة واضحة .

فاننا نوصى الدول العربية بتصميم الحـروف اللاتينية (كما فعلت تركيا)

ان الحيثيات بلغت اثنتى عشرة .. سبع منهـا اعتمدنا عليها فى الحروف اللاتينية ، اما الخمس فهى دعوى عريضة بنيت على افـتراض او تـرجيـح فى الحيثية الاولى القائلة .

« وحيث اتضح من معظم البيانات التاريخيـة ومن الوثائق المشاهدة ، ومن مراجعـة المصادر « وان الارجح » هو وجود ارقام عربية اصليـة (((غبارية) الى جانب ارقام هندية مقتبسة » .

واذن فالمسالة « ان الارجح» وان كلمة «غبارية» هى التى افترض فيها ان تكون عربية .

ونتساءل : من الذي قطع بان الغبارية هـي العربية ومتى كان ذلك ؟ وفى اي مرجع عربى اصيل ؟

ثم فى اي دولة عربية نشات هذه الغبارية ؟ ولماذا غير اسمها من عربية الى غبارية ومتى كـان ذلك ؟

اننا لنقطع بما لدينا من معلومات وما نقدمه من صور لمخطوطات ومطبوعات ان العرب المشارقة من مصر الى الهند لم يخترعوا ارقاما عربية باي اسـم كـان .

واول دليل ناخذه على ان الارقام اصلها هندي سواء ما نستعمله او ما يستعمل فى الغرب واوروبا هو ما جاء فى كتاب « قصة الاعداد » تاليف باترشيا لوبر وترجمة عبد الحميد لطفى ففى صفحة 53 ما ياتى :

ومن حسن الحظ ان الهنود كانوا تجارا ، ومع رحلاتهم نقلوا كلا من البضائع والافكار فنقلوا معهم الاعداد الجديدة الى مدينة بغداد منذ حوالى 1200 سنة • ومن بغداد نقل عرب المغرب هذه الاعداد الى الغرب وانتشرت هذه الاعداد فى اسبانيا ، ثم نقلت من اسبانيا الى باقى أوربا » •

ولتراجع ايضا دائرة المعارف البريطانية فانها تسمى الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ، بالارقام العربية •

وفى موسوعة لاروس الكبرى تقول ان الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ، هى ارقام العرب الشرقيين • وان الارقام ٠٠٠ 3 ، 2 ، 1 ، هى ارقام العرب الغربيين ، ثم تقول عن دراستها للارقام : وهذه الارقام 3 ، 2 ، 1 مازال اصلها مجهولا تماما رغم الافتراضات والتخمينات •

وتذكر ان الارقام دخلت اوربا فى القرن العاشر والذي ادخلها البابا سلفستر ، وان اشكالها تغيرت ، واذن فالارقام الاوروبية الآن ليست هى الارقام التى دخلت اوروبا بل تغيرت • وان اصلها غير مقطوع به وانما هو افتراضات وتخمينات •

اما اذا رجعنا الى مصادرنا العربية ، فان اقدم كتاب اورد الارقام وذكر انها سندية هو ابن النديم فى كتابه الفهرست (مرفق معه صورة) •

ومن كلامه نعرف ان العرب الى القرن العاشر الميلادي (زمن تاليف الفهرست) ما كانوا يعرفون غير الارقام الهندية • وانهم كانوا يكتبون نفس الالفاظ فى الحساب فيقولون مثلا خمسة وسبعون •• او يقولون ثلاثة واربعون ، وهكذا حتى الالف والآلاف .

والامر الثانى انهم كانوا يستعملون حروف الهجاء مقابل الارقام وهو ما يسمى الآن « حساب الجمل » ا ب ج د هـ و ز ••• والحروف العربية تصل ارقامها على طريقتهم الى الالف من واحد الى تسعة ، ثم من عشرة الى تسعين ثم من مائة الى الف •

وناتى بعد هذا الى القلقشندى فى كتابه « صبح الاعشى» فنجده يقول فى الجزء الاول صفحة 466 عن علم الحساب :

ومن الكتب المصنفة على طريق الهندي كتب معدة — صحتها « متعددة » او « عدة » — ومن الكتب المصنفة فيه على طريق الغبار كتاب الحصار وكتاب المدخل •

واذن فالقلقشندي الواسع الاطلاع والمؤلف فى كل ما يختص بالدولة لا يذكر الارقام العربية وانما يقسمها الى هندية والى غبارية •

واذا وصلنا الي عهد كشف الظنون لحاجى خليفة نجده تحت كلمة حساب (علم الحساب) ينقل قول أحدهم « وتنسب هذه الارقام الى الهند » ثم يعقب بقوله : « واقول بل هو علم يصور الرقوم الدالة على الاعداد مطلقا ، ولكل طائفة ارقام دالة على الاحاد كالارقام الهندية والرومية والمغربية والافرنجية والنجومية » •

انه كان اوسع تفصيلا ، فهو لم يذكر العربية التى فرض عليها كلمة « الغبارية » •

واذا رجعنا الى دائرة المعارف الاسلامية نجدها تفصل فتذكر ان هناك ارقاما هندية واسماء للارقام ، اي ما نقوله باللفظ : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، وارقاما غبارية •

ونذكر ان الخوارزمى (780 — 840) اقدم ما يعرف ممن كتب الحساب بالارقام الهندية •

وان الكوفى (970 — 1026) كان يكتب اسماء الارقام •

وان معاصرا له هو على بن احمد النسوي كان يكتب بالارقام الهندية • اما الكتابة بالارقام الغبارية فتذكر من مؤلفيها « الحصار» الذي عاش تقريبا فى القرن الثانى عشر — ذكره ايضا القلقشندي (صبح الاعشى) اذ قال ومن الكتب المصنفة فيه على طريق الغبار كتاب الحصار •

ثم تضيف دائرة المعارف ان المؤلفين على الطريقة الغبارية : القلصادي المتوفى سنة 1486 وكتابه اسمه كشف الاسرار عن علم الغبار •

ونلحظ ان القلصادي بعد الخوارزمى بسبعة قرون وان الحصار بعد الخوارزمى بحوالى اربعة قرون (اوردت مذكرة الاتحاد البريدي العربى فى التحري 27 (فى الصفحة 4) اسم على القلسادي وانه استعمل الارقام الغبارية •

ومن هذه الجولة ومما ذكر فى مذكرة الاتحاد

البربدي العربي في التحري (27) ص 4 نجد ان الذين استعملوا الارقام الغبارية من علماء المغاربة بـــن الزرقال وابن البنا وابن الرقام وابن ياسمين وعلى القلسادي • ولم تذكر عالما من علماء المشارقة •• انه استعملها ، مع العلم ان علماء المغاربة الذيـــن ذكرتهم متاخرون عن علماء المشارقة بقرون •

فمن الجراة اذن القطع بان الغبارية او بمعنى اصح الاوروبية هي ارقام عربية •

ومذكرة الاتحاد البربدي العربي تنص في صفحة 4 على ان كثيرا من الوثائق والمطبوعات العربية خلال الالف سنة الاخيرة قد استعملت الارقام الهندية •

اما الغبارية فلا تذكر لها تاريخا محددا ولا منشا معروفا ، اللهم الا ما جاء عن علماء من المغرب هم في قرون متاخرة عن علماء المشارقة •

ان الدليل على تمكن الارقام الهندية وقـدمها وعلى القطع بان العرب لم يخترعوا ارقاما هـو ان الارقام الهندية مشتركة بين المشارقة وجارتهـــم (المسلمة ايران) ، وهذا استعمال للارقام الهنديـــة قديم ، وايران ذات حضارة عريقة قبل الاسلام ومـن عهد الفتوح الاسلامية الى الآن •

وثمة صور تقطع بان المخطوطات كـانت تكتب فيها الارقام الهندية المعروفة ، اما النقود فانه كـان يكتب عليها التاريخ بالالفاظ لا بالارقام •

لا يكفي في مثل هذا الامر الخطير الذي يراد به ان تجعل ارقام مكان ارقام ان يعتمد على دائرة المعارف الايطالية ودون اثبات الوثائق القاطعة •

ونحن نربا بعلماء المشرق ان يظلوا عاقين في اكثر من الف عام لما اخترعه العرب ، لان احد الاجانب زعم ان الارقام الغبارية هي ارقام عربية •

وكيف اكتشف هذا التطابق بين الغباريـــة والعربية الذي لم يذكره ثقات من العرب السابقـين المؤرخين •

ان الدعوة الى استعمال الارقام الاوروبيـــة بجوار الارقام التي اصبحت في اكثر من الف سنـــة ارقاما عربية بما نالها من تحسين واتقان وابداع في الرسم شيء مقبول ، ولا مانع من استعماله بجـوار ارقامنا التي صارت ملكا لنا وهي ١ ، ٢ ، ٣ ...

ولكن ليس من المعقول ان نجعل الارقام الاوروبية تحل محل ارقامنا المعهودة في اكثر من الف عام بدعوى ان الغبارية او الاوروبية هي ارقام عربية اصيلة •

واذا رجعنا الى مائة عام ونظرنا في مخطوطات المرحوم الشيخ الشنقيطي المكتوبة بالطريقة المغربية• نجده يكتب الارقام التي نستعملها في المشرق والتي اصبحت ارقاما عربية اصيلة • فلا مجال اذن للدعوى الآن بان الارقام الاوروبية التي يستعملها المغاربـــة ارقام عربية •

الارقام والرموز

(تقرير اللجنة المختصة فى المؤتمر الثانى للتعريب)

1 ــ تعميم الارقام العربية : 1 ، 2 ، 3 ...
2 ــ الابقاء على الرموز العلمية المتفق عليها عالميا ...
3 ــ تعيين رسم الحروف الاعجمية غير الموجودة فى العربية

اجتمعت اللجنة المكلفة بالنظر فى موضوع الارقام والرموز فى الساعة الخامسة بعد ظهر الاثنين 17 ديسمبر 1973 بحضور السادة :

الدكتور جميل الملائكة (المجمع العلمى العراقى)
الدكتور يحيى الحجرى (اليونيسكو)
الدكتور عبد الكريم خليفة (الجامعة الاردنية)
المهندس كمال اسماعيل ابو اليسر (المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس)
الدكتور محمد سويسى (الجمهورية التونسية)
الدكتور صالح القرمادي (الجمهورية التونسية)
الدكتور عماد حاتم (جامعة قسنطينة)
الدكتور محمد طرمكرانى (وفد فلسطينى)
الدكتور سليم خوري (وفد فلسطينى)

وافتتح الجلسة الدكتور ناصر الدين الاسد الامين العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وطلب الى المجتمعين انتخاب رئيس ومقرر للجنة ، فانتخبت اللجنة الدكتور جميل الملائكة رئيسا والدكتور عبد الكريم خليفة مقررا ، ثم جرى الاجتماع على النسق الآتى :

اولا : الارقام

نظرت اللجنة فى موضوع الارقام العربية وبعد تبين وجهات النظر Arabic numerals المختلفة ارتأت اللجنة ان توصى باستعمال الارقام العربية 1،2،3 .... للاسباب الآتية :

ا ــ ان هذه الارقام هى عربية فى الاصل وما زالت تحمل فى اوربا اسم « الارقام العربية » ، وهى لا تزال مستعملة فى اكثر اقطار المغرب العربى .

ب ــ ان استعمال هذه الارقام يحل كثيرا من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لانها ستغنى عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية فى مختلف العلوم ، وستيسر على الطلاب والمشتغلين فى العلوم قراءتها فى مظانها علما بان صور هذه الارقام تكاد تكون عالمية

ج ــ ان استعمال هذه الارقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الارقام الهندية المستعملة حاليا بهيئة نقطة كثيرا ما ادى تناهيها فى الصغر الى الوقوع فى الخطأ .

د ــ هذا علما بان استعمال هذه الارقام العربية لن يكلف المتعلم العربى اكثر من تعلم تسع صور للارقام اضافة الى الصفر هو امر سهل جدا .

ثانيا : الرموز

نظرت اللجنة فى موضوع الرموز ، وبعد المناقشة اتجهت الآراء الى التوصية بتبنى فكرة الابقاء مبدئيا على الرموز المتفق عليها عالميا فى مراحل التعليم العالى وكتابة المعادلات العلمية والرياضية بالطريقة والرموز المتفق عليها فى اكثر اقطار العالم المتقدم ، على ان تكون التعاريف والشروح والتعليقات باللغة العربية، وهذا بالتالى سييسر على الطلاب والمشتغلين بالعلوم قراءة هذه المعادلات والرموز فى الكتب العلمية باللغات الاجنبية المختلفة ، اذ لا يخفى ان هذه الرموز ، التى لا يتجاوز عددها بضع عشرات ، بات استعمالها

مع الارقام على هيئة معادلات رياضية يؤلف لغـــة عالمية يتفاهم بها المشتغلون فى العلم ، على ان تتولى المنظمة تاليف لجنة او عقد ندوة لدراسة الموضـــوع تفصيلا •

ثالثا : صور بعض الاصوات الاجنبية فى اللغة العربية :

عرض التقرير المقدم فى اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر بخصوص بعض الاصوات الاجنبية وطريقة رسمها باللغة العربية فاوصت اللجنة بمـــا ياتى :

ا ــ نظرا لكثرة ورود الاصوات المبينة فى ادناه فان اللجنة توصى برسمها كما هو مبين ازاءها :

P كما فى كلمة Pond ترسم على صورة ب (باء بثلاث نقط تحتها)

Ch كما فى كلمة Chart ترسم على صورة (جيم بثلاث نقط فى وسطها)

G كما فى كلمة Go ترسم على صورة ك (كاف فوقها شرطة)

V كما فى كلمة Very ترسم على صورة ف (فاء بثلاث نقط فوقها)

ب ــ نظرا لاهمية الموضوع واتساعه توصـــى اللجنة المنظمة بدراسة موضوع رسم الاصـــــوات المختلفة من حروف علة قصيرة وطويلة وما شابهـــها مما يرد فى اللغات الاجنبية ، فى لجنة او ندوة متخصصة لدراسته دراسة وافية وتقديم التوصيات فيه •

المقـــــرر

(الكتور عبد الكريم خليفة)

رئيس اللجنة

(الدكتور جميـــل الملائكة)

رسم الاصوات العربية بالحروف اللاتينية

تقرير اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر

اولا : رات اللجنة ، بعد دراسة الاشكال المختلفة لرسم الاصوات العربية بالحروف اللاتينية ان انسب هذه الاشكال هو الذي سار عليه المستشرق الالماني المعروف كارل بروكلمان ، وذلك لانه تجنب نظام وضع حرفين اثنين من الحروف اللاتينية مقابل الحرف العربي الواحد ، مما يجعل نظامه اقتصاديا من ناحية، وبعيدا عن اللبس والابهام من ناحية اخرى · ونرفق لمعاليكم طيه صورة فتوتوغرافية عن نظام بروكلمان المذكور ·

ثانيا : اما بالنسبة الى نقل الحروف اللاتينية الى حروف عربية ، فقد انتهت اللجنة الى ما يلي بالنسبة الى الحروف الساكنة Consonants

مقابله العربي	الحرف اللاتيني
ب	B
ك أو س (حسب لفظه في اللغة الاجنبية)	C
ج كما في (جيرجيل) CHURCHILL	CH
د	D
ف	F
ج او ك — كما في جورج وفي انكلترا	G
هـ	J
ج	H
ك	K
ل	L
م	M
ن	N
ب	P
ق	Q
ر	R
س	S
ت	T
ف	V
اكس	X
ز	Z

وينبغي التنبيه هنا الى ان اللجنة قد استعانت بنظام الحروف الفارسي فيما يتعلق بالحروف اللاتينية التي لا مقابل لها في الحروف العربية ، كما هي الحالة في الحروف ج ، ك ، ب ، ف ·

ثالثا : اما بالنسبة الى الحروف اللاتينية الصائتة VOWELS فقد انتهت اللجنة الى ما يلي :

مقابله بالعربي	الحرف اللاتيني
ا (همزة مفتوحة) كما في AND اند	A
ا (الف ممدودة) كما في CAT كات	
ي (ياء ممالة) كما في FATE فيت	
اي (همزة مكسورة تتبعها ياء ساكنة) كما في EVE ايف	
ء (همزة مكسورة ممالة) كما في END ئند	
ي (ياء) كما في FEET فيت و SEAT سيت	
(كسرة مع علامة امالة فوق الحروف) كما في BEND بند	
ء (همزة مكسورة (كما في INN ان	I
(كسرة تحت الحرف) كما في BIT بت	
آي (الف ممدودة تتلوها ياء ساكنة) كما في ICE آيس	
ا (همزة مضمومة فوقها علامة امالة) كما في ON ان	
و (ضمة فوقها علامة امالة) كما في BOND بند	
و (واو فوقها علامة امالة) كما في ROLE رول	
ا (همزة مفتوحة) كما في UN ان	U
/ (فتحة) كما في TUB تب	
يو (ياء فواو) كما في TUNE تيون	
ي (ياء فوقها علامة امالة) كما في CONCUR كونكير	
/ (فتحة فوق الحرف) كما في CIRCUS سيركس	
و (واو) كما في MANT وانت	
ي (ياء)	Y

هذا ، ويجدر التنويه بان اللجنة قد بنت اجتهاداتها في وضع الحروف العربية المقابلة للحروف اللاتينية على اساس اصوات هذه الحروف باللغة الانجليزية دون غيرها من اللغات ، لانها اشيع هذه اللغات في العالم العربي ، ولشيوعها في مرافق مختلفة علمية وفنيـــة وتجارية في العالم الحديث باجمعه •

رسم اصوات الحروف العربية بالحروف اللاتينيـــة كما وضعها بروكلمان

k	ك	d	ض	d	د	a	ا
l	ل	t	ط	d	ذ	b	ب
m	م	z	ظ	r	ر	t	ت
n	ن		ع	z	ز	t	ث
w,u	و	g	غ	s	س	g	ج
h	هـ	f	ف	s	ش	h	ح
y,i	ي	q	ق	s	ص	h	خ

النحو من القرآن الكريم

1 ـ تقويم جديد لكاد واخواتها

الدكتور محمود عبد السلام شرف الدين

تمهيد

يقسم فقهاء اللغات مفردات اللغات الى قسمين كبيرين احدهما يطلق عليه الكلمات المعجمية اي تلك المفردات ذات المعنى والآخر يطلق عليه الكلمات التركيبية اي تلك المفردات الخالية من المعنى فى حد ذاتها والتى يتضح معناها وهى فى التركيب ، والاسم والفعل من النوع الاول والاداة من النوع الثانى .

والاداة تتسم بسمات كثيرة منها خلوها من المعنى المعجمى ، ومنها الجمود فى الشكل اي عدم التصرف ، ومنها قلة العدد ، فادوات اية لغة محدودة العدد ، ولكن هذا التحديد الكمى لا يقابله تحديد كيفى ، اذ ان نسبة تردد الادوات فى التراكيب تفوق كثيرا نسبة تردد الاسم والفعل .

فالاداة تتسم بثبات الجانب المادي ، كما ان جانبها الدلالى ذو صفة تركيبية فلا يتضح الا فى تركيب ، وهو ما قاله النحاة من ان الحرف ما يدل على معنى فى غيره .

لننظر الآن فى « كاد واخواتها » كما جاءت فى القرآن الكريم على ضوء من التمهيد السابق السريع .

اطلق القدماء على « كاد واخواتها » افعال المقاربة ، واشهر هذه الافعال اربعة عشر فعلا ، وزاد النحويون افعالا اخرى حتى بلغت اربعين (1) .

ويقسم النحويون هذه الافعال قسمين : قسم مجمع عليه انه فعل وهو ما عدا عسى ، وقسم مختلف فيه وهو عسى ، فمذهب الجمهور انها فعل ، وذهب بعض النحويين الى انها حرف (2) .

يقول « ابو حيان » الاصل فى افعال المقاربة التصرف الا عسى خاصة لكن العرب حين استعملت هذه الافعال هنا التزمت فيها لفظ الماضي الا ما كان من اوشك وكاد ، حيث ان الاكثر فى لسان العرب استعمال مضارع الاولى ، واستعمال مضارع الثانية كثير فصيح » (3) .

والنص السابق يشير الى ما يلى :

اولا : الاصل ـ اي القاعدة ـ فى الافعال ومنها افعال المقاربة ان تكون متصرفة .

ثانيا : ما حدث فى افعال المقاربة جاء على خلاف الاصل ، اي ان هذه الكلمات كانت من هذه الناحية لا تنتسب الى الافعال المتصرفة .

ثالثا : قوله : « لكن المعرب .... التزمت فيها لفظ الماضى » يدل على ان افعال هذا الباب كانت تسير نحو حالة « الاداة » .

رابعا : « عسى » اكملت طريق التطور ، اذهى لا ترى حتى امكانية التصرف النظرية .

خامسا : بعض الافعال جاءت على صورة غير الماضى ، فهى بهذا اقرب الى حالة « الفعلية » من سواها .

ولم يرد فى القرآن الكريم الا كلمات قليلة من الافعال السابقة وهى : شرع ، انشا ، خلق ، اقبل ، كاد ، طفق ، عسى .

والكلمات الثلاث الاولى استعملت افعالا تامة

---

1) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر ؛ همع الهوامع ـ ط 129 ، القاهرة ، مطبعة السعادة ؛ 1909 ، يوسف السودا الاحرفية ـ 62 ، 63 بيروت ؛ دار ريحان .

2) ابو حيان ، محمد بن يوسف بن على ، منهج السالك ـ 67 ، نيويورك 1947 .

3) منهج السالك ـ 70 ، انظر ايضا همع الهوامع ط ـ 129 .

متصرفة محافظة على معناها الفعلي اي الدلالة على الزمن والحدث ·

اما « اقبل » فلم ترد الا ماضية ، وقد استعملت تامة وناقصة من امثلتها تامة قوله تعالى : « فاقبلت امراته فى صرة » (1) « قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون» (2) ومن امثلتها ناقصة : « واقبل بعضهم على بعض يتساءلون » (3) ، « فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون » (4) ·

اما « كاد » فوردت متصرفة ناقصة فقط ، قال تعالى : « قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » (5) ، « يكاد زيتها يضيء » (6) « ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين » (7) ·

و « طفق » وردت غير متصرفة ناقصة ، لكن علامة المثنى قد لحقت بها ، قال تعالى : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (8) كما وردت مع الخبر المنصوب مرة فى قوله تعالى : « فطفق مسحا بالسوق والاعناب » (9) ·

وقد اول النحاة الآية الاخيرة على ان الخبر محذوف للعلم به اي « يمسح » لدلالة المصدر وبعض النحاة وهو مصعب الخشني ذهب الى ان الخبر ورد اسما مفردا تنبيها على الاصل المتروك (10)

اي ان الاصل ان يكون خبر هذه الافعال مفردا منصوبا ، ولكن الاستعمال ورد بخلاف ذلك ·

وكان ان + الفعل المضارع هى الصورة الكلامية الوحيدة المستعملة رغم انها تعد من الناحية النظرية معادلة لصورة اخرى قياسية غير مستعملة ·

وهذا الرجوع الى « الاصل المتروك (كيفه)) ابن جنى « بانه » مما يقوي فى القياس ويضعف فى الاستعمال او يخطر فى السماع » (10))

والقياس الذى يعنيه ((ابن جني))هو مسلمة مجردة توصل اليها النحاة من دراستهم لكثير من الجمل، ولكن هذه المسلمة مرفوضة ·

اولا : لا يسلم ان الاصل فى الاخبار ان تكون مفردة منصوبة ، فتراكيب اللغة مليئة بالاخبار غير المفردة ·

ثانيا : على فرض التسليم بهذه المسلمة فى غير «افعال المقاربة» لا يسلم بها مع افعال المقاربة ،لان السماع والقياس المؤسس على هذا السماع ان تكون اخبارها مضارعة ·

وارى ان لافرق بين «طفق» مع المضارع ، وبينها مع المصدر فى الآية السابقة ، فالمعنى واحدولعل استعمالها مع المضارع ومع المصدر يشبه ما عليه اللغة الانجليزية حين تستعمل الفعل المساعد مع الـ infinitive ومع الـ gerund الذى يقابل المصدر فى اللغة العربية ـ فقولك طفق يلعب تساوى he began to play وقولك طفق لعبا تساوى he began playing اما الكلمة الاخيرة « عسى » فقد وردت غير متصرفة ناقصة ، لم تتصل بها علامة تانيث او عدد ـ غالبا ـ ·

فافعال المقاربة مرت بالمراحل التالية ـ كما تبدو فى تراكيب القرآن الكريم ـ

اولا : افعال تامة متصرفة

ذات دلالة على الحدث والزمن
« خلق ـ انشا ـ شرع »

ثانيا : افعال تامة او ناقصة ماضية فقط
تدل على الحدث والزمن
« اقبل »

ثالثا : افعال ناقصة متصرفة

تفقد وحدها الدلالة على الزمن والحدث
« كاد »

رابعا : افعال ناقصة غير متصرفة
تفقد وحدها الدلالة على الزمن والحدث
مثل « طفق »

---

1) الذاريات ـ 29 ، (2) يوسف ـ 71 ، (3) الصافات ـ 27 ، 50 ، الطور ـ 25 ، (4) القلم 30 ، (5) البقرة ـ71 ، (6) النور ـ 35 ، (7) الزخرف 52 ، (8) الاعراف ـ 22 ، (9) ص ـ 33 ، (10) ثعلب ابو العباس احمد بن يحيى، مجالس ثعلب ق1 ج 2095، القاهرة ، دار المعارف ، 1948 ، ابن الانباري ، كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، اسرار العربية ـ 53 ، ليدن 1886 ، همع الهوامع ج 1 ـ 131 ·

(10) ابن جنى ، ابو الفتح عثمان ، الخصائص ـ ج 1 ـ 97·98 ، القاهرة ، دار الكتب 1952 ·

خامسا : كلمات ناقصة غير متصرفة
لا تدل على حدث ولا زمن
« عسى »

لا تلحقها علامة (العدد والجنس غالبا)

واذا تتبعنا حالات الكلمات الناقصة الثلاث « كاد وطفق ، وعسى » — كما تتضح من هذا العرض — نرى انها كانت تسير فى طريق التطور نحو الاداة ، فكاد فعل متصرف ، وطفق فعل غير متصرف وعسى غير متصرف والفرق بين طفق وعسى هو ان طفق قد تلحق به علامة تثنية ، بخلاف « عسى » الذي يستعمل على صورة واحدة غالبا ، اي ان هذه الكلمات كانت تفقد خواص الفعل شيئا فشيئا .

ولكن تصرف (كاد) يجعل قرابتها للافعال — ولو من الجانب الشكلى — اقوى من قرابتها للادوات الجامدة ، و(طفق) اقرب الى «الحرفية» منها الى «الفعلية» لانها غير متصرفة .

اما سر اقتصار العرب على صيغة الماضى لهذه متصرفة لا تلحق بها اية علامة تشير الى عدد او نوع المرفوع بعدها ، ومن هنا فقد شبهوها بلعل التى هى اداة بلا خلاف . (1)

والضمائر التى قد تلحق « عسى » لا تبعدها فى نظر بعضهم عن حالة «الحرفية» اذ ان الضمائر اتصلت بها لشبهها بالفعل فى كونها على ثلاثة (2) .

اما سر اقتصار العرب على صيغة الماضى لهذه الكلمات فهو ان المتكلمين العرب قصدوا الى ان يصفوا الحدث قبيل حدوثه مباشرة ، والتعبير عن مقاربة حصوله الوشيكة حتى ليظن القارىء او المستمع ان الفعل قد حدث « فعلا » او التعبير عن الحدث الذي يحدث فى الحاضر ، لكنه كان قد بدا منذ لحظات . ولذا نجد هذه الافعال الماضية ترد دائما كى تقرر هذه الحال بالنسبة لافعال مضارعة .

وتصرف « كاد » بمجيء المضارع منها يمثل حالة هذه الكلمات فى مرحلة مبكرة للغة حين كان لكل فعل صيغ فعلية مختلفة ، فهى بهذا اقرب الى « الفعلية » — كما قلت سابقا — .

والكلمات الناقصة التى احتفظ بها القرآن الكريم من هذه الكلمات وهى « كاد » — طفق — عسى » لا دلالة لها على الزمن فى حد ذاتها ولكن دلالتها على الزمن تظهر حين توضع فى جملة ذات افعال مضارعة ، فهى دلالة تركيبية اذن ، لانها لا تظهر الا فى تركيب وهذا منحى آخر من مناحى اعتبار هذه الكلمات من الادوات.

ومن الناحية التركيبية ايضا نرى هذه الكلمات لا تكتفى بالاسم المرفوع بعدها شان بقية الافعال بل تحتاج الى الفعل المضارع كى يتضح معناها — وهو — الامر الذي جعل الاقدمين يجعلونها من الافعال الناقصة — وهذه السمة تقربها من الاداة وتبعدها عن «الفعلية».

وقد قسمت افعال هذا الباب الى ثلاثة اقسام من حيث اقتران خبرها المضارع بان وعدمه ، فهناك افعال يجب فيها اقتران خبرها بان ، واخرى يمتنع معها الاقتران ، وثالثة يجوز معها الاقتران : الاقتران وعدمه .

ويوازي هذا التقسيم الثلاثى تصنيف ثلاثى ايضا يتعلق بدلالة هذه الافعال فى جملتها .

فعلى الرغم من ان هذه الافعال سميت « افعال المقاربة » فانها كلها لا تعنى المقاربة ، بل ان بعضها يدل على المقاربة ، وبعضها يدل على الشروع ، وقسم ثالث منها يدل على التوقع .

وكان تسميتها افعال المقاربة تسمية للكل باسم البعض — كما يقولون —

والطريف ان القرآن الكريم احتفظ لكل قسم من الاقسام الدلالية الثلاثة السابقة بكلمة تمثله فاحتفظ بكاد التى تعبر عن مقاربة الحصول واستغنى عن كل اخواتها ، كما احتفظ بطفق التى تعبر عن الشروع فى الفعل الذى بدا منذ وقت قصير جدا ، وبعسى التى تعبر عن توقع حدوث الفعل .

واذا حاولنا تصنيف دلالات هذه الكلمات على الزمان حسب التصنيف الزمنى المعروف فنرى ان :

1 — طفق + الفعل المضارع تنتسبان الى الماضى
2 — كاد + الفعل المضارع تنتسبان الى الحاضر
3 — عسى + الفعل المضارع تنتسبان الى المستقبل

---

1) حاشية الامير على مغنى اللبيب ج 1 — 132، القاهرة ، المطبعة الازهرية 1928
2) منهج السالك — 71

وكان القرآن حين احتفظ بهذه الكلمات الثلاث لاداء الوظائف السابقة ، كان يحتفظ بما يدل على الاحتمالات الزمنية الثلاث ، وبعبارة اخرى يلاحظ ان هذه الكلمات تساعد الفعل المضارع على الاتصاف بالدلالة الزمنية المعينة فهى — اذن — كلمات مساعدة .

فالفعل المضارع « يلعب — يحتمل « الحاضر » و«المستقبل» بصفته ، وبتركيبه مع كاد : كاد يلعب يفيد الحضور وبتركيبه مع عسى : عسى يلعب يفيد الاستقبال ، وبتركيبه مع طفق : طفق يلعب يفيد الماضى .

وواضح من الشرح السابق ان لون الدلالة — ان صح اطلاق كلمة لون هنا — مع كاد وعسى عبارة عن « تخصيص » المضارع كى يعبر عن الزمن المعين حاضر او مستقبل ، اما لونها مع طفق فعبارة عن « تحويل » المضارع كى يعبر عن الزمن الماضى .

واذا كانت هذه الكلمات تساعد المضارع على التعبير عن الجهة الزمنية المعينة ، فانى اقترح ادراجها ضمن ادوات الجهة وهو المصطلح الذي يشمل كل الادوات التى تساعد الفعل على اعطاء الدلالة الزمنية المعينة ، فعسى مثلا تنهض باداء الوظيفة التى تقوم بها السين التى هى اداة بالاتفاق .

صحيح ان هذه الكلمات « كاد ، عسى ، طفق » تطلب مرفوعا يقع قبل المضارع حقيقة او حكما ، ولكن هذا لا يمنع من ان نتعبرها داخلة على المضارع على ان يفهم الدخول هنا بمعناه العام الذي يدل عليه السياق ، اي ان هذه الكلمات تاتى فى سياق الفعل المضارع .

وقد يبدو ان هناك تناقضا بين الاسم العام الذي يجمع هذه الكلمات وغيرها « ادوات الجهة» والاسم الخاص الذي اعطى لهذه الكلمات « افعال المقاربة ».

والدافع لى وراء ادراج هذه الكلمات ضمن « ادوات الجهة » ان هذه الكلمات — رغم كونها افعالا — تقوم بوظيفة الادوات ، وعلم اللغة التركيبى يعنى بدراسة الكلمات من حيث ما تؤديه من وظائف وقد يتناسى ما تدل عليه من معنى ، او قد يتجاهل خصائصها الشكلية .

وجمعا لطرفى الظاهرة الواحدة فى مصطلح واحد اقترح تسمية افعال المقاربة « الادوات الفعلية » .

فهى « فعلية » لان صفتها فعلية ، كما انها تبنى على الفتح ، ويلحق بها علامة التانيث كما ان بعضها متصرف .

وهى «ادوات» لان بعضها جامد يكاد يقرب من الحرف ، كما ان معناها لا يظهر الا فيما بعدها ، فقد سبق انها تساعد المضارع على اكتساب الدلالة الزمنية المعينة فلها — كما يقول سيبويه — ، نحو ليس لغيرها من الافعال» (1)

بعبارة اخرى ، هذه الكلمات تتسم بسمة الافعال «حرفا» لكنها تسلك سلوك الادوات «تركيبا» فهى ليست اداة خالصة لاخذها الشكل الفعلى ، وتتصرف بعضها ولكنها «اداة فعلية» .

وهكذا يرينا ما عليه هذه الكلمات فى القرآن الكريم ان تراكيب القرآن تمثل مرحلة تطورية فى حياة اللغة العربية ، فالعدد الجم من « افعال المقاربة » — كما سرده النحاة القدماء من تتبعهم كلام العرب — لم يرد منه فى القرآن الكريم الا سبعة افعال .

ويبدو ان المتكلمين العرب كانوا قد بداوا قبيل نزول القرآن ينصرفون عن هذه الطريقة اقصد تركيب افعال المقاربة — شيئا فشيئا — بدليل ان ثلاثة افعال من هذه السبعة استعملت فى القرآن استعمال الفعل فهى تامة متصرفة ذات دلالة زمنية ، والافعال الاخرى الباقية كانت تتجه الى ان تصبح «ادوات» فارتنا تناولات متفاوتة عن سمات الافعال — على ما سبق بيانه — .

وانوه هنا بمنطقية لغة القرآن الكريم واتساقها فى الاداء فقد سبق بيان احتفاظ القرآن الكريم بكلمة واحدة لكل قسم دلالى من اقسام هذه الكلمات الثلاثة، فحافظ بهذا على هذه الطريقة التركيبية وكتب لها الابدية فى لسان العربية .

---

(1) الكتاب ج 1 — 479 .

المراجع :

1 ــ القرآن الكريم

2 ــ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)
الكتاب ــ القاهرة ، المطبعة الاميرية 1898

3 ــ ثعلب ، أبو العباس احمد بن يحيى
مجالس ثعلب ــ القاهــرة ، دار المعارف 1848

4 ــ ابن جنى ، أبو الفتح عثمان
الخصائص ، القاهرة ، دار الكتب 1952

5 ــ ابن الانبارى ، كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد
اسرار العربية • ليدن 1886

6 ــ أبو حيان ، محمد بن يوسف بن على
منهج السالك ، نيويورك 1947

7 ــ السيوطى، جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر
همع الهوامع ، القاهرة ، مطبعة السعادة 1909

8 ــ حاشية الامير على مغنى اللبيب ، القاهرة ، المطبعة الازهرية 1928

9 ــ يوسف السودا
الاحرفية ــ بيروت ، دار ريحان •

الصدور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة

الدكتور : محمد رشاد الحمزاوى

من القضايا النظرية والتطبيقية التى ما انفكت تعترض سبيل المثقفين العرب المحدثين من علميين ولغويين ومترجمين قضية الصدور واللواحق Préfixes et suffixes (1) التى ترد بكثرة فى اللغات الأندواوربية التى تنقل عنها العربية مصطلحات العلوم والفنون ونخص بالذكر من تلك اللغات اللغتين الانكليزية والفرنسية لانهما تستندان أغلب صدورهما ولواحقهما من اللغتين اليونانية واللاتينية .

فالقضية على غاية من الاهمية بقدر ما نعلم ان العربية ، وهى لغة سامية ، لا تستعمل من الصدور واللواحق الا القليل المات (2) . وتزداد هذه القضية أهمية ان اعتبرنا جهود مثقفى القرن التاسع عشر والقرن العشرين فى سبيل حلها .

فقد دارت فى شأنها مناقشات ومحاورات يطول شرحها . واشتغل بها كثير من اهل الادب واللغة والعلوم منهم رفاعة رفعت الطهطاوى ، وهو مصرى (توفى 1873) فى كتابه المترجم **قلائد المفاخر فى اخلاق بلاد اوربا** (3) والشيخ الطاهر الجزائرى المقيم بسوريا (توفى 1920) فى كتابه **التقريب فى اصول التعريب** (4) **ويعقوب صروف** ، وهو لبنانى (توفى 1927) فى **المقتطف** (5). والشيخ أحمد الاسكندرى وهو مصرى (توفى 1938) فى مجلة **مجمع اللغة العربية** (6) . والشيخ عبد القادر المغربى ، وهو تونسى الاصل (توفى 1956) فى كتابه **الاشتقاق والتعريب** (7) . والامير مصطفى الشهابى ، وهو سورى (توفى 1970) فى كتابه **المصطلحات العلمية والفنية** (8) . ومجمع اللغة فى

---

(1) يطلق على هذين الاسمين مصطلحات اخرى من ذلك : سوابق ولواحق ، تتويج وتذييل ، الزيادات ، الاحشاء الخ . وهى مصطلحات سنبرزها فى معجمنا « المصطلحات اللغوية العربية الحديثة » الذى سيطبع قريبا تحت اشراف قسم علم اللغة التابع لمعهد الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالجامعة التونسية .

(2) نجد آثار تلك الصدور واللواحق فى الصيغ الفعلية وفى بعض الاسماء والصفات من ذلك افعل واستفعل وضيفن وزرقم وعفريت . وهى تحتاج الى دراسة علمية ضافية تبرز خصائصها وامكانية استعمالها لمجابهة الصدور واللواحق الاوربية .

(3) رفاعة رفعت الطهطاوى ، **قلائد المفاخر فى اخلاق بلاد اوربا** ، القاهرة 1249/1834 ، 112ص وهو ترجمة لكتاب Depping «Mœurs et Usages des Nations»

(4) الشيخ الطاهر الجزائرى ، **التقريب فى اصول التعريب** .

(5) الشيخ عبد القادر المغربى : **الاشتقاق والتعريب** ، القاهرة 1947 ص

(6) الشيخ أحمد الاسكندرى : **اقتراحات اسماء عربية لمصطلحات كيميائية** ، مجلة مجمع اللغة 5/49 – 57

(7) الشيخ عبد القادر المغربى : **الاشتقاق والتعريب** الطبعة الثانية ، 150 ص

(8) مصطفى الشهابى : **المصطلحات العلمية والفنية فى العربية فى القديم والحديث** الطبعة الثانية ، دمشق 1965 ، 218 ص .

مجموعة القرارات العلمية والفنية (9) ·
ومجموعات المصطلحات العلمية والفنية (10) ·
ومجموع مشاريع المعاجم التي جمع مادتها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط (11) · وقد عرض هذا المكتب مصطلحات تلك المشاريع على المؤتمر الثاني للتعريب المنعقد بالجزائر من 12 الى 20 ديسمبر 1973 ·

فلقد وقف زعامة الطهطاوي والشيخ الطاهر الجزائري ويعقوب صروف والشيخ عبد القادر المغربي من القضية موقفا علميا متفتحا دون أن يعالجوا مظاهرها الفنية البحتة أي باعتبارها تكون مشكلا خاصا · فلقد ادمجوها في باب عام وهو باب التعريب بمعناه الضيق أي نقل الاسماء الاعجمية الى العربية حسبما عبر عنه ذلك الجوهري سابقا وهو « وتعريب الاسم الاعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها » (12) · أما الشيخ أحمد الاسكندري فلقد قاوم التعريب مقاومة « العدو الازرق » حسب تعبير مصطفى الشهابي واستعاض عنه بترجمات عربية لمصطلحات كيمائية وفيزيائية (13) · أقل ما يقال فيها أنها لم تستعمل ولم يكتب لها الشيوع في الخاص ولا في العام ·

فلم تنفصل القضية عن باب التعريب العام الا في كتاب مصطفى الشهابي وفي مداولات مجمع اللغة العربية · فلقد وضع المجمع في شأنها قواعد منها سبع تتعلق بالصدور (a) و (an).

(Megalo), (Mega), (Macro), (Hypo), (Hyper).
أما اللواحق فلقد وضع لها تسع قواعد وهي (Mètre), (Like), (ium), (Forme), (graphe), (gene), (Able) و (Scope), (oide). (14) ولقد بينا في بحثنا « مجمع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله » (15) أن المجمع المذكور قد تجاوز في أعماله التطبيقية تلك القواعد النظرية واستعمل سبعة وثلاثين صدرا وثلاثين لاحقة جديدة زيادة على الصدور واللواحق المذكورة في قراراته الرسمية · فترجمها وعربها بطرق مختلفة سعينا الى وصفها وتحليلها وتصنيفها بغية استخلاص بعض القواعد العامة منها.

أما مصطفى الشهابي فانه اعتمد ما وضعه مجمع اللغة مبرزا مبدأ عاما مهما جدا مفاده أنه بقدر ما يجب ترجمة تلك الصدور واللواحق في جل العلوم ، يجب أن تعرب بحذافيرها في بعض العلوم لا سيما في الكيمياء (16) · واعتبارا لدراستنا السابقة في الموضوع رأينا من المفيد أن نعالج القضية في ميدان جديد آخر يعتمد ما جمعه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط من مصطلحات لا سيما وأن مصطلحاته تعتبر أحسن وثيقة لدرس هذه القضية درسا شاملا لانه يبدو أن المكتب المذكور قد جمع في قواميسه العلمية المتنوعة مختلف الطرق التي استعملتها الهيئات والجامعات والعلماء في الاقطار العربية لحل هذه القضية · ولقد تمرنا عملنا هذا على قاموسي

---

(9) مجمع اللغة العربية بالقاهرة . **مجموعات القرارات العلمية والفنية** · القاهرة 1962 · 201 ص

(10) مجمع اللغة العربية بالقاهرة · **مجموعات المصطلحات العلمية والفنية** · 10 أجزاء من 1957 الى 1968 ·

(11) المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي · مطبعة فضالة · الرباط 1973 وهي معروضة في شكل مشروعات معاجم في الكيمياء والحيوان والجيولوجيا الخ ·

(12) الجوهري · الصحاح 179/2 من تحقيق عبد الغفار عطار ــ طبعة دار الكتاب العربي بمصر

(13) انظر حاشية 6 ·

(14) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، **مجموعة القرارات العلمية والفنية** . ص 70 ــ 79

(15) محمد رشاد الحمزاوي L'Académie Arabe du Caire ; Histoire et Œuvre · Tunis 1972 (dactylographiée) ; en cours d'Impression مرقونة وهي تحت الطبع) ص 487 ــ 518 ·

(16) مصطفى الشهابي : **مدى التعريب** . بحوث ومحاضرات مجمع اللغة العربية (1959 ــ 1960) ص 131 ــ 114 وتعقب المقال مناقشات بين أعضاء المجمع ·

الفيزياء والكيمياء (17) . الذين هيأهما المكتب الدائم وجمع مصطلحاتهما .

ان المحاولة التي نقوم بها محاولة تجريبية نسبية غايتها منهجية ونعنى بذلك استقراء الطرق العلمية المختلفة المستعملة في القاموسين المذكورين للتعبير عن تلك الصدور واللواحق علنا نفوز ببعض الظواهر المشتركة التي تسمح لنا بوضع قواعد عامة في شأنها لانه يحسن بنا علميا أن نقف من حين الى آخر وقفة تأمل من انتاجنا العلمي اللغوي لنهذبه ونستجلي أمره ونتخلص من فوضى مواده الكثيرة التي تشعبت طرق وضعها بعامل الحاجة الملحة والظروف القاهرة منها خاصة الشوق الى اللحاق بركب الحضارة في ميدان العلوم والفنون ومصطلحاتها .

فلقد لاحظنا في استقرائنا لمصطلحات المكتب الدائم وجود ستة وخمسين صدرا وسبع واربعين لاحقة صنفناها ورتبناها ترتيبا النبائيا أعجميا مع مقابلها العربي كما يظهر ذلك في اللوحات التابعة لهذه المحاولة . ولقد تعلقنا باستقراء الامثلة التي يظهر فيها اختلاف اذ منها ما هو ناتج عن الاضطراب والتشويش منها ما هو ولد الضرورة .

ولقد مكنتنا اللوحات المعنية بالامر من ابداء الملاحظات التالية :

الملاحظة الاولى : ان الصدور واللواحق المستقراة تشابه في نسبة 60 ٪ الصدور واللواحق التي استقريناها من مصطلحات مجمع اللغة العربية .

وهذا مظهر سيفيدنا عندما ننظر في طرق معالجة تضيتنا في مستوى الهيئات العلمية العربية .

الملاحظة الثانية : ان الصدور واللواحق المستقراة لا تشمل كل الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية المتعارفة . فلم نجد منها في مصطلحات المكتب الدائم الا ما فرضته الحاجة الملحة . فلم تفكر هيأة عربية أو باحث عربي في دراسة هذا الموضوع دراسة خاصة تستوجب العناية بها والتعمق فيها بغية استخراج مبادىء عامة منها يمكن ترويجها بعد الاتفاق عليها فتصبح وسيلة من وسائل العمل المشتركة بين جميع الهيئات العربية المختلفة مثلما هو الشان في قضية الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية في المحافل العلمية الغربية .

الملاحظة الثالثة : ان الترجمة غالبة في الصدور الستة والخمسين فلا نجد منها الا أربعة دخيلة وهي كيلو (Kilo) في كيلو سعر (Kilo-calorie) (18) مغ (Mag) في مغنطرون (Maghnetron) (19) ميكرو (Micro) في ميكروفاراد (Microfarad) (20) ملي (Milli) في ملي أمتر (Milliormmeter) (21) أو ملي أمبيرميتر ou Milliampemetre

وفيما من أصناف الترجمة والتعريب ما يبلغ أحد عشر صدرا من ذلك :

(اللا/الا) في اللا استجمية واللانقطية والاستكماتزم (22) (Astigmatisme) (مضاد/أنتي) في مضاد الكلور (Antichlore) وفي انتيمونيات (23) Hemo Antimoniat (يحمور ؛ خضاب/هيمو) في

---

(17) **المكتب الدائم لتنسيق التعريب . مشروع معجم الكيمياء** ، 350 ص وهو يحوى 3290 مصطلحا **ومشروع معجم الفيزياء والطبيعة** ، 494 ص وهو يحوى 5050 مصطلحا . ولقد اشرنا الى الكيمياء برمز (ك) والفيزياء برمز (ف) في حواشينا الآتية :
نعنى بالدخيل ما يعبر عنه بالفرنسية بـ Emprunt Intégral الكلمات الاعجمية التي تدخل العربية دون أن تخضع لأوزانها . وذلك ما يعنيه أبو حيان الاندلسي

(18) ف/244
(19) ف/273
(20) ف/284
(21) ف/285
نعنى بالتعريب أو المعرب خاصة ما يعبر عنه بالفرنسية بـ Emprunt Intégré
أي الكلمات التي تدخل العربية فتخضع لاوزانها. وذلك ما يعنيه الجواليقي في كتابه « المعرب ».
(22) ف/27
(23) ف/46 — 47

يحمور الـدم وخضاب الـدم وهيمو كلوبين (24) (Hydro Hemoglobine)(24) (اماهه.../هيدرو) فى اماهة ـ حلماة ـ تميه (25) (Hydratation)

هيدرو ماغنيسيت (Hydromagnesite)

Macro (أكبر/مكرو) فى الجزئى الاكبر Macro-molecele (26) وفى الميكروفيزيا (Macrophysique)

Mega (مضخم/ميغـا) فى مضخم الصوت أو ميغافـون (Megaphone) (27)

Meta (مؤقت . . ./ميتا) فى مؤقت الاستقرار ـ شبه مستقـر Métastable (28) ما وراء الثابت ـ نصف مستقر وفى حامض الميتافوسفوريك acide métaphosphorique

Para (متـوازى/باراوى) فى مغناطيسى متوازى وباراوى مغناطيسى) (Paramagnetique) (29)

Per (فوق/بر) فى فـوق كلورات وبركلورات (30) Perchlorate)

Poly (تركيب/بـلـ بـا) فى تلمرية شاكليـة تركيبيـة (Polymerisme) (31)

وفى بلمـرات (Polymeres)

Super (فوق/سوبر) فى سوبرفسفاط (Superphosphate) (32)

وفى فوق التشبع (Supersaturation)

فالمعربات تمثل بصفة عامة الثلث تقريبا من مجموع الصدور المعنية بالامر فى بحثنا هذا ان لم نعتبر ما جاء منها من انصاف الترجمات اما فيما يتعلق باللواحق فانها تنزع خلافا للصدور ، الى الدخيـل والتعريب فى أغلب الحالات لاننا نلاحظ أن الدخيل منها يشمل خمس عشرة حالة من ذلك :

Ane (آن) فى بوتان (Buthane)

وايثان (Ethane) (33)

ates - ate (آت) فى كرومات الاموتيوم (Chromate d'ammomunim)

وفى منجنيات ومنغنيات (Manganates) (34)

ème (يـم) فى راسيم (Racème) (35)

forme (فورم) فى يود وفورم iodoforme (36)

gel (جيل) فى هيدروجيل (Hydrogel) (37)

gene (جين) فى كازينوجين (cassinogene)

وفى هيدروجين (Hydrogene) (38)

hyde (هيد) فى أسيتالدهيد (Acetaldehyde) (39)

Ia (يـا) فى أمونيا (Ammonia) (40)

Ique (يكا) فى علم الاستاتيكا الهوائية (Aerostatique) (41)

فى دايا كوستيكا (Diacaustique)

فى حامض الفوسفوريك (Acide phosphorique)

Ine (ين) فى بنزيـن (Benzine) (42)

Ium (يوم/يا/ين) فى كادميوم (Cadmium)

وفى الومنيا (Aluminium) (43)

وفى سيلينيوم وسيلين (Selenium)

lyte (ليت) فى البخار الالكتروليتى (gaz électrolytique) (44)

ous (eux - ere) وز/أوى) فى سيليكاوى (Siliciferous, Silicifère) (45)

Tron (ترون) فى بيتاترون (Betatron) (46)

Um (on : ale) (م/ين) فى الاندم (Alundum ; Alundon)

فى بلاتين (Platinium, Platine) (47)

فى تنتـالـم (Tantalum, Tantale)

---

(24) ص/189
(25) ص/195
(26) ف/266
(27) ف/281
(28) ص/230
(30) ص/260
(31) ص/274
(32) ص/325 ، 336
(33) ص/83 ، 165
(34) ص/41 ، 225
(35) ص/287
(36) ص/206
(37) ص/196
(38) ص/93 ، 197
(39) ص/5
(40) ص/38
(41) ص/11 ، 12 ، 113
(42) ص/67
(43) ص/54 ، 34 ، 307
(44) ص/155
(45) ص/310
(46) ف/44
(47) ص/36 ، 271 ، 328

أما الامثلة المتناسقة ترجمة وتعريبا فهي تبلغ اربع عشرة لاحقة ، من ذلك :

eux (ous) (نفيذ/وز) فى نفيذ Poreux

وحامض الزنيخوز (Acide arsenieux) (Arsenious acid) Graphe

(مقياس/غراف،جراف) فى بارو جراف وباروغراف (Barographe)

وفى مقياس طيف الكتلة (Spectrographe de masse) (49)

ure (مركب/يد ، ين ، آت ، ور) فى

أسيتيد أميد (Acetamide) (50)

وفى زرنخيد ومركب الزرنيخ (Arsenide : Arseniure)

وفى كربيد (carbide : carbure)

وفى جلسرين وغليسرين (glyceride)

وفى اللانثاميدات (Lanthamides)

وفى كبريتيدوكبريتور (Sulphide, Sulfure)

ine (وم/ين ، آت) فى استامين (Acetamine) (51)

وفى بروم/برومين (Bromine)

وفى بروتينات (Proteines)

isme (ية/زم) فى المغنطيسية الحديدية المضادة (Antiferrimagnetisme)

وفى الاستكماتزم (Astigmatisme) (52)

ite (حجر . . ./يت) فى حجر الشب/الومينيت (Aluminite) (53)

Metre (مقياس عداد/متر) فى عداد الغاز ، مقياس الغاز ، مغواز (gazometre) (54)

وفى اميتر او امبيرميتر (Ammeter : Ampermetre)

oide (وى/وانى/شد/ويد) فى محلول غروى وغراوانى (Solution colloidale)

وفى سليولويد (Celluloide) (55)

وفى غراوانى وشبغرى (Colloide)

oine (عقيق/وان) فى عقيق ابيض وكلسدوان (Calcedoine : Chalcedony)

one (ones) (خلوان/ون ، آت) فى اسيتون او خلون وفى فلوردات الكربون (Fluorocarbons : Fluor de carbone)

وفى هرمونات (Hormones)

ose (oses) (خلية/وز ، آت) فى سيلولوز/خلووز/خليوز (Cellulose) وفى هكسوزارت (Hexoses) (58)

(eux - ere) (eux (انظر) ous (59)

Scope (كاسف ، كشاف ، مكشاف مجسم/سكوب) فى كاشف او كشاف او مكشاف كهربائى (Electroscope) (60)

وفى مجسم الصدر او ستريوسكوب (Streoscope)

Stat مثبت/ستة) فى مثبت حرارى او ترمو ستة (Thermostat) (61)

نستخلص من اللواحق المستقراة عكس ما استخلصناه من الصدور السابقة الذكر اى ان المعرب والدخيل من اللواحق يكاد يبلغ النصف / 29 / من مجموع / 47 / لاحقة ان لم نعتبر ما جاء منها من انصاف الترجمات . وذلك يؤيد المبدا الذى دعا اليه مصطفى الشهابى القائل بالتعريب فى الكيمياء خاصة وبالترجمة والتعريب فى العلوم الاخرى وان لم نقسم مبداه هذا على دراسة احصائية بل على تخمين فضلا عن انه لم يشر الى غلبة التعريب فى اللواحق اكثر منه فى الصدور مثلما يدل عليه استقراؤنا . وتعليل ذلك يسير لان العربية مضطرة الى تعريب اللواحق بكثرة لانها تؤدى وظيفة تمييزية تسمح بالتمييز بين مختلف العناصر الكيماوية التى تكاثرت وتنوعت حتى اصبح من الضرورى تمييز خصائصها باللواحق لا سيما اذا تشابهت اصولها مثل ferrique ferreux

لكن لابد لنا ان نحترز من هذه النتيجة ان اعتبرنا ما يلحق المبدا المذكور اعلاه من اضطراب فى مستوى التطبيق وذلك ما عسانا ان نبينه فى الملاحظة التالية :

الملاحظة الرابعة : انها تشير الى الاضطراب

---

(48) ص/9

(49) ص/39 ، 424

(50) ص/5 ، 51 ، 90 ، 186 ، 214 ، 331

(51) ص/5 ، 80 ، 280

(52) فـ/21 ، 27

(53) ص/34

(54) ف/14 ، 191

(55) ف/76 ، 96 ، ص/111

(56) ص/98

(57) ص/6 ، 179 ، 194

(58) ص/43 ، 193

(59) ص/9 ، 310 ، 347

(60) فـ/151 ، 435

(61) فـ/457

الـذى يلاحظ فى استعمال المصدر الواحـد أو اللاحقة الواحدة فى نفس الكلمة التى ترد مترجمة فى الفيزيـاء ومعربة فى الكيميـاء مثلا اللا نقطيـة ؛ الـلا استجميـة الاستكمـاتـزم (Astigmatisme)
(62) الاستكماتـزم (Astigmatisme) (63)

ويلحق بهذه الملاحظة الرابعة ترجمة المصدر الواحد أو اللاحقـة الواحدة فى نفس الكلـمة بطريقة تختلف بحسب الفيزيا أو الكيميا . من ذلك
Deformation = تشويه ، انبعاج (64) Deformation
= عيب شكلى (65)
Degeneration انحطاط انحلال (65) Degeneration
= فسـاد (66)
Dehydration = نـزع المـاء (67) Dehydration
= اخراج ، انتزاع ، = تخفيف الماء (68)
Heterogene = غير متجانس متغاير (69) Heterogene
= غير متجانس (70)
Etat metastable = حالة شبه استقرار (71) Metastable
= مؤقت الاستقرار ، شبه مستقر (72)
ما وراء الثابت ، نصف مستقر

ونلاحظ من جهة أخـرى اختلاف تعريب نفس اللاحقة مثلا فى العلم الواحد مثلما هو الشان فى الكيمياء . تدل على ذلك اللاحقة (ique)
Acide phosphorique = حامض الفسفور (73)
Acide metaphospherique
= حامض الميتافوسفوريك (74)

الاختلاف فى الرسم .

الملاحظة الخامسة : استعمال صيغ عربية مختلفة فى نفس الكلمات المترجمة تختلف باختلاف العلوم . من ذلـك :

تفعيل ، انفعال (تشويه ، انبعاج) لتأدية (Deformation) (76)
فعل (عيب شكلى) لتأدية Deformation) (77)
فعل (نـزع الماء) لتأدية (Dehydration) (78)
افتعال (انتزاع الماء) لتأدية Dehydration) (79)

والامثلة من هذا النوع كثيرة جدا لم نقـدم منها الا بعض العينات

الملاحظة السادسة : استعمال مصدر عربى واحـد أو لاحقة عربية واحدة للتعبير عن مصدور ولواحق أوربية مختلفة من ذلك :

— آلى تعبر عن الصدرين — auto — و — ré —
فى محول آلى Auto transformateur (80)
وفى مقـوم (Redresseur) (81)
— ذو/ذات تعبر عن - bi- — و — iso- — و
— Mono- — و — Penta-, — و — Uni-
فى الامثلة التاليـة مرحـل ذو معدنين/ذو ملزين
relai bimetal (82)
ذو لون واحد Isochromatique (83)
ذات الوتر الواحد Monochorde (84)
ذو الخمـس Corps pentavlent : Pentard (85)
الكترومتر ذو الخيط المفرد Electromètre Unifilaire (86)

ونلاحظ فى هذا الصدد أن المصدر « لا » تـد

---

(62) ف/27
(63) ع/27
(64) ف/108
(65) ع/136
(66) ف/109
(67) ع/136
(68) ف/109
(69) ع/137
(70) ف/205
(71) ع/139
(72) ف/283
(73) ع/230
(74) ع/12
(75) ع/230
(76) ف/108
(77) ع/136
(78) ف/109
(79) ع/137
(80) ع/34
(81) ع/293
(82) ف/46
(83) ف/237
(84) ف/293
(85) ع/296
(86) ف/471

أصبح يعبر عن صدور كثيرة منها
(Anti ; An ; A ; Un ; Non ; In ; Asy ; Apo)
وهى ثمانية صدور .

فيما يتعلق بالالواحق نلاحظ ان/آت/تعبر عن -ones- و -oses- و -ate- و -ates- و -ides-

و -ines- و -one (ons)-

وهى ثمان أيضا مما تدل على ذلك الامثلة التالية :

-ate- كرومات الامونيوم Chromate d'ammonium (87)

-ates- منجنيات/منغنيات Manganates (88)

-ides- اللانثانيدات Lanthanides (89)

-ines- بروتينات Protéines (90)

-ons- فلوريدات الكربون
Fluorocarbons ; Fluor de carbone (91)

-ones- هرمونات Hormones (92)

-oses- هكسوزات Hexoses (93)

الملاحظة السابعة : تعريب الصدر أو اللاحقة بطريقتين مختلفتين . من ذلك :

ase عربت بـ « ايز » و « آز » فى أناتيز (Anatase) (94) ومولتازى (Maltase) (95)

عربت بـ « يد » و « ين »
اسيت آميد فى (Acetamide) (96)
وجلسرين/غليسرين (glyceride) (97)

الملاحظة الثامنة : ترجمة الصدر الواحد بطريقتين مختلفتين . من ذلك :

تحت الاحمر فى (Infra-rouge) (98)
وطيف دون الاحمر (Spectre Infra-rouge)

الملاحظة التاسعة : اعتماد اللواحق الانكليزية فى بعض الكلمات واللواحق الفرنسية فى كلمات أخرى . من ذلك :

حامض الزرنيخوز Acid (Arsenious)
وهو فى الفرنسية Acide Arsenieux (99)
الاندم (Alundum) وهو فى الفرنسية (Alandon) (100)
البلاتين (Platine) وهو فى الانكليزية (Platinum) (101)
تنتالم (Tantalum) وهو فى الفرنسية (Tantale) (102)

فما هى اسباب كل المعربات والترجمات السابقة ؟ أهى الفوضى وعدم التنسيق ؟ والملاحظة ان هذا لا يحمل على مكتب التنسيق الذى جمع كل الطرق المستعملة عند العلماء العرب المحدثين. فنلاحظ مثلا فيما جمع من المصطلحات وجود نزعة الى الاخذ بصدور ولواحق الانكليزية والفرنسية فى بعض الحالات . من ذلك :

كبريتير/كبريتد للتعبير عن Sulphide و (Sulfure) (103)

على أننا نجد من الامثلة ما يخالف لواحق اللغتين بتاتا دون أن نعلم سبب هذه المخالفة . من ذلك :

سيليكاوى للتعبير عن Silicifère و Siliciferous (104)

الملاحظة العاشرة : اختصار بعض اللواحق دون غيرها وذلك لاسباب غير واضحة . من ذلك .

الومنيوم/الومنيا Aluminium (105)
روبيد/روبيديوم Rubidium (106)
سيلينيوم/سيلين Solenium (107)

ومن شأن هذا الاختصار أن يخلط اللاحقة lum باللاحقة ine مثلا وهما تختلفان فى المعنى فينشأ عن ذلك زيادة فى الغموض والالتباس .

الملاحظة الحادية عشرة : استعمال كلمات عجيبة اختلط فيها حابل الاعجمية بنابل العربية فأتانا ذلك بكلمات ومصطلحات أقل ما يقال فيها أنها تدل على الاضطراب وفساد الذوق . ونرى من

---

(87) ع/41
(88) ع/225
(89) ع/214
(90) ع/280
(91) ع/179
(92) ع/194
(93) ع/44
(94) ع/44
(95) ع/244
(96) ع/186
(97) ع/186
(98) د/244
(99) د/9
(100) د/36
(101) ع/271
(102) ع/328
(103) ع/310
(104) ع/310
(105) ع/34
(106) ع/301
(107) ع/307

المفيد ان تعرب بتمامها حتى لا يساهم هذا النوع من المصطلحات فى تعقد المصطلح العلمى ونحن نورد من تلك الكلمات مثالين هامين وهما غير موجودين بمعجم المكتب الدائم . لكن مثيليهما موجودان فيه . وهما :

حمض الايدرو حديد وسيانيك (108)
(Acide hydroferracinique)

حمض الايدروكسيلين ثنائى السيلفونيك (109)
(Acide hydroxylamine disulphonique)

الملاحظة الثانية عشرة : تتمثل فى مصيبة الترادف التى نجدها فى صيغ المترجمات من ذلك أن anti يعبر عنها بـ : المضاد ، الضديد فى ضديد النيو ترينو (Anti-Neutrino) (110) ومضاد الكلور (Anti-chlore) (111) . فلقد تبدلت الصيغة من الفيزياء الى الكيمياء . فهل وقع ذلك عن قصد ؟ فان كان كذلك فما هى علته ؟ ويعبر عن (able) بـ : فاعل له ، فعيل ، فعول من ذلك أن Malleable ترجمت بـ : قابل للطرق وطريق وطروق (112)

أما المترادفات المعنوية فهى غالبة تكاد تقضى على كل عمل منظم منسق وان كانت المترادفات الواردة فى معجمى الفيزياء والكيمياء ليست مقصودة فى حد ذاتها بل تعتبر عرضا موضوعيا لكل مصطلحات الهيئات العلمية والعلماء ممن شاركوا فى وضع المصطلحات العلمية فى الاقطار العربية . لكن هذا المظهر لا يمنعنا من أن نلاحظ ان الهيئة الواحدة مثل مجمع اللغة العربية أو اتحاد المجامع أو المجمع العراقى لا تتحرج فى وضع مترادفين أو ثلاثة مثلما تشهد على ذلك الامثلة الكثيرة الواردة فى مشاريع المعاجم التى اقترحها مكتب التنسيق على مؤتمر التعريب الثانى .

واعتبارا لما سبق يجدر بنا أن نستخلص بعض المناهج العلمية لمجابهة هذه القضية مجابهة تتجنب كل ما من شأنه أن يؤول الى طريق التناحر والتمجيد بشراء العربية وتمجيده الامر الذى لا طائل وراءه ما لم يركز على دراسات علمية تؤيد ذلك التفاخر وتؤكد ذلك التمجيد . ولذلك فاننا نرى اولا ان تؤخذ جميع الاجراءات والوسائل لتشجيع مكتب التنسيق الدائم بارباط أن يستمر فى عمله وأن يجمع المصطلحات حتى يوفر للباحثين وثائق عمل مفيدة للغاية تمكننا من القاء نظرة شاملة على الطرق والمناهج العلمية فى الاقطار العربية فنستخلص منها قواعد عامة مشتركة بالاعتماد على الاطراد والشيوع .

وتكملة لذلك فانه ينبغى أن توجه الجهود لحل هذه القضية الى وجهتين (أ) ان تستقرا كل الصدور واللواحق العربية القديمة الموروثة عن اللغة السامية المشتركة وعن اللغات السامية المجاورة وعن اليونانية واللاتينية القديمتين حتى نتمكن من احصائها وتخصيصها عند الاقتضاء لتأدية الصدور واللواحق الاوربية . (ب) أما الوجهة الاخرى فهى تنحصر طبعا فى استقراء جميع الصدور واللواحق الاوربية من لغاتها ومقارنتها مع ما يوجد من العربية قديما وحديثا وذلك لوجود او لوضع مقابلات عربية قديمة أو حديثة يتفق عليها . ان القيام بهذه الاعمال حسب هذا المنهج كفيل بأن يسمح لنا بالوصول الى وضع قواعد قارة على ضوء دراسات علمية مقارنة . ولا بد ان نصل منها الى استنباط معايير وقواعد آلية عامة تطبق بانتظام حتى نضمن السرعة فى الترجمة .

وليس هذا العمل بعسير اذ فى البلاد العربية حاليا من مراكز البحث والاحصاء ومن الباحثين القادرين مما يساعد على الوصول الى نتائج مفيدة . واقتراحنا مثلا أن تكلف شعبة علم اللغة انعام فى تونس ومعهد الالسانيات فى الجزائر ومكتب التعريب فى المغرب بالقيام بتجربة فى هذا الميدان على أن تكون سابقة ناجحة بالنسبة لما ينتظرنا من اعمال كثيرة ومعقدة فى ميدان اللغة .

---

(108) مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية 9/4 ، 10
(109) نفس المرجع
(110) م/21
(111) ك/46
(112) ك/224

الصـــــدور (×)

الاعجمية	العربيـــة	العلم والصفحة	المثال الاوربى	المثال العربى
A (1)	لا/0	ف/6	Combinaison achromatique	اتحاد لالونى / تركيب لونى
	لا	ف/22	Aperiodique	لا دورى / لا نظامى
	لا	ف/22	Aplanatique	لا زيغـــى
	غيـر	ف/23	Apolaire	غير ممـتدة
	معطـل	ف/26	Suspension astatique	تعليـق معطـل
	ا	ف/27	Système astatique	النظام الاستاتيكى
	لا/ا	ف/27	Astigmatique	اللانقطية/الاستكماتزم اللااستجمية
A	لا	ك/15	Acyclique	لا حلقـى
	ا	ك/37	Amicron	أميكـرون
Allo (0)	متغير/متشكل متماثـل	ف/13	Allochromatique	متغيـر اللـون
			Allotropique	متشكل/ذو صور متعددة/متماثل
	متغير/متشكل متماثل/مختلف الشكل تماثلى	ك/30	Allotropique	مختلف الشكل ـ تماثلى ـ متماثل متشكل

(×) ف = تفيد الفيزياء والطبيعة

ك = تفيد الكيمياء

0 = ترجمة الكاسمة او اللاحقة ونعنى بالترجمة كل ما لم يعبر عنه عامة باسم فاعل او مفعول او مقابل مضبوط

(ـ) ايجاز المصطلح الفنى : مثال : بروميين تصبح بروم .

الاعجمية	العربيـــة	العلم والصفحة	المثال الاوربـى	المثال العـربى
An	0	ف/17	Anechoic room - Dead room Chambre sourde	غرفة او قاعة صماء
	0	ف/17	Anelasticity - internal friction - friction interne	احتكاك باطنى
	لا	ف/19	Oscillateur anharmonique	مذبذب لا توافقى
	لا	ك/43	Anacrobique	لا هـوائى
Ana	0	ف/16	Objectif ou lentille anastigmatique	عدسـة نمطيـة
Anti	التنافـر	ف/20	Anti-bonding orbital orbite a repulsion atomique	مدار الدفع/التنافر الذرى
	المضـادة	ف/20	Anti-ferromagnetisme	المغنطيسية الحديدية المضادة
	ضديـة	ف/21	Anti-neutrino	ضدية النيو ترينو
	0	ف/21	Antinode/antinoed	بطـن
	مضـاد	ك/46	Antichlore	مضـاد الكلـور
	مبيـد	ك/46	Antifungal agent (Fongicide)	مبيد الفطـر الطفيلية
	انتيـ	ك/47	Antimoniate	انتيمونيـات
	لا	ك/47	Théorie antiphlogistique	نظرية اللافلو جستية اللافلـو جستية

الاعجمية	المزيية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Apo/Apro	لا/ابو/سدد	ف/22	Objectif apochromatique	عدسة تامة اللالونية
			Objectif apochromatique	عدسة مسدسة ـ عدسة ابو كرو ماتية
Allto	ذاتي	ف/33	Autocollimateur	كوليماتور ذاتي / مسدد ذاتي
	آلي/ذاتي	ف/34	Autotransformateur	محول آلي / محولة ذاتية
Al	لا	ك/54	Synthèse assymétrique	تحليق لا تماثلي
Bl	ثنائي	ف/45	Cristal biaxial	بلورة ثنائية المحور
	0/ثنائي	ف/45	Lentille biconcave	عدسة محدبة الوجهتين/ثنائية التحدب
	ذو/مثنى	ف/46	Relai bimetal	مرحل ذو معدنين/ ذو فلزين
	مزدوج			مزدوج الفلز
	مزدوجة	ف/46	Bandes bimétalliques	صفائح مزدوجة معدنية
	ثاني	ك/70	Bioxyde	ثاني اكسيد
	ثنائية	ك/70	Bivalence	ثنائية التكافؤ
Bio	احياء	ف/47	Biodynamique	الديناميكا الاحيائية
Co	متحد	ف/72	Bobines coaxiales	ملفات متحدة المحور
	مشتركة	ف/72	Ligne coaxiale	المحور المشترك
	تفاعل	ف/91	Ensemble coopératif	تجمع تعاوني
	اسهامية	ك/121	Copolymerisation	التضاعف الاسهامي للاصل ـ بلمزة اسهامية
Dé	انفعال/تفعيل	ف/107	Décomposition électronique	الانحلال الالكتروني
		ف/108	Déformation	تشويه ـ انبعاج
		ف/109	Dégénération	انحطاط ـ انحلال
	نزع	ف/109	Déhydration	نزع الماء
	زوال	ف/110	Deionization	زوال التأين
	نزع	ك/135	Dechloruration	نزع الكلور
	تفعيل/فعول/افعال	ك/135	Carbone décolorant	نصول = تنصيل = انصال
	مزيل	ك/135	Déformation	كربون مزيل الالوان
				عيب شكلي
Dé		ك/136	Dégénération	فساد
	انفعال/انتزاع تفعيل	ك/137	Déhydration	اخراج /انتزاع/ تجفيف الماء
		ك/139	Dépolymérisation	تفرد
Dé	تفعيل/انفعال	ك/139	Dissociation	تفكك ـ انحلال
Heml = Seml	نصف	ف/205	Hemicolloid	نصف غروي
Homo = Hae	هيمو/	ك/189	Hémoglobine (Haemoglobine)	

الاعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Hétéro	غير متجانس/ متغاير	ف/205	Hétérogène	غير متجانس متعاير
	0	ف/206	Hétéroion/Complexe ion Molécule	مركب أيون جزئي
Hétéro	غير متجانس	ك/193	Hétérogène	غير متجانس
Hexa	سداسي	ف/206	Hexagonal compact	سداسي الاضلاع كثيف
	سداسي . .	ك/111	Hexagonal	سداسي الشكل
Homo	متجانس	ف/208	Homogène	متجانس
	مشترك/متجانس	ف/209	Homopolar bond ; covalent band	ترابط مشترك التكافؤ
			Liaison covalente et homopolaire	ترابط متجانس القطبية
	متجانس	ك/194	Homogène	متجانس
	متشاكل/متماثل مماثل	ك/194	Homologue	متشاكل ـ متماثل ـ مماثل
Hydr	0	ك/195	Hydratation	اماهة ـ حلماة ـ تميه
	هيدرو		Hydromagnesite	هيدرو ماغنيست
Hyper	مفرط	ف/212	Spectre hyper fin	طيف مفرط الدقة
	فرط	ف/212	Hypersonique	فرط صوتي
	طول	ف/212	Hypermétropie	طول النظر
Hypo	تحت	ك/199	Hypoborate	تحت بورات
	اقل/ناقص	ك/201	Hypotonique	اقل اسموزيا ـ ناقص التوتر
In	لا	ف/218	Incohérent	لا مترابط
	غير . . .	ف/218	Fluide Incompressible	مائع غير قابل للانضغاط
	عدم	ف/219	Incompressibilité	عدم القابلية للضغط
	0	ف/219	Indépendant invariable	المتغير المستقل
	غير/لا	ك/204	Inorganique	غير ولا عضوي
	عديمة/0	ك/204	Sels Insolubles	املاح عديمة الذوبان
				املاح عقيمة
Infra	تحت/0	ف/224	Infra-rouge	تحت الاحمر ـ تحمر
	دون	ف/224	Spectre infra-rouge	طيف دون الاحمر
Inter	0	ف/230	Interphase-couche limite entre deux phases	طبقة فاصلة بين طوري طبقة الحدبين
	0		Espace interstellaire	فضاء النجوم
Ir	0	ف/235	Irradiation	تشعيع ـ اشعاع ـ تشعع
Iso	تساوي	ف/236	Ligne isobar	خط تساوي
	متشابه/ذو . . واحد	ف/237	Isochromtique	متشابه اللون / ذو لون واحد

الاعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
	متفاعل/متساوى	ف/237	Isochrone	متساوى الزمن / متواقت
	تشاكل	ف/239	Isomorphesme	خاصية تشاكل الاجزاء
	ثابت	ف/240	Equilibre isothermique	توازن ثابت درجة الحرارة
	متعادل	ف/241	Isotones	متعادلات البتو ترونات
	تشابه/تفاعلية	ك/208	Isomerisme	التشابه / تجازئية
	متوازن	ك/209	Isotonique	متساوى السموزية /متوازن التناضح
Kilo	كيلو	ف/244	Kilo calorie	كيلو سعر
Macro	0	ف/266	Macro molécule	الجزئى الاكبر
M	المكرو/ 0	ف/266	Macrophysique	المكروفيزياء (فيزياء) الاجسام الكبيرة
Mag	مغ	ف/273	Magnetron	مغنطرون
Mega	ميغا / 0	ف/281	Mégaphone	ميغافون / مضخم الصوت
Meta	شبه	ف/283	Etat métastable	حالة شبه استقرار
	ميتا	ك/230	Acide métaphosphorique	حامض الميتافوسفوريك
	مؤقت/شبه	ك/230	Métastable	مؤقت الاستقرار / شبه مستقر
	ما وراء / نصف			ما وراء الثابت / نصف مستقر
Micro	ميكرو	ف/284	Microfarad	ميكروفاراد أو ميكروفراد
	مضخم	ف/284	Microphotographe	صورة مضخمة للصوت
	دقيق	ف/284	Microphotographie	تصوير دقيق
	0	ف/285	Microscope	مجهر
Milli	ملى	ف/285	Milliammeter (Milliampermètre)	ملى أميتر ، ملى أمبيرمتر
Mono	ذات / الواحد	ف/293	Monochord/Monocorde	ذات الوتر الواحد /احادية
	احادى/وحيد			أو وحيدة الوتر الواحد
	متفاعل / ذو	ف/294	Monochromatique (source lumineuse)	منبع ضوئى متلاون (ذو لون واحد)
	بسيط	ف/294	Monomère	مجموع جزئيات بسيطة
	أحادى	ك/234	Monotrope	أحادى الصورة
	مونو /أحادية	ك/235	Monotropie	مونوتروبية /أحادية الصورة
Mono = Prot	أول /أحادى	ك/235	Monoxide/Protoxyde	أول اكسيد /اكسيد أحادى
Multi	متعدد	ف/297	Rayonnement multipolaire	اشعاع متعددة القطبية
	الكثرة	ف/297	Multivibrateur	المهتزة الكثرة
Non	عدم	ف/305	Non linéarité de l'oreille	عدم خطية الاذن
	غير	ف/305	Non éclairant	غير مضيء
	لا	ف/305	Non métal	لا فلز
Pan	بان	ك/254	Panachromatique	بانكروماتى

الاعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Pana	حساسة	ف/320	Panachromatique	حساسة للالوان
Panta	بانتا	ك/254	Pantachromisme	البنتاكروماتيه
Para	متواز	ف/321	Parallélogramme	متوازي أضلاع القوى
	البارا/	ف/321	Paramagnatisme	البارامغنطيسية / المغناطيسية المساسة
	بارا/باروي	ك/255	Para	بارا/باروي
		ك/255	Paraldehyde	بارالدهيد
	متوازي/باراوي	ك/255	Paramagnétique	مغناطيسي متوازي (باراوي) متوازي المغناطيسية
Patho	مرض/مرضي	ك/258	Pathogénique	مرض /مرضي
Penta	خماسي	ك/259	Penta	خماسي
	ذو الخمس	ك/259	Pentad/groupe de cinq corps pentavalent	ذوالخمس
	خامس		Acide pentathionique	حامض خامس الثيوتيك
	بنن	ك/259	Pentane	بنتان
Per	فوق	ك/260	Acide perborique	حامض فوق البوريك
	بر /فوق	ك/260	Perchlorate	برکلورات / فوق کلورات
Pléo	تعدد/تغير	ف/321	Pléochromisme	تعدد الالوان / تغير لوني
Poly	متعدد	ف/346	Polychromatique	متعدد الالوان
Poly	0	ف/346	Polygône des forces	مضلع القوى
	كثير/ عديد	ك/273	Polyatomique	كثير الذرات / عديد الذرات
	عام	ك/274	Polyclinique	مستشفى عام
	تركيب	ك/274	Polymérisme	بلمرية شاكلية تركيبية
	با /	ك/274	Polymères	بلمرات
	متعدد / شكلية	ك/274	Polymorphe	مادة متعددة الشكل ـ مادة شكلية
Pro = Mono				
Ré	0	ف/395	Réversibilité	المعكوسية / قابل للانعكاس
	استفعال	ك/292	Récupération	استرداد ، استعادة ، استرجاع
	اعادة	ك/292	Récristallisation	اعادة البلورة
	آلي	ك/293	Redresseur	مقوم آلي
Super = sur	0	ف/441	Super conducteur	نقل في حالة الموصلية
	فوق	ف/441	Supersaturée (solution)	محلول فوق (:) مشبع
	سوبر	ك/325	Superphosphate	سوبر فوسفات
	فوق	ك/336	Supersaturation	فوق التشبع
	تفاعل		Supercomposition	تراكب
	زيادة	ف/319	Surchauffage (over cooling I)	زيادة التسخين

لاجنبية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
scence	بـــة تفعـــل	ذ/60 ذ/110	Cathodoluminescence Deliquescence	الاضاءة الكاثودنيـــة التميـــع
Scope	كاشف / كشاف مكشاف سكوب / منعال مكشـــاف سكوب/0 6 سكوب / 0	ذ/151 ذ/159 ذ/177 ذ/198 5	Electroscope Epidiascope Fluoroscope Gyroscope Microscope électronique	كاشف أو كشاف أو مكشاف كهربائى ابدياسكوب أو مبصار خلالى 5ر13 مكشاف الفلوريـــة جايرو سكوب / جيرو سكوب (المجلة الدائرة) ميكرو سكوب الكترونى/ مجهر الكترونى
Scope	مجشم / سكوب	ف / 435	Stéréoscope	مجسم الصور / ستريو سكوب
Scopie	فحـــص	ك / 127	Cryoscopie	الفحص بالتبريـــد
Sphère	جـــو	ف / 457	Thermosphère	جـو حـــرارى
Stat	مثبت / ستة مـــوقف	ف / 457 ك / 61	Thermostat Bactériostat	مثبت حرارى / ترموستة موقف بكتيرى
Tron	تـــــرون	ف / 44	Betatron	بيتـاتـــرون
Um On	م يـــن م	ف / 36 ك / 271 ك / 328	Alundum ; Alundon Platinum ; Platine Tantalum ; tentale	الانـــــنم بلاتيـــن تنتـالـــم
Yl	يـــل	ك / 52	Aryl (e)	اريـل ـ عطريـل

اللـــواحـــق

الاعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربى	المثال العربى
Able	تابل / فعول فعيل	224/ك	Malléable	تابل للطرق / طريق / طروق
Ane	آن	165/ك 83/ك	Ethane Butane	ايثـــان بـوتـــان
Ase	يـز آز / 0	44/ك 224/ك	Anatase Maltase	أنـاتـــيز مولتـاز ــ ملتاز فالق الشعـير
Ate	آت	41/ك 41/ك	Chromate d'ammonuim Chloroplombate	كرومات الامونيوم كلور رصاصات الامونيـوم
Ates	آت	225/ك	Manganates	منجنيـات / مغنيات
eme	يـم	287/ك	Raceme	راســـيم
ene	يـن يـن / ول	7/ك 67/ك	Acetylene Benzens (Benzol) Benzine	استيلـين بنزول / بنزين
eur	فعالة /آلـة فعـال مفعـل مفعـل	385/ف 14/ك 3/ك	Réfrigérateur Activeur Accumulateur	برادة ، آلة تبريد بـراد ، ثلاجـة منـشط معجل ــ مسرع ــ دراسة ...
eux = ous	فعيل / ذو وز	347/ف 9/ك	Poreux Acide arsenieux Acid (Arsenious)	ذو مسام / مسامى نفيـذ حامض الزرنيخـوز
forme	فـورم	206/ك	Iodoform	يودو فورم
gal = ug	نابذ / مبعد طـارد /	97/ك	Centrifuge	مركس / نابذ/ طارد مركزى مبعد عن المركـز
gel	جـيل	196/ك	Hydrogel	هيدرو جيـل
gene	جـين	93/ك 197/ك	Hydrogène Cascinogène	هيدرو جـين كازينوجـين
gie	عـلم	134/ك	Cytologie	علم الخلية أو الخلايـا
gramme	0/رسم	113/ف	Diagramme	منحن بيانى /رسم بيانى او تخطيطى
graphe	جراف /غراف مقـياس راسم / مرسمة	39/ف 424/ف 60/ك	Barographe Spectographe de Masse Oscillographe des rayons Cathodiques	بارو جراف ــ بارو غراف مقياس طبق الكتلة راسم الاشعة /مرسمة اشعة

الاعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
graphe	قيـــاس	ف/345	Polorographie	تياس شد الاستقطاب
	مقاعلـــة	ف/371	Radiotélégraphie	المراسلة اللاسلكية /برق سلكى
Hyde	هيـــد	ك/5	Acétaldehyde	اسيتالـد هيـد
Is	0/ يـــا	ك/38	Ammoniaque/Ammonia	الاوشادر / امونيـا
Ible	0	ف/102	Cycle Irréversible	دورة متغيـرة الاتجاه
	قابـل لـ	ف/384	Refrangible	قبال للانكســار
	يمكـــن	ف/391	Résistible	يمكن مقـاومته
	منفعل / قابـل فعـول	ك/299	Réversible	منعكس / قابل للانعكاس/ عكوس
Ide = ure	يـــد	ك/5	Acétamide	اسيـت آميـد
	يـد / مركب	ك/15	Arsemide (Arseniure)	زيخيد / مركب الزرنيخ
		ك/90	Carbide ; carbure	كـربيـــد
	يـــن	ك/186	Glycéride	بتيسريـن / غليسرين
	آت	ك/214	Lanthanides	اللانثانيـدات
	يـد / ور	ك/331	Sulphide : sulfure	كبريتيـد / كريتـور
Ine	يـــن	ك/5	Acétamine	اســتـامـين
	(—)	ك/80	Bromine	بروم — بروميـن
Ine (s)	آت	ك/280	Protéines	بروتنـــات
Ique = Ie	يكـــا	ف/11	Aerostatique	علم الستاتيكا الهوائية
	يـــك	ف/113	Diacoustique	دياكوستيـــك
	و ر	ك/12	Acide phosphorique	حامض الفوسفـور
Ique = Ie	يـــك	ك/173	Ferrique	حديديـك
Ium	يـــوم	ف/54	Cadmium	كادميـوم
		ك/13	Actinium	اكتنيـوم
	يوم / يـا	ك/34	Aluminium	الومنيوم / الومنيـا
	(—)	ك/301	Rubidium	روبيدا / روبيديوم
	يوم / يـن	ك/307	Selenium	سيلينيـوم / سيلين
Isme	زم	ف/27	Astigmatisme	الاستكماتزوم
	يـــه	ف/27	Antiferromagnétisme	المغنطيسية الحديدية المضادة
Ite	/ يـت	ك/34	Aluminite	حجر الشب / الومينيت
	يـــت	ك/45	Anthracite	انثراسيت
Ité	/ يـة	ف/19	Anharmonicité	اللاتوافقيـــة
	يـة/قابليـة	ف/113	Ductilité	المطاطية — مطوطية
	قـابليـة	ف/343	Polarizabilité	قابلية الاستقطاب